سعيد الجزائري

مشاهير حرّكوا العالم..؟



مشاهير حرّكوا العالم..؟

سَعيد الجزائري

مشاهير حرّكوا العالم...؟

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

سعيد الجزائري

مشاهير حرّكوا العالم..؟



بَعيدًا عَن الاغتيالات .
بَعيدًا عَن المُخابَرات .
بَعيدًا عن التَعقيد .
قصَصٌ وَاقعيَّة عَن مَشاهير غير سياسيّين وأعمالهم الخارقة .
إختفاء بعضهم بصورةٍ غامضة .
مَنْ هُمْ ... ؟



المقـــدمة

من المعروف عني، وهذا ليس بدعاية لي، أني اكتب سلسلة من الكتب منذ السبعينات عن نشاط المخابرات وأعمالها وتخطيطها حتى أصبحت رائد الكتابة في أدب المخابرات وعلمها في سورية والحمدلله. فقدمت الأجزاء الأربعة من سلسلة كتب المخابرات والعالم بتشجيع من القراء العرب، وخاصة في القطر. فأعترض البعض ومنهم قارئات فاضلات كتبن لي : « لماذا لا تكتب سوى عن أعلام الجاسوسية وأعمال المخابرات ؟ » فقدمت لهنّ كتاب « الحياة الثانية ». وأيضاً كتب لي العديد من القراء الكرام : « لماذا لا تكتب شيئاً عن غير المخابرات.. فقدمت لهم عام ١٩٨٦ بحثاً اضافياً موسعاً عن « الماسونية .. ماضيها وحاضرها » كما طُلب مني التنويع أكثر فكتبتُ قصة « أسمهان » رحمها الله حيث غنت وأبدعت.

ولكن لم يكن بالحسبان أن يطلب الاستاذ سالم النوري مني ومن الزميل هاني الخيّر أن نؤلف بالاشتراك كتاباً ما. وهكذا ولدت فكرة تأليف هذا الكتاب : فأنهيت ما يخصني من صفحاته؛ ولكن ضغط الأعمال على الزميل الخير لم يمكنه من المتابعة؛ فاستأذنته بروح رياضية وأكملته « وحدي » حتى جاء بهذا الشكل والمضمون الشيق والذي يعرض لأول مرة قصص بعض المشاهير الذين حركوا العالم فعلاً

بنشاطهم وأعمالهم الخارقة فأرجو أن ينال إعجاب القراء على مختلف فئاتهم.

وإلى اللقاء في كتاب آخر إن شاء الله

سعيد الجزائري

الملياردير.. عدنان خاشقجي..؟

« الولايات المتحدة تخاف من ملايينه »



ابتدأ بعشرة آلاف دولار.

دفع خمسة دولارات لموظف فندق ليُظهر أنّه يملك مالاً كثيراً.

أول راتب تقاضاه من شركة (لوكهيد) هو ألف دولار شهريًّا.

أسّس مع أخوَيه عادل وعصام أول شركة باسم (TRIAD) لخدمة الشركات الأميركيّة في السّعوديّة.

في قمّة أعماله وملايينه أصبح سمسار المشروع الأميركي الإسرائيلي.



الخاشقجي مكبلا بقوة القانون الأميركي وأخيراً أطلق سراحه وعاد للصحافة..



Κατασχέθηκαν 160.000
δολλάρια του Κασσόγκι
ΔΕΝ ΤΑ ΕΙΧΕ ΑΠΑ ΓΑΝ ΗΡΘΕ ΣΤΗΝ ΕΛΛΑΔΑ

من هو عدنان الخاشقجي :

○ عدنان بن الدكتور محمد سعيد خاشقجي الذي كان الطبيب الخاص للملك الراحل عبد العزيز آل سعود والدكتور محمد سعيد خاشقجي كان أول طبيب يدخل « آلة تصوير بالأشعة إلى المملكة العربي السعودية » وكان أيضاً أول من أدخل مولداً للكهرباء إلى مدينة مكة المكرمة حيث مدّ أسلاكاً لبيوت جيرانه السعوديين لإنارتها « في حينه ». فكان لذلك أطيب الأثر لدى الملك عبد العزيز الذي ضاعف من اهتمامه به. وقد تأسّست شركة للكهرباء فيما بعد وما تزال العائلة المالكة تحتفظ بحصصٍ محترمة من الأسهم فيها. من هنا سوف نعرف « السبب » فيما وصل إليه عدنان خاشقجي فيما بعد، طالما أن أباه كان من الأوائل في السعودية، وبهذا الطموح حيث كان، كما ذكرنا، أول من أدخل التصوير بالأشعة للمرضى، كما كان أول من أنار منزله وجيرانه بالكهرباء. فكيف لا يخرج عدنان بهذه الهمة وهذه الطموحات التي سنذكرها لكم في هذا الفصل الخاص عن أول المشاهير في العالم.

○ عدنان بن محمد سعيد الخاشقجي.

○ من مواليد : عام ١٩٣٥ مكة المكرمة.

○ الثقافة : الدراسة الجامعية في مصر ثم الدراسة الهندسية في كاليفورنيا بالولايات المتحدة.

○ وقد تعلم عدنان وهو النجل الأكبر بين ثلاثة أشقاء منذ نعومة أظفاره « كيفية » إنفاق المال بحذاقة. وقد قال له والده الدكتور محمد سعيد الخاشقجي، وقد وعده أن يعطيه بقدر ما يوفّره من المال، أن هناك طريقتين لإنفاق المال. وكدرس عملي ألقى والده بريال معدني على السجادة، فلم يحدث صوتاً، ثم ألقى بالريال نفسه على سطح معدني فأحدث صوتاً ورنيناً. وقد اختار عدنان اليافع « الطريقة المدويّة ».

وفي كلية فكتوريا بالاسكندرية في مصر حيث أمضى فترة دراسة، كان عدنان، ينفق نصف ما يرسله له والده من المصروف « على أصدقائه الطلاب ». وكان هذا يخلق له جواً من الزعامة. وقد أدت شعبيته بين أقرانه إلى حصوله على أول مهمة كوسيط. فقد ذكر أمامه أحد زملائه الليبيين أن والده يرغب في شراء كميات من المناشف، فما كان من عدنان إلا أن قدّم الشاري « والد الليبي الطالب » إلى والد أحد زملائه المصريين، وكان يملك مصنعاً للنسيج؛ وكم كانت مفاجأة عدنان النشيط عندما تلقى من التاجر المصري هدية هي عبارة عن مائتين جنيه مصري لقاء تعريف الطرفين ببعضهما.

وعندما تخرج عدنان في سنة ١٩٥٢ ساهم مع عائلته في إنشاء « شركة النصر للتجارة والصناعة » وقد منحتها الحكومة السعودية امتيازاً لاستخراج الجبس، مدته خمسون عاماً ينتهي مفعوله عام (٢٠٠٢م).

لكن تجربة طارئة غيّرت مجرى حياته أيام الدراسة في أميركا. ففي البداية قرر دراسة هندسة البترول في كلية « كولورادو » للمعادن. لكن عندما وصل إلى نيويورك صادفته عاصفة ثلجية، فعدّل قراره واتجه إلى دراسة الاقتصاد في جامعة « شيكو » الأكثر دفئاً قرب سان فرنسيسكو، وقد أثارت اهتمامه هناك الفرص التي توفرت لممارسة الأعمال اكثر من مما أثارته الدراسة. فبدلاً من أن يشتري سيارة بالعشرة آلاف دولار التي أرسلها إليه والده لهذا الغرض، وظّفها في شركة لتأجير السيارات

والمعدات. وبدأ عدنان يجمع ما يتيسَّر له من المنتجات الأميركية لتصريفها في بلاده السعودية بواسطة شركتهم « شركة النصر ». وهكذا أمكنه حمل لقب « الطالب ــ التاجر ». وقد حصل هذا التاجر الشاب على أول « عمولة » تذكر عن طريق إقناع مقاول سعودي بأهمية تأسيس معمل للطوب الذي كان يستعمل للبناء في حينه، ومن ثم تأمين الخرائط والمعدات له.

وقد وسّع عدنان رأسماله بأن حاول الظهور وكأنه اكثر غنىً وبحبوحة مما هو عليه في الواقع، ولرفع سمعته كتاجرٍ ناجح، انتقل إلى غرفة في فندق وسماها « المقر ». وفي إحدى الليالي بعد أن استضاف صديقاً سعودياً على العشاء، اقترض عدنان منه آخر خمسة دولارات يملكها وتوجه إلى موظف الاستعلامات في الفندق وطلب منه تأمين علبة سجائر وأعطاه الخمسة دولارات قائلاً : احتفظ بالباقي لنفسك إكرامية « باللغة العربية الدارجة بخشيش » مع العلم بأن قيمة علبة السجائر لا توازي عشر المبلغ. وإزاء دهشة الصديق وانزعاجه، قال له عدنان موضحاً : غداً تستحق فاتورة حساب الفندق، ولست أملك نقوداً الآن ولذلك أعطيته الخمسة دولارات بخشيشاً الآن لكي أترك لديه انطباعاً سوف ينقله إلى أصحاب الفندق بأن لديَّ الكثير من المال وعلى ذلك فإنهم لن يطلبوا مني تسديد الفاتورة على الفور. وهكذا حصل فعلاً. أما عدنان « الملياردير الحالي » فقد اعتبرها شطارة بينما هذا العمل يندرج في باب الاحتيال.

في السنة التالية انتقل عدنان إلى جامعة « ستانفورد » واكتشف ما سمَّاه بـ « الطريقة الأميركية للتعامل التجاري بأضعاف ما تملك من رأس المال » أو كما قال عدنان بأنه يقوم بجعل الدولار الواحد يعمل وكأنه عشرة دولارات.

جرب طريقته الجديدة وحظه، فاشترى منزلاً من أربع غرف مع بركة

سباحة في منطقة « بالوآلتو » وذلك بطريقة السندات التي وقّعها كضمان لسداد قيمة المنزل بالتقسيط. وقد استطاع أن يترك انطباعاً أكثر أثراً في نفوس أصدقائه السعوديين ورجال الأعمال الذين بدأ يتصل بهم عندما استخدم شاباً يابانياً لخدمة ضيوفه؛ كما عرف تأثير الجميلات على الزبائن فاستخدم سكرتيرة لجزء من النهار وكانت، بعد انتهاء دوام العمل المكتبي تقوم ببعض الأعمال المنزلية .. (؟).

ولم يمض عدنان سوى فصل دراسي واحد أدرك بعده أن الدراسة تأخذ الكثير من وقته الذي ينبغي أن يصرفه في العمليات التجارية، فعاد إلى السعودية للحصول على زبائن. وقد عرف عدنان إلى أين يتجه وأين تكمن الثروة، والأموال السعودية الوافرة. ثم عاد إلى مقر عمله بعد أن كان قد تعاقد لبيع عدد من شاحنات (كنوارث) وحقق لنفسه من وراء هذه العملية الأولى الناجحة مبلغ ٢٤٥ ألف دولار لأنه ثبت صلاحية هذه الشاحنات في أعمال الدوريات في المناطق الصحراوية حيث تنعدم الطرق المعبّدة، فكان أن باع منها وبواسطته المئات. وساعدته هذه العملية في الحصول على عقدٍ لشركة أميركية هي « كومنولث للخدمات » لتقوم بإدارة قاعدة الظهران الجوية. وقد أفاد عدنان كوكيل سعودي من هذا العقد كثيراً، إذ أمّن له عمولة محترمة على مدى إحدى عشرة سنة، علاوة على أنه فتح عينيه على المعدات الحربية الأميركية. وفي الوقت نفسه كان يواظب على بيع سيارات وشاحنات لشركتي « كرايسلر » و « فيات » في المملكة.

في عام ١٩٦٤ حصل الخاشقجي على أول عملية تجارية مع شركة « لوكهيد » فقد اعتمدته هذه الشركة الكبرى لدراسة السوق التجارية لقاء تعويض شهري قدره ألفا دولار. وكان يصيبه بعض الفشل في عمله، فقد حاول أن يبيع من طائرات « ستار فايتر ١٠٤ » المربحة لكنه فشل. وفي المقابل أدرك أن هناك سوقاً رائجة لأنظمة الدفاع وتجهيزاتها؛ وقد مكنته

اتصالاته الوثيقة من معرفة أهداف المسؤولين لتقوية النظام الدفاعي على المدى البعيد، فقام بالاتصال بالشركات التي تستطيع تأمين ذلك وجلبها للمملكة. وبذلك استطاع كسب ثقة المسؤولين باستقدامه شركات تفي بما تتعهد به.

وفي عام ١٩٦٧ أصبحت شركة « رايثيون » إحدى الشركات التي تعامل معها، وذلك عندما اشترى مكتبها الاقليمي للمبيعات. وقد أمّن لها من ذلك الحين مبيعات زادت قيمتها عن مليار وأربعمائة مليون دولار في عقود لتقديم وتجهيز شبكة دفاعية عن المملكة من صواريخ « هوك ». ثم انطلق لبيع طائرات لوكهيد « سي ــ ١٣٠ » للنقل، وطائرات « نورثروب » المقاتلة « ف ــ٢٥ »، مع معدات بلجيكية، وطائرات هيليكوبتر بريطانية. أما الفوائد فكانت في الغالب ضخمة للغاية. فمثلاً لقاء بيعة معدّات ثقيلة للمملكة من فرنسا قيمتها ستماية مليون دولار حقق لمكتبه عمولة قدرها ٣٥ مليون دولار. الكثيرون ممن لا خبرة لهم بدخائل الخاشقجي يتساءلون : كيف يمكن تحقيق مكاسب بهذا الحجم ؟ لكن زبائنه من جهة أخرى يرون غير ذلك، ويعتبرون أن الخاشقجي هو الممثل التجاري الذي يحتاجون إليه من أجل العمل في أسواق تعتبر فيها العلاقات الشخصية عنصراً رئيسياً من عناصر التعامل.

وحين تكاثرت أعمال الخاشقجي ضم أخويه إليه وألف ما أسماه فيما بعد بالشركة الثلاثية (TRIAD) ووزعت الأعمال بحيث يتولى الأخ الثاني « عادل » وهو خريج جامعة باركلي ــ أعمال الشركة في السعودية. وتولّى أخوه الأصغر « عصام » وهو خريج جامعة سان هوزيه في الهندسة الصناعية ــ إدارة الشركة للتصميم المعماري ولإنتاج المفروشات وإدارة الفنادق. أما عدنان فقد أبقى لنفسه مهمة الاتصال الشخصي بزبائنه. وفي سنة ١٩٧٤ حصل عدنان على دعم كبير في أعماله عندما صُنفت

« ترايد » بأنها « مفيدة جداً بالنسبة للشركات الأميركية الراغبة في إقامة علاقات تجارية مع السعودية ».

لا شك في أن الخاشقجي اقترب من قمة النجاح. ولكي يبني مؤسسته العالمية التي خطط لنجاحها أحاط نفسه بمجموعة من الأشخاص من مختلف الجنسيات والكفاءات، ألا أنهم يشتركون جميعاً بميزة واحدة وهي « الولاء المطلق الذي يبلغ حدّ التعصُّب له » ومن المعلوم أن أحد مستشاريه، الدكتور صبيح ضيف وهو مصري الجنسية، عندما تردد في ترْك مكتبه والالتحاق بشركة الخاشقجي فما كان من الخاشقجي إلا أن قدَّم له شيكاً « على بياض » مسحوب على أحد بنوك سويسرا ليملأه الدكتور ضيف. ولكن ضيف « ولغرض في نفسه » أعاد الشيك للخاشقجي كما هو، ولهذه النتيجة فإنه الآن لا يزال المدير المالي المفوّض للشركة الثلاثية « تراياد » وما زال الدكتور ضيف يكتب بخط يده النسخة الوحيدة من الموازنة العامة للشركة التي يقدمها إلى رئيسه وحده. ومنذ خمسة عشر عاماً التحق « بوب شاهين »، وهو أميركي من أصل سوري ومن عائلة شاهين المعروفة، بمؤسسة الخاشقجي. وهو الآن شديد الولاء ويكاد يشبه الزاهدين، وعلم أنه ردّ مرة على انتقاد موجه لرئيسه بقوله : « إن الانتقاد شيء طبيعي ويوجه عادة للأشخاص الناجحين، سواء كانوا رجال أعمال أم رجال سياسة، أم غير ذلك كلما جاءوا بجديد أو أظهروا فراسة وبعد نظر ».

المرأة التي أثرت في حياته وعرضته للمحاكم
ثريا الخاشقجي (زوجته) تعترف :
○ كنت الجسر الذي عبر عليه عدنان الى الثروة.
○ علاقاتي الغرامية مع حفيد ونستون تشرشل لا تدعوني للخجل.

○ في هذا الفصل، وفي غيره من التحقيقات الصحفية التي ذكرت فيها أعمال ونشاط الخاشقجي كنت أنتظر الشهور والسنين لعل ما ينشر عنه يكون كذباً أو افتراءً عليه. ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل. ولذلك كنت أنشر ما أحصل عليه عنه من المصادر الموثوقة حيث توجد الكثير من الصحف في الغرب « لا تُشترى بالمال ». وهذه القصة التي أنقلها إلى قراء هذا النوع من الكتب أي الاطلاع على أسرار حياة المشاهير الذين حرّكوا العالم، أعترف بأن سبق أن نشرتها في صحيفة الشعب اللبنانية المعروفة والصادرة بتاريخ ١٩٨٢/٢١/٣١ (الصفحة ٤) وهي كما يلي :

○ يملك اللورد آستور البريطاني قصراً فخماً في منطقة كلايفدن بلندن. وفي هذا القصر الشامخ البعيد عن الأنظار والرقباء كانت تقام حفلات « ماجنة »، أي ما يسمى الآن « حفلات جنس »، وتشمل هذه الحفلات « استحمام بعض المدعوات في حوض سباحة القصر وهن عاريات »، وذلك انسجاماً مع مبدأ حسن الضيافة الذي اتخذه صاحب القصر شعاراً له. ويستغل الضيوف هذا المبدأ إلى أبعد الحدود في الاستمتاع المحرّم وهم من خيرة القوم في بريطانيا وأصحاب الشذوذ؛ ومنهم على سبيل المثال لا الحصر « جون بروفوميو » وزير الحربية البريطاني في حينه، وقد شاهد ذات ليلة الفاتنة « كريستين كيلر » وهي تستحم عارية تماماً في مسبح القصر وهي بالأصل تعمل « بغياً » تحت الطلب الهاتفي، وهذا أرقى أنواع البغاء الدارج الآن في أوربا، فأعجبته

وتعرف عليها وأخذ يتلاقى معها باستمرار. وصدف أن قام المدعو ستيفان وارد، وعمله مخبر لدى المخابرات البريطانية وقواد نساء من النوع الراقي، بتعريف « كريستين كيلر » على الملحق العسكري السوفياتي في السفارة السوفياتية في لندن المدعو الكلونيل « يوجين إيفانوف ». وبعد عدة اتصالات بينهما أعجبت كريستين برجولة الملحق السوفياتي فأخذت تحدثه عن عشاقها ومنهم « وزير الحربية البريطاني » بروفوميو فاستغل إيفانوف هذه المناسبة وهو يعرف تأثيره على المومس كريستين، فطلب منها أن تعرف منه بعض الأسرار الهامة المتعلقة بموقف القوات البريطانية في الحلف الأطلسي وبصورة خاصة طلب منها أن تعرف بالضبط من بروفوميو، أثناء تناوله المسكرات وتبادل الجنس، موعد قيام الولايات المتحدة بتبديل الرؤوس النووية للصواريخ الأميركية المزروعة في أنحاء مختلفة من بريطانيا، ولكن كريستين المحبة للمال والشهرة اتصلت بالصحف البريطانية الكبرى مثل الايكونوميست والانزرفر وأعطتهم المعلومات التي لديها « لقاء » مبلغ محترم جداً دُفع إليها وكان من نتيجة الضجة التي أثيرت في هذه الصحف :

١ ـ تعرض الحكومة البريطانية للاستجواب في مجلس العموم.

٢ ـ استقالة وزير الحربية « جون بروفوميو من وزارة الحربية واعتزاله السياسة.

٣ ـ ابعاد الملحق العسكري السوفياتي يوجين إيفانوف حيث غادر في ايلول ١٩٦١.

٤ ـ استقالة مدير فرع (ام ـ آي ـ ٦) في المخابرات البريطانية.

٥ ـ انتحار المخبر (ستيفان وارد) عميل المخابرات البريطابية الذي كان له الفضل بتعريف كريستين على إيفانوف.

٦ ـ الشهرة العالمية التي اكتسبتها (كريستين كيلر) من وراء هذه الفضيحة السياسية بعد أن حاولت المخابرات البريطانية « منع الصحف »

من نشرها، ولكنها لم تستطيع المنع بموجب القانون الذي يصون الحريات الصحفية في بريطانيا، لأن من تفضحه الصحف البريطانية، عليه أن يدافع عن نفسه أو أن يتوارى عن المسرح السياسي، كما فعل وزير الدفاع بروفوميو. ومن المعلوم أن هذه القصة المثيرة، أنتجت فيلماً سينمائياً عرض في أغلب البلاد العربية.

كريستين جديدة على درب الخاشقجي :

○ الآنسة « ساندرا جارفيس » من مواليد عام ١٩٤٦ في مدينة ليسيستر، وهي انكليزية بارعة الجمال، كانت تبحث عن الثراء والمستقبل السعيد المضمون نظراً للجمال الذي تتمتع به. فاتجهت مع والدتها العرابة أو المرافقة المطيعة من لندن إلى باريس « بلد النور كما يقولون »، ونزلت في نفس الفندق الذي ينزل فيه رجل الأعمال السعودي « عدنان الخاشقجي » الذي أعجب بفتنتها وجمالها، فقدم أوراق الاعتماد الى الوالدة المصونة مع جولة في الأسواق الباريسية، حيث اشترى للآنسة ساندرا هدايا تقدر بملايين الفرنكات. ولم يتركها بعد ذلك فقد تزوجها زواجاً شرعياً في مكتب القنصل السعودي في باريس بعد أن أشهرت إسلامها لتتمكن من الزواج من عدنان الخاشقجي حسب اصول الشريعة الاسلامية حيث أصبح اسمها بعد الاسلام والزواج (ثريا خاشقجي) أو (مدام عدنان خاشقجي) حسب الاتيكيت.

عاد الخاشقجي للاهتمام بتجارته ومقاولاته بعد أن اطمئن الى وجود ثريا الفاتنة الجميلة الجذابة بجانبه حيث أصبح « يتباهى بها » ويصطحبها معه في تنقلاته بين السعودية، بلاده، وبين دول أوربا التي لها علاقات تجارية راسخة معها وخاصة الولايات المتحدة. وبطبيعة الحال كانت « العروس » تحضر توقيع العقود وابرام الصفقات التي كانت تعود عليه

بالملايين، وكان لوجودها بجانبه تأثير السحر والجاذبية على المفاوضين حيث كانت تتم معظم الصفقات بسرعة مذهلة طالما كانت « ثريا » موجودة بجانب زوجها ليتسنى للموقعين مزيداً من الوقت لقضاء الأوقات السعيدة في صحبة الزوجين خاشقجي.

ولم يكتف الخاشقجي بالتوسط لبيع الأسلحة من الولايات إلى السعودية، بل تعداها إلى التعامل مع عدة دول باعها كميات هائلة من الأسلحة المختلفة، وكان عمله هذا يشبه « المنشار » حسب المثل المصري. وهكذا كبرت وتوسعت أعماله وكَنَز المليارات.

وكانت زوجته ثريا هذه الأثناء لا تنسى واجبها كأم في انجاب الأولاد، فكان لهما خلال اثنتي عشرة سنة من الزواج [١٩٦٩ إلى ١٩٨١] هي عمر زواجها، « خمسة أطفال ». كما أنها لم تنس كونها بالأصل بريطانية متحررة (لأنها لبست ثوب الدين الاسلامي الحنيف لمصلحتها) فأنشأت علاقات غرامية محرّمة ومن وراء زوجها الذي ألهته الأسفار والملايين. ومع من ؟ مع « حفيد » ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا السابق واسمه « ونستون » أيضاً، وهو شاب رياضي متزوج وله ولدان وبنتان. وقد تعرفت عليه ثريا أثناء إبرام اتفاقية بيع أسلحة للسعودية.

○ من هو ونستون تشرشل الحفيد ــ الدون جوان ــ ؟ :

ــ ونستون تشرشل الجد رئيس وزراء بريطانيا إبان الحرب العالمية الثانية، خلّف عدة أولاد منهم راندولف تشرشل الذي رزق بولد سماه ونستون، تيمناً بجده، ما لبث أن شب وترعرع كأبيه وجده، فعمل في حقل الصحافة ثم السياسة فانتخب عضواً في البرلمان البريطاني في عام ١٩٧٠ رغم صغر سنه في حينه ــ كان عمره ٢٩ ــ وفي عام ١٩٧٦ عيّن وزيراً للدفاع في حكومة المحافظين، ولكنه ترك هذا المنصب مرغماً

في عام ١٩٧٧ « تحت ضغط سياسي » بعد أن تحدى (مارغريت تاتشر) رئيس الوزراء حالياً ــ للتصويت ضد سياسة حزبه حول قضية استمرار العقوبات على روديسيا، وبعد انتصار مارغريت تاتشر في الانتخابات البريطانية امتنعت عن تعيينه في أي منصب وزاري، فابتعد عن الأضواء حتى تاريخ « كشف » علاقته الغرامية مع « ثريا الخاشقجي ».

○ أسباب فضيحة ساندرا ــ ثريا الخاشقجي :

ــ « ساندرا » أو ثريا الخاشقجي تمتعت بملايين زوجها لآخر حدّ، ولم تحرم نفسها شيئاً من مباهج الحياة ونعمائها، إذ حصلت على كل ما كانت تمني النفس به « حين حضورها الأول الى باريس » عندما كان عمرها ثمانية عشر عاماً، وبعد زواجها من عدنان، وقد امتلكت الجواهر الغالية ولبست أزهى وأغلى الثياب الباريسية، وأصبحت معروفة لدى دور المجوهرات والأزياء حتى أتخمت خزائنها. كانت من جهتها تشعر بقرارة نفسها بأنها أخطأت بحق زوجها، وذلك لأنها اعترفت فيما بعد وأثناء المحاكمة أن العلاقة التي كانت بينها وبين ونستون الحفيد هي اكثر من الصداقة، وأنها كانت تعدّ نفسها للانفصال عن زوجها بعد أن شعرت أنه بدأ يملُّها ويقضي أيامه متنقلاً بين عواصم أوربا لقضاء أعماله الكبيرة، والمرور على مكاتبه وفروع شركته. ولكن كلمة حق تقال أنه حين شعر أنها لا تحترم شعائر الدين الاسلامي الحنيف، ولا تحترم قدسية الحياة الزوجية، وبرغم حبه الكبير لها ولأولاده منها، فقد طلب منها وبروح رياضية أو عصرية أن تخرج من حياته بالطلاق، وأن تحتفظ لنفسها وأولادها بكل ما لديها، أو بالأحرى سامحها بكل ما تحت يدها من المجوهرات التي يقدر ثمنها في حينه بسبعة عشر مليون دولار.

عادث ثريا / ساندرا وتوجهت إلى كاليفورنيا وهي تحمل عارها

وخجلها وعوضاً من أن تفتح صفحة جديدة في حياتها وتكفّر عما بدر منها بحق زوجها وولي نعمتها .. أقنعها بعض المحامين الأميركيين المتمرسين في مثل هذه الدعاوى الفضائح، بأنها « يحق لها » الحصول على « نصف ثروة زوجها » كتعويض عن الطلاق الذي أوهموها أنه « طلاق تعسفي »، بينما الحقيقة أنه طلاق بعد ثبوت الخيانة والزنا وعقوبته اسلامياً الرجم .. ألخ وأوهموها أنهم يعرفون أن مالية زوجها عدنان الخاشقجي في حينه هي خمسة مليارات دولار. وقالوا لها إن بإمكانهم الحكم لصالحها في هذه الحال بحصولها على ٢,٥ مليار دولار. فوافقت معهم وبدأت الدعوى بين المطلقة ساندرا / أو ثريا وبين الخاشقجي.

وهكذا بدأت ساندرا تتحرك بعد أمّنت لأولادها المربّيات على الطريقة الأميركية، وأخذت تسافر متنقلة كما يحلو لها في أوربا « بحجة المحاكمة ». وكانت لا تنسى وقد أصبحت متحررة طليقة « أن تخطف رجلها » إلى لندن للقاء حبيب القلب « البوي فريند ونستون ». الذي خذلها في إحدى الزيارات ولم يحضر إلى مطار لندن لاستقبالها بسيارته الرولز رايس، فاضطرت لترك متاعها في إحدى زوايا المطار للبحث والاتصال به هاتفياً، وعادت لتجد أن بعض حقائبها قد فتحت وسرق من حقيبة السامسونايت النسائية خاصتها جواهر تقدر قيمتها بالملايين. فقدمت شكوى رسمية للشرطة البريطانية في مطار لندن التي بدأت التحقيق معها أولاً وكأي أنثى مغرورة بنفسها وأنوثتها وجمالها وصداقتها للسير ونستون فقد ذكرت اسمه بالتحقيق باعتبار أن السرقة حصلت عندما كانت تتصل به للحضور لملاقاتها.

استغل ثلاثة من رجال الشرطة البريطانيين ضعيفي النفوس الذين يتولون التحقيق معها تخويفها بموضوع إشراك ونستون بالقضية. وقالوا لها إنهم سوف يستدعونه رغم مكانته السياسية والدبلوماسية، ويعرف ما يكلف

السياسي وخصوصاً في بريطانيا من إساءة لسمعته لدى طلبه لأي تحقيق، خصوصاً والمطلوب هنا هو حفيد ونستون تشرشل، الشخصية الاسطورة في بريطانيا. فرفضت ساندرا مبدأ استدعائه لعدم إحراجه أمام زملائه « أعضاء مجلس العموم البريطاني »، وطلبت منهم لفلفة القضية وسحبها من بين أيديهم، فزادوا من تخويفها بأن أبلغوها بأنهم في حال إصرارها على سحب دعوى السرقة فإنهم يتهمونها أمام النيابة العامة البريطانية بأنها أبلغت عن قضية كاذبة، وأنها سوف تتعرض، في حال ثبوت تقديمها دعوى كاذبة، لعقوبة بالسجن من شهر لثلاثة أشهر وتغريمها فوق ذلك مبلغ (١٣٢٠٠ جنيه استرليني). ولكنها، وهي التي تخوض حرباً قضائية مع زوجها الخاشقجي ومحاميه أصبحت ملمَّة ببعض الأصول والقوانين، تجرأت عليهم ولم تستسلم لابتزازهم، وتقدمت بدعوى فورية إلى قيادة الشرطة البريطانية، ثم إلى المحكمة المختصة حيث جرى الحكم عليهم بالسجن ثلاث سنوات « مع الطرد من سلك الشرطة » ليكونوا عبرة لغيرهم من رجال الشرطة البريطانيين. وأثناء مجريات المحاكمة صرح أحد هؤلاء الشرطة بأنهم فعلاً كانوا يحققون معها حول علاقتها مع سياسي بارز « بدون ذكر الاسم » ولكن قاضي الجنايات طلب منها إعلامه عمن يكون هذا السياسي البارز، فكتب اسمه على ورقة وسلمت الورقة للقاضي شخصياً فقام القاضي يعرض الاسم على المحلفين فقط. وفي اليوم التالي أصدر محامو ونستون تشرشل الحفيد بياناً للصحف البريطانية جاء فيه ما يلي :

في سبيل تجنُّب أية تكهنات أو استنتاجات أخرى تتعلق بأعضاء آخرين في المجلس الموقر، أوعز إلينا موكّلنا النائب تشرشل للإعلان بأن الاسم الذي دوّن في محكمة « أولد بيلي » هو اسمه .. وبعد هذا الاعتراف الجريء على طريقة الأدب البريطاني حدثت ضجة سياسية أعادت للأذهان (فضيحة وزير الدفاع بروفوميو) مع كريستين كيلر حيث اختفى تشرشل الحفيد بعدها من على مسرح السياسة. وانقطع عن

حضور جلسات مجلس العموم، فطالب زميله النائب العمالي « جيمس ولبيلاند » بفتح تحقيق حول هذه القضية من قبل لجنة الأمن في المجلس بسبب وجود أنباء حقيقية عن تورُّط لتشرشل الحفيد مع نساء ومبتزين من الشرطة يمارسون أساليب فاسدة. بينما عادت ساندرا / ثريا إلى أميركا لمتابعة دعواها على مطلقها الخاشقجي، وقد خلفت وراءها في لندن فضيحة أخلاقية وسياسية لا تقل ضخامة عن قضية طلاقها. ومع الزمن طويت دعواها المقامة على زوجها السابق بعد تسويات وتنازلات من الزوج الكريم لقاء أولاده منها فقط.

استمرار أعمال ومقاولات الخاشقجي بالصعود :

○ وعاد الخاشقجي لأعماله الضخمة مع أخوته في شركتهم « تراياد » يساند جهوده في مبيعاته وعلاقاته التجارية ثلاثة عشر مكتباً موزعة ما بين أوربا والشرق الأوسط وآسيا، وتنقل العمليات والمعلومات من هذه المكاتب إلى كمبيوتر من طراز (أي. — بي. — أم — ٣٢) وضع في بيت أنيق لا لوحة عليه، في الرقم ٣٤ من شارع — أبربروك — في لندن. ويتلقى لويس لولر وهو مهندس سابق في شركة لوكهيد، ويشغل منصب نائب الرئيس التنفيذي لشركة تراياد، يتلقى باستمرار من الكمبيوتر نشرات تتعلق بالعقود والمشاريع الخاصة بست دول عربية وبإمكانية تنظيم أعمال جديدة للشركة مع زبائن جدد أيضاً.

ولا شك في أن جزءاً من نجاح الشركة يعود إلى مزيج من خبرة « لولر » الفنية وأهمية علاقات الخاشقجي الخاصة. ويقول لويس لولر : « إن الناس يبدون اهتماماً بأي شيء يعرضه عليهم عدنان. لكن الشركة تقوم بما هو أهم من ذلك، إنها تساعد على صياغة عرض الشركة المتقدمة بشكل يتلاءم مع العقلية العربية، كما أنها تبذل جهدها كي تكون المواصفات الحكومية متلائمة مع إمكانيات أي شركة تتعامل معها

« ترایاد ». ومع ذلك فإن ترتيب مشروع هام يستغرق ما بين ثلاث أو خمس سنوات من العمل الدؤوب والجلد والصبر ».

على الرغم من كل ذلك وفي بعض الأحيان، فإن بعض المشاريع قد لا ترى النور. وشركة التسويق المتفرعة من « ترایاد » تعمل على أساس تقاضي عمولة قدرها خمسة بالمائة إذا ما تم إبرام العقد، ولا تتقاضى شيئاً اذا لم يوقع العقد. وكما يقول لولر فإن هذا العمل يختلف عن بيع المعلبات. وقد قضت « ترایاد » نحو عشر سنوات في محاولة لإقناع المسؤولين بصلاحية نظام لحركة الطيران في السعودية. وقد أدرك المسؤولون عن التسويق أن هناك حاجة لمثل هذا النظام، فألفوا مجموعة من الشركات بقيادة شركة « دايثيون » التي تخلت عن محاولة كسب المشروع بعد جهود ونفقات باهظة خلال ثلاث سنوات ونصف السنة.

كان على الخاشقجي حينئذٍ أن يذلل صعوبات كبيرة ناجمة عن اختلاف وجهات النظر بين السلطات العسكرية والسلطات المدنية. فلجأ إلى خطة جديدة لكن مع شركة لوكهيد هذه المرة. ففي البدء ساعدت « ترایاد » شركة لوكهيد في الحصول على عقد بسيط لتقديم مشورة إلى سلاح الطيران السعودي، لكن هذا العقد مهّد الطريق أمام حصول لوكهيد على عقد أصخم لتنظيم الجهاز الأرضي للدفاع الجوي. ولم يكن ذلك إلا منطلقاً من أجل بلوغ الهدف البعيد. فقد حصلت ترایاد على موافقة السلطات المختصة على دراسة فنية لتنظيم جهاز المراقبة الجوية حتى حصلت مجموعة من الشركات، وعلى رأسها لوكهيد، على عقد أولي لبناء هذا الجهاز وبلغت قيمته ٦١١ مليون دولار.

وفي السنوات القليلة الماضية بدأت ترایاد تكيِّف نفسها لتتماشى مع التحوُّل الأساسي في السوق السعودية. فالحكومة بدأت تقلِّل من مشترياتها من المعدات والأجهزة العسكرية، ومن ناحية ثانية عكفت على تنفيذ خطة خمسية تزمع أن تنفق عليها مائة وأربعين مليار دولار من أجل إنماء

السعودية اقتصادياً واجتماعياً. وقد عمل الخاشقجي جهده للحصول على حصته في هذا المجال، فبدأ يتحول إلى بيع الخدمات التي تتراوح بين مستودعات للمواد الغذائية وبناء مؤسسات الصيانة. وهو يفاوض في الوقت نفسه من أجل إنشاء شركات مختلطة في مجالات الخدمات مع الكثيرين من زبائنه السابقين بما فيهم « لوكهيد ». وهكذا قدّر الخاشقجي أن يحصل على أرباح تبلغ ثلث ما تجنيه الشركات المحلية الجديدة التي يملك فيها حصصاً عوضاً عن تقاضي العمولة سابقاً.

هواية الخاشقجي مخاطبة الرؤساء والملوك مباشرة :

○ أثبت الخاشقجي أنه قادر على خلق فرص للاستثمار خارج مسقط رأسه السعودية، وذلك باتجاهه إلى مخاطبة الملوك والرؤساء مباشرة. فقد أثمرت اتصالاته بالسادات عن إصدار مراسيم تسمح لشركته بإقامة فنادق ومكاتب في عمليات مشتركة مع الحكومة المصرية وشركاء أجانب، وقد أدخل الخاشقجي إلى مصر شركات يملك فيها مساهمات مهمة كشركة « مانيرا » الفرنسية للعقارات، وشركة « ساذرن باسيفيك بروبرتيز » المسجلة في هونغ كونغ والتي يملك الخاشقجي ٢٩٪ من أسهمها، وقد بنت هذه الشركة مدينة سياحية قرب أهرامات الجيزة، وفي بلدة الأقصر الأثرية.

وفي السودان « أيام حكم جعفر النميري »، استخدم عدنان مهارته كوسيط ورجل أعمال وأفهم الرئيس النميري في حينه أنه يستطيع إعادة بناء اقتصاديات البلد بكاملها. وقد قال له أيضاً : السبيل الوحيد الذي أراه ممكناً لتحقيق شيءٍ ما هنا « في السودان » هو حصولكم على الكثير من الأموال؛ فوافقه النميري على أقواله وأشعل له « الضوء الأخضر ». فوفق الخاشقجي إلى جلب قرض للسودان بمبلغ مائتي مليون دولار اشترك في تأمين هذا القرض وبسعي جادٍّ منه، كلٌّ من بنك « تشايس » و « سيتي

بنك ». كما أمّن الخاشقجي « ضمانة الحكومة السعودية » للقرض، لأن السعودية ترى في السودان الغني بأراضيه الشاسعة وأمطاره الغزيرة مصدراً جيداً للمواد الغذائية، والأهم من هذا كله : « يهم السعودية أن ترى السودان يعود عن مغازلة عابرة مع الاشتراكية ». فعملت « ترایاد » على انشاء مزرعة في السودان تبلغ مساحتها مليون فدان، كما أنها أنشأت معملاً لتجميع الآلات الزراعية. وإذ سعى الخاشقجي أيضاً من أجل إدخال مستثمرين جدد في هذه المشاريع، فإنه جلب زبائن لبيع معداتهم هناك، بما في ذلك إقامة محطة اتصال بالأقمار الصناعية. وقال الخاشقجي عن السودان : « لقد فعلنا الكثير من أجل مصلحة البلد ».

وعلى الرغم من أن الخاشقجي يردد بأنه يوظف الكثير في « بلدان العالم الثالث »، فهو في الواقع يعمل كمروج لأفكار ومشاريع مختلفة، إذ سرعان ما يترك العمل في بناء فندق أو مصنع ليتحوَّل إلى عمل آخر. ويعلق على ذلك بقوله : « إننا نخرج بمشاريع، لكننا نحاول عدم التورط في غرامها ». ومن الصعب الاقتناع بأساليب الخاشقجي في العمل ما لم تشاهده عن كثب وهو يعمل، وهو يشتغل دون توقف؛ يخلط أوراقه ويعدِّد أدواره. فمثلاً عندما كان في لندن ذات مرة كان الملك خالد في المستشفى وقد تماثل للشفاء ويقضي فترة من النقاهة؛ فتوجه الخاشقجي مع مرافقه وسائقه إلى محل راق لبيع الزهور الفاخرة واشترى باقة فخمة من الزهور النادرة والغالية التي تبعث منها الروائح العطرة الذكية، وجعل موظف محل الزهورات يكتب له بطاقة بالخط العريض : « مع أطيب التمنيات بالشفاء العاجل لجلالتكم والعمر الطويل — عدنان الخاشقجي »، ثم توجه الى المستشفى حيث أدخلت باقة الورود إلى الملك خالد ولم ينتظر عدنان في الصالون اكثر من خمس دقائق، وكان لهذه البادرة أطيب الأثر لدى الملك خالد رحمه الله.

خرج من المستشفى الى مكتبه رأساً واجتمع بالعديد من رجال

الأعمال الذين كانوا ينتظرونه، ثم انتقل الى اجتماع آخر متحدثاً عن استثمار في المشاريع الزراعية في السودان وتصنيعها؛ وبعد ذلك بأيام أثبت الخاشقجي كيف يحسن الإفادة من علاقاته الطيبة، فأخذ لولر وعدداً من ممثلي الشركات التي يتعامل معها في طائرته الخاصة لزيارة البحرين لمدة يوم واحد. استقبل الخاشقجي بحرارة وركب مع صحبه السيارات الحكومية الفاخرة التي كانت بانتظارهم حيث انتقلوا لمقابلة المسؤولين الذين كانوا ينتظرون وصولهم. ورحب بهم رئيس الحكومة بالذات الشيخ خليفة الذي قال لعدنان : أرجو أن تعتبر نفسك في بيتك.

لم يتأخر الخاشقجي في تأييد كلام رئيس الوزراء البحراني، إذ سرعان ما أخرج من حقيبته مشروع الجسر الذي سيربط بين البحرين والمملكة العربية السعودية فيما بعد والذي مولت إقامته السعودية وبلغت تكاليفه « مليار دولار » حيث قدم عدنان مجموعة من المقاولين البريطانيين الذين حصلوا على امتياز هذا المشروع ومعه مشروع مدينة سكنية. وأثناء الغداء مع وزراء بحرانيين، ولدى تقديم القهوة المرّة في أواني صينية ضمن أوعية نحاسية، وجد الخاشقجي الفرصة مناسبة لدعوة مضيفيه الى المساهمة في بعض المشاريع التي ينوي تنفيذها. وفي مساء اليوم نفسه انتقل الخاشقجي بطائرته أيضاً الى السعودية حيث تتابعت لقاءات عمل مرهقة؛ ففي بيته في الرياض وهو مجموعة فيلات صغيرة تصل فيما بينها ممرات وقاعات للجلوس، كان هناك الكثيرون ينتظرون الاجتماع به، وبعد أيام التقى بمسؤول أردني رفيع المستوى في وزارة الطيران المدني وبأحد رجال الأعمال البارزين بالكويت، وبمقاول من كوريا الجنوبية، وبرجل أعمال أميركي وبعددٍ كبير من مختلف النشاطات والجنسيات.

يجلس الخاشقجي مع زائريه في مختلف القاعات بتنظيم وعناية، ينتقل بينهم يحدث هذا ويمازح الآخر انتظاراً للحديث الجدّي معه، ويشد على ذراع أحدهم قبل أن ينتقل الى الحديث مع آخر، تاركاً لمعاونيه متابعة

الحديث مع الأول أثناء انشغاله عنه مع الثاني والثالث ... ألخ وقد علق أخوه عادل على ذلك بقوله : « اني لأعجب كيف يستطيع الإحاطة بمختلف هذه المواضيع التي يفاوض فيها » ويزيد العجب عندما نعلم أن الخاشقجي لا ينام سوى ساعات قليلة كل ليلة. ففي الرياض تم بلوغ بعض النتائج الحسية. فمثلاً أتم « هنري أوسون » المدير في شركة باكار العالمية وضع الخطط اللازمة لتمويل فرع مبيعات « ترایاد » لشاحنات كنوارث إلى وكالة عامة تتولّى الخدمة والتصليح أيضاً. كذلك وقّع « ماريو رندا » وهو رئيس مجلس ادارة شركة أميركية للبناء اتفاقية لتأسيس شركة مختلفة برأسمال خمسة ملايين دولار لبناء المساكن بالإسمنت المصبوب مقدماً (Precast) مسبق الصنع.

وعندما يكون الخاشقجي بالرياض فإنه يكون نجم وجبات العشاء التي تقدم عادة عند منتصف الليل للذين يصمدون حتى ذلك الحين. فيجلس الخاشقجي على رأس الطاولة ويملأ صحنه بالخروف المشوي والدجاج وغير ذلك من المآكل العربية، ويبدأ بين لقمة وأخرى بالتندّر حول شتى المواضيع وحول أصدقائه، حتى أنه يتندّر على نفسه وعلى كرشه. وفي إحدى الأمسيات تساءل لماذا احتفظ الرئيس السابق نيكسون بالأشرطة المسجلة التي تدينه ؟ ثم قال لأحد ضيوفه من الأميركيين : « أعتقد أن مجتمعكم السياسي فيه انحراف كثير » ثم قال : تصوروا أن بلداً فقيراً مثل كوريا الجنوبية تمكن من زرع عميل له داخل الكونغرس الأميركي. ترى ماذا تستطيع روسيا فعله ولديها هذه المخابرات القوية ؟ وبينما كان ضيوفه يغالبون النوم كان الخاشقجي يمسك سماعة الهاتف ويبدأ اتصالات جديدة وبصوت منخفض مع مدراء مكاتبه في جميع أنحاء العالم. وقد علق أحد مساعديه قائلاً : « إن عدنان لا يطيق أن يظل بمفرده ».

أول المتاعب في طريق الخاشقجي :

○ لا يخفي الخاشقجي المصاعب التي يواجهها في الولايات المتحدة. فالمعروف أنه منذ سنتين بدأت تحقيقات لجان الكونغرس مع مسؤولي شركتي « نور ثروب » و « لوكهيد ». اتهم بعضهم الخاشقجي بأنه طلب وحصّل مبالغ إضافية لدفعها كرشاوى. ومع أن الخاشقجي استطاع أن يزيل آثار العناوين الضخمة فإن هيئة محلفين فيدرالية تابعت التحقيق فيما نسب إلى الشركات من دفع رشاوى في الخارج. وينفي الخاشقجي بهدوء عجيب كل ما ينسب إليه، ويكتفي بالقول : « إذا كان للمرء أصدقاء يثقون به، فلا موجب لتقديم رشاوى لهم ». إلا أنه يعترف بأن هذه الدعاية قد تسببت بإحجام بعض الشركات عن التعامل مع شركته. ومنذ قيام الضجة عن الرشاوى في أميركا حرّمت الحكومة السعودية دفع عمولات على مشترياتها العسكرية. وصدر قانون يلزم الشركات الأجنبية بتعيين وكيل محلي أي سعودي لترويج مبيعاتها، إلا فيما يتعلق بالمشتريات العسكرية، وقد نظّم هذا القانون مهمة الوسيط والوكيل، وربما نسبة الأتعاب التي يحق لهم تقاضيها.

ويعلق الخاشقجي على التحقيقات مع الشركات الأميركية فيقول : « انها تسببت في أن يعتقد الكثيرون بأن ما نتقاضاه من عمولات مشروعة ما هو إلّا رشاوى ».

وعن تردده أو امتناعه عن المثول أمام موظفي لجنة البورصة الفيدرالية في أميركا للادلاء بشهادته حول أعمال الشركات التي يمثلها قال : « اني على استعداد للتعاون مع هذه اللجنة، لكن لماذا ينبغي على رسميّي هذه اللجنة أن يتخلّوا عن إنسانيتهم ولياقتهم ؟ ». ويثبت الخاشقجي كلامه مؤكداً أن السيد « ستانلي سبوركن » مدير القسم التنفيذي في اللجنة قد استخدم عبارات « بذيئة » عندما كان يتحدث إلى محامي « ترایاد » في أميركا. ولم ينكر هذا المدير المدعوم ما نسب إليه، ألا أنه برّر تصريحه

الذي شكا الخاشقجي منه، بأنه قيل في مناسبة مختلفة جداً، مؤكداً أن الخاشقجي سيلقى نفس المعاملة التي يلقاها أي رجل أعمال « أميركي » في موقفه ؟ أي من موقع المساءلة والتحقيق. وهذا يعترض عليه الخاشقجي من حيث المبدأ. فهو ليس مواطناً أميركياً كي يخضع للأنظمة والقوانين الأميركية، لا سيما وأنه أيضاً غير مقيم في أمريكا. وقد عرض الخاشقجي على لجنة البورصة عدة اقتراحات للقاء ممثليها، ألا أنها رفضتها جميعاً، مصرَّة على وجوب مثوله شخصياً امامها في واشنطون.

ولم تكتف بذلك بل طلبت من وزارة العدل ملاحقته قضائياً لتخلُّفه عن الحضور، كما رفضت اللجنة قيام محاميه بالتبلغ عنه، لأنه لم يبلغ (قانونياً) طلب الحضور، وقد نقل الخاشقجي هذه المضايقات المتعمدة الى صديقه السفير السعودي في واشنطون فاحتجت السفارة السعودية الى وزارة الخارجية الأميركية بصورة رسمية.

يقول أحد معاوني الخاشقجي، وهو أميركي الجنسية، إن استمرار هذه المعركة بينه وبين لجنة البورصة تضرّ به (عدنان) وبنا (مكتبه في واشنطون). فالحكومة الأميركية « امتنعت » عن ضمان توظيف بمبلغ ٤٢ مليون دولار في معمل للإسمنت في السودان « بسبب وجود الخاشقجي بين المساهمين » في عملية إنشاء المعمل. كما أن طلباً تقدم به لتأسيس شركة مصرفية قابضة في أميركا ما يزال عالقاً في المؤسسة التي توازي المصرف المركزي. كذلك طلبت شركة تدقيق الحسابات التي يتعامل معها الخاشقجي إعفاءها من مهمتها.

لكن الخاشقجي علمته التجارب أن لا يثنيه شيء عن عزمه وقد صرح بأن هذه المضايقات لم تحمله على إلغاء مشروعه لتأسيس قاعدة لأشغاله في أميركا، وأنه ينتظر حتى تهدأ عاصفة الجنون هذه. والواقع أنه أصبح قوة في المجال الاقتصادي في أميركا. فمن ممتلكاته في أميركا :

○ مصرفان صغيران في كاليفورنيا.

○ شركة « إيدال » العالمية لتجميع المقطورات.

○ قطعة أرض المركز التجاري في « سولت لايك سيتي » تبلغ مساحتها ٧٤٢ فدان.

○ مزرعة حديثة في فلوريدا مساحتها ١٢,٦٠٠ فدان.

○ ٢١ فداناً في الوسط التجاري في مدينة هيوستن اشتراها بمبلغ ستة ملايين ونصف المليون وقد تم رصد مبلغ ١٥٠ مليون دولار لتشييد أبنية على هذه الأرض.

وإلى حين كتابة وتحرير هذه السطور في قصة حياته يكون قد اشترى « شركة أميركية ذات حجم مناسب ومتعددة الاهتمامات ». ويبرِّر هذا الاهتمام برغبته في الحصول على ما يسميه « جواز مرور » إلى التكنولوجيا والادارة والتمويل في أميركا للافادة منها في المناطق التي يتعامل معها والتي يعرفها جيداً. وهدفه الأبعد أن يدمج شركة « ترایاد » بالشركة التي ينوي شراءها أو يكون قد اشتراها. كما رصد لهذه الفكرة ميزانية تصل إلى مئتي مليون دولار، تمكنه من السيطرة على ثلث أسهم الشركة التي يقع عليها الاختيار. وفي وقت من الأوقات ركّز أنظاره على شركة « ويتكر » التي تصنع منتوجات منوعة. كما أنه فكر عام ١٩٨٨ بشراء شركة « كابوت وفوربس » الشركة العقارية المعروفة في بوسطن. لكنه عاد عن فكرة الشراء واكتفى « بتوظيف » ثلاثة ملايين دولار في أحد مشاريع الشركة الكبرى، ومع أن هذا المبلغ المتواضع من مالية الخاشقجي يعتبر بمثابة قرض ألا أنه يمكن تحويله إلى حصة محترمة في المبنى الجديد الضخم الذي سيضم العديد من المكاتب في أحد أهم شوارع بوسطن.

ويعتبر حصول الخاشقجي على موطئ قدم في الجهاز المصرفي في أميركا هو مقدمة لتطلعات خاشقجية أوسع، فهو يقول : « إذا حصل

المرء على ركيزة في الوسط المصرفي في أميركا فإن الناس هناك يعتبرونه ذا مقدرة وامكانات ويُظهرون له الودّ والاحترام ».

وكنا قد ذكرنا أنه من جملة ممتلكاته في أميركا مصرفان في كاليفورنيا : المصرف الأول اشتراه عام ١٩٧٢ واسمه « سيكورتي ناشيونال بنك » بمبلغ ١١ مليون دولار. وهذا السعر يوازي ضعف السعر الذي كان يساويه المصرف في ذلك الحين. وقد خسر المصرف في تلك السنة ٣٠٠ ألف دولار. لكنه أصبح الآن يدرُّ ربحاً وفيراً، وتقدَّر قيمته بـ ١٠٠ مليون دولار. والخاشقجي قانع بالربح المتواضع الذي يدره عليه هذا المصرف، والمصرف الآخر الذي يملكه في المدينة نفسها. وفي سنة ١٩٧٤ حاول شراء مصرف اكبر من الاثنين هو « فيرست ناشيونال » في مدينة سانت هوزيه في كاليفورنيا أيضاً، ولكنه عدل عن الشراء بعد أن قامت حملة عنيفة في وجهه أو ضدّ « محاولة عربي السيطرة على البنك ».

ولعل أكبر « فشل » مُني به الخاشقجي في مشاريعه الأميركية هو محاولته نقل الخبرة الزراعية الأميركية الى الشرق الأوسط عن طريق شركة « أريزونا ــ كولورادو للأراضي والمواشي ». فقد حصل عام ١٩٧٤ بواسطة خبراء الاستثمار « مورغن ستانلي » على ١٤ بالمئة من الشركة لقاء تسعة ملايين دولار. ثم أنفق مليوني دولار على تأسيس فرع دولي لها لإدارة المشاريع الزراعية في مصر والسودان. لكن سرعان ما أصيب سوق الماشية في أميركا والعالم بنكسة كبرى، ولم يكتب لهذه المشاريع الزراعية النجاح. وقد أدت هذه التجربة الغير مرضية إلى إقدام الخاشقجي على إعادة النظر في أجهزة شركاته. فاستدعى شركة « ماكنسي » الاستشارية لدراسة أوضاعها، فأوصت بضرورة تعديل سياسة الاستثمار، وإجراء تبديلات هامة في جهازه الاداري، وهكذا كان. فقد تقاعد بعض المديرين وحلّ محلهم مجموعة من المحللين الاقتصاديين

يعملون في مكاتب الشركة في لندن وباريس ويقومون بالدراسات والاستقصاءات.

ويعلق على ذلك شقيقه عصام قائلاً : أجرينا دراسات دقيقة لكل مشروع، فبدلاً من أن يتراكض أحدهم محاولاً إدراك عدنان « بفكره » وهو يحاول الخروج ويعده بتنفيذها، تحال الفكرة للدراسة وهكذا يستمر العمل الجاد المدروس.

ويشبه الخاشقجي نفسه بجون روكفلر. وجي. بي. مورغان اللذين لعبا دوراً هاماً كبيراً في بناء الاقتصاد الأميركي في نهاية القرن الماضي. ويقول : إنني أعمل في بلادنا « السعودية »[1] ما عملاه في بلدكم « أمريكا ».

وتستمر الحياة ويستمر عمل الشركات التي يمثلها ويتعامل معها، ويستمر ممثلوها في كيل المديح له على الرغم من الضجة والحملات والاتهامات. يقول « روي أندرسون » نائب رئيس مجلس إدارة لوكهيد : « إن الخاشقجي ليس وكيلاً لنا وحسب، إنما هو مفكر يستقرئ المستقبل، وهو يطلع علينا دائماً بأفكار صائبة نستفيد منها كثيراً ». ويضيف قائلاً : « إن عدنان ممتاز ونافع، ونرجو أن تستمر علاقتنا كما هي ».

أما عدنان الخاشقجي نفسه فيعلق على مهارته وكفاءته بقوله : « لقد أثمرت أعمالي في الأدغال، ونجحت في الصحراء، وهي ناجحة في كل مكان ». فهو، كما يقول الخاشقجي عن نفسه، يحمل لقب الموصل أي

---

(١) مدينتان سكنيتان : يقوم الخاشقجي استناداً لمعلومات موثوقة وصلتنا أثناء تحرير هذا الفصل عنه، أن شركته تقوم بإنشاء مدينتين سكنيتين، احداهما في مدينة الرياض واسمها « حديقة الرياض » ينفذها كونسورتيوم ألماني غربي، والمدينة السكنية الثانية في جده وتسمى « حديقة جده » وينفذها كونسورتيوم إيطالي ...

أنه الذي يوصل بين طرفين، ويقول إنه خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية قد أمّن بيع مواد بلغت قيمتها ١١ مليار ونصف المليار دولار، وبلغت عمولاته على هذه المبلغ ما مجموعه ٥٢٥ مليون دولار.

بعد كل ذلك يحق لنا وللقراء أن نقف لحظات نستعرض فيها طريقة حياة الخاشقجي الخاصة بعد كل هذا الشرح عن أعماله وصعوده. هذه الحياة تتصف بالفخفخة والعظمة، فبساط ريحه الذي ينقله عبر العالم وهو طوع بنانه في أية لحظة هو طائرته الفخمة من طراز بوينغ (٧٠٧) التي أوصى عليها شركة بوينغ خصيصاً، حيث أضيفت اليها ميزات المنزل العربي الطائر، مما دعانا لتسميتها بساط الريح. وهذه الطائرة تعتبر أيضاً بمثابة المكتب الخاص له يقضي فيه نصف وقته. وعدنان إذ يقارب الخمسين من العمر أميل إلى البدانة « السمنة » وتحوي طائرته على حاشية لرفاهيته مؤلفة من مساعد شخصي أميركي (سكرتير)، حارس أمن من كوريا الجنوبية، والمرافق الرياضي، وهو من لبنان، ومهمته تدليك عضلات الخاشقجي وعمل المساج اللازم لصحته. ومن جملة معدات العمل الفخمة يقتني يختين بحريين فخمين وعدة سيارات وبيوتاً كثيرة موزعة بين لندن وروما وباريس وكان ونيويورك وبيروت والرياض وجدة، ويشبه إلى حد ما بطل رواية هارولد روبنز « القرصان » أي أنه رجل أعمال على مستوى عالمي ذو اهتمامات متعددة التنوع.

لكن على الرغم من جميع هذه المظاهر فإن الخاشقجي يؤدي دوراً اقتصادياً مهماً في بلاده. كما ذكرنا. فنشاطاته الاقتصادية تتشابك وتتداخل بشكل يثير الصداع لمن يحاول تحليلها وتصنيفها بدقة. ومهما تكن الحقائق وراء ما يقال عنه في بعض دوائر العاصمة الأميركية. وهكذا مما لا شك فيه أن الخاشقجي ليس مجرد وسيط أو موصل، كما يقول، أو ساعي بريد، كما يقال عنه. فالبلدان العربية الغنية ترغب في استثمار واستخدام ثروتها المستحدثة من أجل بناء مجتمعات جديدة، لكنها لا تثق

كثيراً « بالأجانب »؛ لذلك كان الخاشقجي (وهو الذي تثقف بالغرب) يؤدي دور الجسر بين الطرفين شأنه في ذلك شأن أي رجل أعمال كبير في أي بلد آخر.

والخاشقجي كان ولا يزال يحلم بأن يرى نفسه من بنات الأمم. فهو يشجع الاستثمار في المشاريع العمرانية والزراعية والصناعية في بلدان، كالسودان ومصر وغيرهما من البلاد النامية، « مستخدماً أمواله » وما يمكنه تأمينه من مساهمة بلدان عربية غنية أو أفراد « ذوي ثراء » من العالم العربي. ولعل بعض السرّ في نجاحه الذي ذكرنا يكمن معظمه في الدور الذي يلعبه في أي وقت من الأوقات. يتحدث أحد مديري أعماله بإعجاب قائلاً : من الصعب معرفة الجهة التي يعمل من أجلها الخاشقجي : هل هو يعمل من أجل بلد معيّن ؟ أم من أجل شركة ؟ أم لنفسه ومستقبله ؟ كما أنه عمل في السنوات السابقة على بناء امبراطوريته الاقتصادية التي سماها « الحلم الكبير »، والتي كان يرغب أن تكون عبارة عن مؤسسة كبرى متعددة الجنسيات يكون مقرها الولايات المتحدة الأميركية « وقد تبين خطأه في تعيين المكان بعد أن كشّرت له السلطات الأميركية عن أنيابها ».

وحتى الآن ورغم المضايقات التي تعرض لنا في اميركا فقد وظّف اكثر من خمسين مليون دولار في مصارف وشركات صناعية، عدا عن تخصيصه ميزانية ضخمة لمشاريع ثانية ينوي تنفيذها في أميركا. وهناك نحو ثلاثين من مدرائه الخمسين هم من أصل أميركي. لكنه بسبب هذه المضايقات التي ذكرناها يجد الخاشقجي أنه من الصعب عليه الآن (نحن في أوائل عام ١٩٨٩ أثناء تحرير هذا الفصل عنه) زيارة الولايات المتحدة. وهو يعتقد أن أفضل السبل لكسب احترام الأوساط التجارية هو نجاحه في العمل على النطاق العالمي.

كيف يعمل الخاشقجي :

○ توجّه الخاشقجي في طائرته البوينغ ٧٠٧ الخاصة إلى السعودية وبالتحديد قاصداً مدينة الرياض وقادماً من بروكسل. وما إن اقتربت الطائرة من مطار الرياض الدولي حتى استبدل بذلته الغربية باللباس العربي الفضفاض، ويسمى بالسعودية والكويت « الدشداشة »، وقال وهو يشير بيديه إلى أرض الرياض من الطائرة : « هنا تستطيع أن تنجز أعمالاً وتحقق فائدة منها ».

ولكي يثبت القول بالفعل والحجة أخلى قاعة الجلوس في الطائرة من المرافقين وأخرج من حقيبة جلدية سوداء أنيقة سجلات عن « الشركة الثلاثية للتسويق »، أي شركته مع شقيقيه عادل وعصام، وحسب سجلات المحاسبة يمكن معرفة مجموع عائدات الشركة لعام واحد وهو مبلغ ٧٥ مليون دولار. عشرون بالمئة منها ينفق على الرواتب والمصاريف العمومية، أما الباقي فيوظف في مشاريع ليس في الولايات المتحدة وأوربا فحسب، وإنما أيضاً في بلدان اخرى كجزر سيشل والبرازيل وكوريا الجنوبية وخاصة في بلاده المملكة العربية السعودية. وتشير نشاطات شركته إلى أن مجموع ممتلكاته تساوي ٦٠٠ مليون دولار « عدا عن جميع أمواله وأرصدته التي قدّرها محامو زوجته السابقة ثريا بـ ٥ مليارات دولار ». ويقول الخاشقجي وهو يتهيأ لمغادرة طائرته الخاصة : أنا على استعداد دائماً لعرض ما عندي، ولولا أني آتٍ من الصحراء لما حاولوا دائماً نشر سياج من الألغاز حولي.

كلمات نذكرها للحقيقة قبل البحث في اتجاهات الخاشقجي السياسية :

○ من المعروف أن الصهيونية والصحف الموالية لها في أميركا تهاجم كل ما هو عربي. فنجاح أي عربي يقلقها سواء كان فرداً أو مؤسسة؛ وفي مدينة « سبرنغفيلد » في ولاية « ماساتشوستس » تواصل صحيفة « يونيون » حملاتها على رجل الأعمال العربي عدنان الخاشقجي بمقالات تقطر حقداً وحسداً، حتى عندما يكون الموضوع إطراء لأعماله صادراً عن دوائر مسؤولة أميركية. فقد نشرت في أحد أعدادها مقالين خلال اسبوعين تناولا الخاشقجي، وفي أحدهما قالت بالحرف الواحد : « تقول وزارة الخارجية الأميركية للشركات في الولايات المتحدة إن شركة « تراياد » التي يملكها الخاشقجي تتمتع بسمعة ممتازة في الأوساط التجارية العالمية، والمصارف العالمية والمحلية تثني على وضعها المالي وعلى تنفيذها لالتزاماتها التجارية ».

ومضت الصحيفة قائلة : « لقد علمت هذه الزاوية أن وزارة الخارجية ما تزال توصي بالتعامل مع شركة الخاشقجي الذي وصفته محطة كولومبيا في منهجها التلفزيوني الذي استغرق ستين دقيقة بأنه الرجل الذي يساوي المائة مليون دولار، وقد ذكر تقرير وزارة الخارجية الذي يوزع على الشركات ورجال الأعمال بأنه « الخاشقجي » ومعاونيه مجموعة من الأكفاء ذوي التجربة والعلاقات الحسنة مع الأوساط الرسمية في الشرق الأوسط.

إلى أن قالت الصحيفة : ولكن منذ حوالي السنة احتج نائب نيويورك الديموقراطي « بنجامين روزنتال » وهو من أصل يهودي لدى وزارة التجارة على إطراء الخاشقجي في التقرير الذي توزعه وزارة التجارة. وقد وعده الوزير بالإيعاز بتعديل لهجة التقرير وتخفيف إطراء ومدح الخاشقجي، إلا أن شيئاً من هذا لم يتم ولم يعدل نص التقرير على الرغم

من الاتهامات التي يتبادلها موظفوا الخارجية ووزارة التجارة حول تحديد المسؤولية عن التقصير في اجراء التعديل.

(وأخيراً عدنان الخاشقجي في دور جديد)

الخاشقجي أصبح سمساراً سياسياً للمشروع الأميركي الاسرائيلي :

○ في الأونة الأخيرة أصبح عدنان الخاشقجي غنياً عن التعريف كواحد من اكبر سماسرة الاتفاقات السرية، خاصة وان مشروع مارشال الاقتصادي للشرق الأوسط قد أصبح علامة على طبيعة اتجاه المشروعات الأميركية نحو البحث عن صفقات اقتصادية تمهد الطريق لتصفية القضايا العربية مقابل مردود مالي. فإن « نشرة المخابرات التنفيذية » هي العنصر الوحيد الذي لا يعتبر مألوفاً في الوطن العربي، ويتعيّن إلقاء نظرة سريعة على هذه النشرة قبل تسجيلها ونشرها اللقاء موضوع هذا البحث مع الخاشقجي :

○ عدنان الخاشقجي.
○ مشروع مارشال للشرق الأوسط.
○ نشرة المخابرات التنفيذية الأميركية.

ثلاثة عناصر كل منها على درجة عالية من الخطورة اجتمعت في لقاء واحد، وفي توقيت يجعل خطورة هذا اللقاء ذا دلالة بالغة؛ فنشرة المخابرات التنفيذية الأميركية، كما يوحي اسمها، تختص بشؤون المخابرات على أعلى مستوياتها. فالمقصود بتعبير التنفيذية هو الرئاسي سواء قصد بذلك معناها السياسي أو بمعناها الذي يستخدم في مؤسسات المخابرات والمؤسسات المالية والعسكرية .. ألخ. وهذه النشرة السرية الهامة مقصورة التوزيع على دائرة ضيّقة للغاية من المسؤولين، ليس في

الولايات المتحدة فحسب بل في أوربا الغربية وأميركا اللاتينية وعدد قليل من دول آسيا « الصناعية »، مثل اليابان، كوريا الجنوبية، سنغافورة، تايوان، وعدد ضئيل من دول العالم الثالث ذات الوزن العسكري الخاص في العالم، مثل « اسرائيل »، أو الوزن السكاني والاستراتيجي مثل مصر والهند والعراق والبرازيل والأرجنتين.

وخلافاً لما يدل عليه اسم النشرة فإنها ليست مجرد نشرة، بل إنها مؤسسة خاصة للمخابرات تجمع المعلومات المختلفة الهامة لحساب المخابرات الرسمية في كل هذه الدول وغيرها حيث توجد لها فروع تنظيمية تخضع لعمليات وخطط، ويكفي أن يكون مركزها في واشنطون، ومركز آخر كبير في مدينة بون بألمانيا الغربية، وتمثل النشرة الحصيلة « القابلة للنشر » بين المسؤولين في الدول المختلفة مما تجمعه هذه المكاتب أو الفروع من معلومات تغطي المجالات الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية والمالية والشخصية كافة.

وثمة حقيقة أخرى عن هذه النشرة هي أن مشتركيها يدفعون عشرات الألوف من الدولارات في صورة اشتراكات .. ويدفعون مبالغ أكبر كثيراً مقابل الحصول على تقارير مفصلة اذا بدا لهم أن فيما هو منشور امور تهمهم وتستدعي انفاق مئات الآلاف أو ملايين الدولارات للاطلاع على النشرة كاملة.

وفي السنوات الأخيرة كانت المخابرات المركزية الأميركية قد تحوّلت من زبون يشتري عدد من النشرات إلى « شريك » للمخابرات التنفيذية، عندما تبين لمدير المخابرات الأميركية المتوفي بجلطة دماغية، وليام كيسي، أن المشرفين على إصدار النشرة « يعرفون أكثر مما تعرف المخابرات الأميركية ». ولهذا شاركت المخابرات الأميركية في إصدار النشرة وأصبح من المعتاد أن تعقد اجتماعات سرية بين المسؤولين في المخابرات الأميركية الرسمية وفعاليات « المخابرات التنفيذية » لتبادل

المعلومات وتوثيق معلومات الطرفين عن طريق مضاهاة ما يحصل عليه كل منهما بوسائله الخاصة.

ويسود الشعور في أوساط المخابرات الأميركية بأن القطاع الخاص في مجال المخابرات ــ كما في المجالات الاخرى في الحياة الأميركية ــ لديه فرصة أكبر لأداء أعماله بنجاح على نطاق أوسع من القطاع الخاص .. ويُعزى هذا الرأي إلى اتساع نطاق العلاقات التي تقيمها فروع المخابرات التنفيذية في داخل الولايات المتحدة والدول ذات الأهمية الاستخباراتية والأمنية الخاصة ..

وفي الوقت نفسه الذي اتسع فيه مجال التعاون والتنسيق بين أجهزة المخابرات الأميركية الرسمية وهذا الجهاز الاستخباراتي الخاص، يلاحظ أن « المخابرات التنفيذية » بدأت توجّه اهتماماً خاصاً لمنطقة الشرق الأوسط مع التركيز على أمن النظم الموالية للولايات المتحدة في المنطقة، وعلى قضايا الصراع العربي الاسرائيلي، والحرب العراقية الايرانية قبل التوقيع على اتفاقية وقف اطلاق النار في آب ١٩٨٨.

ومنذ فترة بدأت المجموعة الاستخباراتية نفسها تصدر نشرة نصف شهرية من ألمانيا الغربية تحت عنوان « ميدل إيست مونيتور » (رصد الشرق الأوسط) وهي من حيث الحجم لا تزيد عن ٤ صفحات صغيرة .. لكن المشتركين فيها يدفعون لها اشتراكاً سنوياً يعادل ٥٠٠٠ دولار.

ونحن نؤكد كباحثين في أدب المخابرات وعلمها أن أجهزة المخابرات الرسمية تجد في « نشرة الأخبار التنفيذية » ونشرة « ميدل إيست مونيتور » وغيرهما من النشرات المحدودة التوزيع التي تصدرها هذه المجموعة، أفضل القنوات « لبث » المعلومات، أو بالأحرى « لزرع » المعلومات التي تريد نقلها بطريقة غير مباشرة الى المسؤولين

والقادة في دول كثيرة ... دون أن يظهر أن هذه المعلومات منقولة عن مصادر المخابرات الأميركية الرسمية.

ونتيجة لهذا فإنه يحدث في بعض الأحيان أن يمدّ المسؤولون في دول اخرى المخابرات الأميركية، ومن خلال برامج التعاون بين الولايات المتحدة وتلك الدول في مجالات المخابرات، بمعلومات استمدوها من نشرات « المخابرات التنفيذية » ... وتكون النتيجة أن تجد المخابرات الأميركية الرسمية أن « بضاعتها تردّ إليها ».

ولقد يبدو للوهلة الأولى أنه مثل هذا الموقف يسبب درجة أو نوعاً من الإحباط لمسؤولي المخابرات الأميركية .. وهذا غير صحيح لأنهم يأخذون منه دليلاً على أن المخابرات الأجنبية التي تمدّهم بهذه المعلومات « لا تخفي شيئاً (..). لكن لا بد من التأكيد ـــ مع ذلك ـــ على أن هذه المجموعة الخاصة للمخابرات لا تربطها علاقة خضوع كامل للمخابرات الرسمية، الا فيما يظهر الاتجاهات المتطرفة في كل منهما الساعية الى تحقيق سيطرة أميركية كاملة في العالم والساعية إلى تدبُّر القوى والنظم الثورية المناهضة للولايات المتحدة. وفيما عدا ذلك فإن « المخابرات التنفيذية » تعتبر نفسها في علاقة تنافسية مع القطاع الحكومي للمخابرات .. وهو لا يقتصر على المخابرات المركزية، إنما يشمل غيرها من وكالات المخابرات الأمنية والدفاعية .. وكذلك مكاتب المخابرات التابعة لوزارة الخارجية الأميركية.

ونعود بعد هذه النبذة المفصّلة عن « المخابرات التنفيذية » إلى تدخُّل عدنان الخاشقجي سياسياً ومشروع « مارشال » للشرق الأوسط. فاللقاء الذي أشرنا إليه في البداية هو حديث خاص شيق أجراه مندوب « المخابرات التنفيذية » بتاريخ ١٩٨٨/٤/٣٠ مع الخاشقجي، وتركز الحديث حول كامب ديفيد، ثم عاد ليؤكد على أن مشروع « شمعون بيريز » عندما كان رئيساً لوزراء إسرائيل مشروع جيد، وأخيراً فإنه

يكتسب في الفترة الأخيرة صفة الوجه الخفي أو الوجه الآخر من مشروع شولتز للسلام في الشرق الأوسط.

وبطبيعة الحال فإن اختيار الخاشقجي للتحدث معه في مثل هذه النشرة بالذات وعن مشروع مارشال في توقيت لاحق لمشروع شولتز وسابق لانعقاد القمة الأميركية ـــ السوفياتية (في حينه) أمر له أسبابه ودلالاته. فقد كان الخاشقجي قد تحدث صراحة في الفترة التي ضغطت فيها التحقيقات في فضيحة « إيران غيت » على كثيرين ليتكلموا عن دوافعهم؛ لأن هدف الخاشقجي وهدف شركائه المستثمرين من الخوض في الخطط الأميركية الاسرائيلية بشأن إيران ... وصفقات الأسلحة « للتأثير على العناصر المعتدلة » هو أن يضمنوا الحصول على النصيب الأكبر من الاستثمارات في أعمال إعادة البناء بعدما تم وقف الحرب العراقية ـــ الايرانية. فقد قال وقتها إن عيون المستثمرين الكبار في الشرق الأوسط « والخاشقجي منهم » على المبالغ الطائلة التي تقدَّر بالمليارات التي سينفقها العراقيون والإيرانيون « لإعادة » بناء ما تهدم. في البلدين نتيجة لتلك الحرب الطويلة. كما قال إن المستفيد الأكبر من « تعويضات الحرب » في كل الحروب هم عادة المستثمرون والمقاولون أمثاله.

من ناحية أخرى فإن تحقيقات « إيران غيت » كانت هي المناسبة التي كشفت للعالم، ربما لأول مرة بطريقة علنية ورسمية، أن عدنان الخاشقجي رجل الأعمال السعودي والذي يتمتع بثقة كبار المسؤولين في « المملكة » والقصر الملكي يجري اتصالات مباشرة مع الاسرائيليين ... بل وإن له استثمارات في الكيان الصهيوني في تقدر بملايين الدولارات .. من وراء ظهر الجماهير العربية.

والحقيقة أن اللقاء الذي أجراه معه مندوب نشرة استخبارات تنفيذية يلقي أضواء جديدة على دوره الجديد، بقدر ما يركّز الأضواء على خفايا مشروع شولتز وزير الخارجية الأميركي الذي يربط للمرة الأولى في

التاريخ بين « الحلول الاقتصادية » للوضع في الشرق الأوسط والمشكلة الفلسطينية من المنظور الأميركي. وقد كشف هذا الجانب من مشروع شولتز في رسالة من واشنطون جاء فيها بالحرف الواحد : « يسود الاعتقاد في الدوائر الأميركية بأن حماسة بيريز الخاصة لتحرُّك شولتز الجديد في المنطقة نابعة أصلاً من اقتناعه بأنه يستند الى فكرة هي في أساسها فكرته عن مشروع مارشال للشرق الأوسط ».

وقد وجدنا أنه من المناسب جداً في هذا البحث أن ننقل ترجمة كاملة لحديث الخاشقجي الخاص والهام إلى قرائنا لأنه ليس متاحاً الاطلاع عليه إلّا لدائرة ضيقة للغاية من المسؤولين بسبب صراحة الخاشقجي غير العادية فيه. ومن ناحية أخرى لقطع الطريق على أي « نفي » من هنا أو هنا ..

الحديث الهام للخاشقجي إلى نشرة الاستخبارات التنفيذية :

○ فيما يلي نص الحديث الذي أدلى به عدنان الخاشقجي إلى نشرة المخابرات التنفيذية التي يشار إليها اختصاراً بالحروف « إي.آي. آر » (E.I.R.) وهي الحروف الأولى الانكليزية لاسم النشرة.

○ مراسل إي.آي.آر : سمعنا أنك لا تزال تعمل من أجل مشروع مارشال للشرق الأوسط باعتباره أمراً ضرورياً لتسوية سلمية واقعية في المنطقة. فهل لك أن تخبرنا ببعض جوانب خلفية مشاركتك في هذا المشروع الأميركي .. ؟

ـــ الخاشقجي : حينما وضع الرئيس ريغان مشروعاً للسلام في الشرق الأوسط تقدمتُ باقتراح بأن يكون مشروع مارشال جزءاً من مكوّنات مبادرة السلام. فأرسلت مذكرة إلى الرئيس ريغان أسميتها « تعديل لمشروع ريغان ». وقد كان من الواضح لي أن السبب الأوحد لدوام

السلام بين اسرائيل ومصر هو المعونة التي يتلقيانها. وبالطبع فإن الولايات المتحدة لا يمكن أن تكون المموّل الوحيد لمشروع مارشال الشرق الأوسط ككل. إنما ينبغي أن تسهم اليابان وأوربا والبلدان المنتجة للنفط في مثل هذا الصندوق للتنمية. إن المال يلعب دوماً في مفاوضات السلام. والمنطق يقول : لماذا ينبغي أن تثق اسرائيل بسلام مع الفلسطينيين ؟ إن الليكود لا يثق بالمستقبل. وقد يكون تكتل العمل مستعداً للمقامرة على المستقبل. ولكن المرء يحتاج لجَزَرَةٍ لكي توضع أمام كل الأطراف المشاركة.

○ مراسل إي.آي.آر : مَن ــ إلى جانب وزير الخارجية الاسرائيلي شمعون بيريز ــ يؤيد حلاً على طريقة مشروع مارشال.

ــ الخاشقجي : تذكرون حينما قدم الملك فهد في المغرب مشروعه أن جميع الدول العربية أيدت هذا القرار، حتى سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية، وقد اعتقد الملك فهد أنه لا بد من وجود مشروع مارشال. ولكن الفكرة وضعت على الرف.

○ مراسل إي.آي.آر : ما رأيك في محاولة شولتز ؟

ــ الخاشقجي : إن شولتز يتحرك في فراغ ولن يتم التوصل إلى نتائج من وراء ذلك. إنه أمر مثير للسخرية، ويجعل الولايات المتحدة تبدو مثيرة للضحك، فبعد الذي حدث في بيروت أطلقوا على الولايات المتحدة وصف « نمر من ورق ». والآن فإن الولايات المتحدة « تتحول » فعلاً إلى نمر دبلوماسي من الورق.

○ مراسل إي.آي.آر : يبدو أن ثمة نقطة رئيسة في مشروع شولتز هي التوصل إلى اتفاق إقليمي مع الاتحاد السوفياتي. فماذا تعتقد بشأن ادخال السوفييت في عملية السلام الشرق أوسطية ؟

ــ الخاشقجي : ليست هناك حاجة لادخال السوفييت. إن شولتز كان

يمسك الحل بيده. فتركيا حليف واضح للولايات المتحدة، وهي بلد قوي يحكمه رجال أذكياء. ويتعيّن على شولتز أن يضم معه فريقاً أقليمياً يشمل الأتراك، والدول العربية المعتدلة واسرائيل « هكذا يقولها الخاشقجي بصراحة » لكي يتشاور معهم. وينبغي ضم اليابان وأوربا كجزء من برنامج المعونة. أما كل ما كان يفعله شولتز فإنه لإثارة حكام المنطقة فحسب.

○ مراسل إي.آي.آر : لم تقدم وزارة الخارجية (الأميركية) سوى المساعدة الشفوية لمشروع مارشال. وقد سمعت أنك تلقيت تأييداً حقيقياً للمشروع من بعض الشخصيات في البيت الأبيض والبنتاغون (وزارة الدفاع الأميركية). فأيّ من صانعي السياسة هم الذين أيّدوا مشروع مارشال ؟

ـــ الخاشقجي : حسناً. الرئيس ريغان بنفسه كان مهتماً بالمشروع، وكان أقوى مؤيد له، وليام كلارك (مستشار الرئيس ريغان للأمن القومي) كان من المؤيدين أيضاً، أما نائبه روبرت ماكفرلين (الذي أصبح مستشاراً للأمن القومي فيما بعد) فإنه كان ينصت فقط ولم يكن يتكلم عن المشروع. ومنذ ذلك الوقت اكتشفت أن ماكفرلين لا يستطيع حتى أن يقرأ.

○ مراسل إي.آي.آر : وماذا عن كاسبر واينبرغر (وزير الدفاع السابق) ؟

ـــ الخاشقجي : بيريز يحبّه. وقد تحدثت إليه عن المشروع (عدنان الخاشقجي تحدث إلى شمعون بيريز) ووافق على أن يؤيده، ولكن كان هناك قدر كبير من الالتباس حول كيفية وضع المشروع موضع التنفيذ.

○ مراسل إي.آي.آر : لقد وقفت وزارة الخارجية بوجه المشروع وعرقلته فكيف يمكن وضعه موضع التنفيذ في رأيك ؟

ـــ الخاشقجي : هناك شيء اسمه الضغط الأميركي المناسب في

كواليس السلطة فلو أن الرئيس ريغان دعا اليابان وقال بأن الولايات المتحدة سترفض أن تفعل شيئاً إذا ما قطع النفط عن اليابان، فإن اليابانيين سيدقون الأبواب لكي يموّلوا مشروع مارشال. هل تذكر الخطر (النفطي) عام ١٩٧٣ ؟ لقد اضطروا في باريس وروما إلى إطفاء الأنوار، ويمكن أن يحدث هذا مرة أخرى، ما لم ينفذ مشروع مارشال.

○ مراسل إي.آي.آر : هل على علمكم لا يزال بيريز يؤيّد الفكرة ؟

ــ الخاشقجي : ما حدث هو أن بيريز بدأ وانقضَّ الجميع عليه. وعلى أيّ الأحوال فإن المكان الذي ينبغي أن يبد منه المشروع ليس هو مكان بيريز. إنما ينبغي أن يأتي من الولايات المتحدة. لقد كان بيريز واحداً من الأطفال، فإذا بدأ المشروع من « دادي » ــ يقصد من الأب ــ وليس من واحد من الأطفال فإن الجميع سينصتون ... وإذا لم يتبنّ شولتز طريق مشروع مارشال سريعاً فإن كارثة ستقع. واذا لم يظهر حلّ للمشكلة الفلسطينية فإن هذا يعني أن « شارون » سيحكم « اسرائيل » خلال عامين (أي في أعوام ١٩٩٠ ــ ١٩٩١) فإذا جاء شارون كما يخطط للحكم فإن الفلسطيينن سيتم تهجيرهم « مرة ثانية ».

○ مراسل إي.آي.آر : إنك تعرف أن القوات الاسرائيلية أبلغت شامير أنه سيكون من قبيل الحماقة أن يحاول طرد الفلسطينيين. وقالوا له إن الطريقة الوحيدة لتنفيذ ذلك ستكون بالسيطرة على الضفة الشرقية للاردن. وسيعني هذا إمكان وقوع حرب مع سوريا وحتى مع مصر كامب ديفيد. وإذن فلا يزال البعض من التعقل باقياً في اسرائيل كما تمثل في موقف القوات الاسرائيلية الآنف الذكر ؟

ــ الخاشقجي : سيدوم هذا التعقُّل فقط ما دام شارون بعيداً عن وزارة الدفاع، وينبغي أن يؤدي شولتز عمله سريعاً وإلّا فإن شارون سيأتي قبل حلول عام ١٩٩٠ (سيقفز شارون على ظهر السلطة في اسرائيل

لأول مرة بالرصاص) وينبغي لذلك على السعوديين والدول العربية المعتدلة والجميع أن يشاركوا في عملية السلام. حيث حاول شولتز أن يجمع هيئة سرية تضم الأتراك والعرب والاسرائيليين. ويمكن للولايات المتحدة أن تلعب دور الوسيط. فتسأل كل منهم عن الحلول التي يتطلع إليها. « ولكن بدون المال فإن أي خطة لن تفلح ».

○ مراسل إي.آي.آر : بخلاف السعوديين ما هو مقدار التأييد الذي لا تزال تحظى به فكرة مشروع مارشال في رأيك بين العرب الآخرين ؟

ــ الخاشقجي : إنني أواجه مشكلة. فلأنني أعلنت صراحة « تأييدي » لبيريز، لا يريد كثيرون من العرب أن يشتركوا معي في شيء. وسيكون من الصعب كسب تأييد عربي، ما لم يكن مشروع مارشال مصحوباً بمبادرة جادة للسلام.

وبعد : هذا ما قاله عدنان الخاشقجي بالنص دون حذف أو تعديل أو إضافة. وهو لا يحتاج إلى تعليق. ونحن في هذا الكتاب عن المشاهير في العالم نعرف « مسبقاً » أن الحذرين من المسؤولين العرب سيقولون إن الخاشقجي لا يتحدث[1] باسمهم .. إنه يتحدث ممثلاً لنفسه فقط. لكن دلائل كثيرة في الحديث وبعيداً عن الحديث تؤكد أن الخاشقجي يلعب دوراً لا يستهان به، لا يقتصر على نقل الأفكار بين البيت الأبيض وتل أبيب وبعض العرب، فهو في المحل الأول « رجل أعمال سعودي » وعينه على الاستثمارات والأرباح فقط .. وبالمناسبة فإن تقديرات المصادر الأميركية ــ بما فيها المخابرات التنفيذية « موضوع البحث » والدوائر المالية تقول إن عدنان الخاشقجي يقف على حافة الإفلاس .. إن لم يكن قد سقط في هاوية الإفلاس فعلاً، كما سيجيء في نهاية هذا البحث عنه، وكما يكون قد وصل إليه بطبيعة الحال. لأنه كان يقول عن مشروع

(١) مجلة الكفاح العربي ــ العدد (٥١٢ ــ تاريخ : ٩ /١٩٨٨/٥).

مارشال إنه قارب النجاة بالنسبة إليه لا بد من الصعود عليه. أما أن يكون لا يزال عائماً أو طافياً على السطح « مالياً » على الرغم من التقديرات عن إفلاسه، فهناك تكهّن أو استنتاج آخر بأن هناك « مَنْ » سيعوّمه مالياً وسياسياً ليستمر في أداء دوره، الذي يسمح بالتبرؤ والتنصل من كل ما يقول ومن كل ما يفعل ... كلما لزم الأمر.

والمهم أن إجراء هذا الحديث مع الخاشقجي ومما قاله يشير الى أنه يلعب الآن أخطر أدواره بعد دوره السابق كمموّل وسمسار بين الأميركيين والإسرائيليين لصفقات الأسلحة السرية التي كان الهدف منها فتح القنوات مع بعض العناصر الايرانية المعتدلة ... وإذا كانت قضية إيران غيت قد أصبحت .. تقريباً بمثابة تاريخ بعد كل التطورات التي جرت، فإن الاتصالات السرية التي يشارك بها الخاشقجي الآن تحت شعار « مشروع مارشال للسلام في الشرق الأوسط » تتعلق بخطط الأميركيين والاسرائيليين للمستقبل.

من المعروف أنه في إيران غيت كان دور الخاشقجي أن يكون « عميلاً » للاسرائيليين، قبل غيرهم على حد تعبير جين هنتر في كتابه « إيران غيت ــ الحلقة الاسرائيلية ». ومن واقع حديثه يبدو أن دوره في مشروع مارشال للشرق الأوسط ولنقل من عندنا مشروع « مارشال غيت » لا يختلف كثيراً عن مشاريعه الجريئة السابقة.

ليست المرة الأولى :

○ بعد هذا العرض عن تصريح الخاشقجي إلى نشرة المخابرات التنفيذية، واشتراكه الفعلي في مشروع مارشال للشرق الأوسط ونفيه بعد ذلك، وهذا ما توقعناه منه فليست هذه المرة الاولى التي « يتهم » فيها بالتعامل مع اسرائيل، وليست هذه المرة الأولى التي يسارع فيها الى نفي

هذه التهمة عنه. ولكن التهمة الأخيرة وهي قيامه بدور الوسيط بين أميركا واسرائيل وإيران في بَيْع ونَقْل الأسلحة إلى ايران بما عرف باسم « ايران غيت » هي تهمة من العيار الثقيل لم يخفف من وقعها نفيه الذي نشر في مجلة اسبانية مأجورة، وقد كان من الممكن أن يكون النفي كافياً لتكذيب ما نشرته مجلة « التايم » الأميركية، والذي لم يتعدَّ بضعة أسطر فيها عرض سريع لدوره في الصفقة.

ولكن الذي نشرته صحيفة الأوبزرفر اللندنية والذي جاء بعد النفي بأيام يحتاج لأكبر من نفي وأكثر من تكذيب. فإما أن تكون معلومات الأوبزرفر التي نشرت في مكان بارز من الصفحة الأولى صحيحة، وتلك مصيبة المصائب لأنها مدعومة بالتواريخ والأرقام ومكان الاجتماع وتفاصيل كاملة، وإما أن تكون كاذبة وعندها على الخاشقجي أن يسارع فوراً (إن لم يكن قد فعل) إلى إقامة دعوى قضائية على الصحيفة المذكورة يطالبها بالتكذيب في مكان النشر حسب الأصول الصحفية، وبعطل وضرر لا يقل عن قيمة العمولة التي قالت الصحيفة إنه قبضها مقابل الصفقة والتي بلغت ثلاثة ملايين جنيه استرليني فقط لا غير .. ؟ أما أن تبقى القصة عائمة غامضة، وأن تصبح حديث الدنيا والناس، وبدون إيضاح فهذا لا يجوز. لأننا نخاف أنه إذا صحت التهمة أن لا تسيء الى الخاشقجي فقط بل الى كل عربي[1] وأنه إذا ثبت ارتكابه لهذه الخطيئة، فسيصل رذاذها الى الجميع. لأن الخاشقجي لا يمثل سوى نفسه. فهو حتماً لا يمثل دولته التي كانت أكثر الناس غضباً على ما قيل في هذا الموضوع، وهو لا يمثل أحداً من العرب الذين صدموا مما قيل إلى حدّ الذهول. وهو إذ قام بالصفقة فمن المعيب أن تفسر أنها من باب فتح الجسور بين العرب والكيان الصهيوني. والتفسير الوحيد والبسيط، أنها

(١) عن الاستاذ نبيل الخوري رئيس التحرير والمدير المسؤول لمجلة المستقبل الواسعة الانتشار.

سَعْيٌ لجمع المال والكسب السريع، ولكنه سَعْيٌ مرفوض لأنه على حساب الأمة العربية وتاريخها. وعلى صاحب العلاقة أن يثبت، وعملياً هذه المرة أنه فعلاً مخلص « لقوميته العربية » كما ذكرني نفيه بالصحيفة الاسبانية « سابقاً ».

الخاشقجي بالنسبة لنا « بحث » في هذا الكتاب نقدمه للقراء، وهو حرّ في أن يتصرف كما يشاء، ويعيش كما يشاء، لا نتدخل في حياة الناس الخاصة ولا في أعمالهم، ولكن عندما يصل هذا التصرُّف إلى « الخط الأحمر »، أي إلى أيّ موضوع أو صفقة أو اتصال له علاقة باسرائيل من قريب أو بعيد، فهذا ما لا نستطيع السكوت عنه ولا « تمريره » مهما كانت المبررات. وهذا ما فعلته وسأفعله مع كل المتصلين العرب بالكيان الصهيوني سواء كانوا سياسيين، أم كتاباً وصحفيين، أم تجاراً، أم هواة شهرة، مع العدو الاسرائيلي إلى أن يعلم الوعي العربي بأن الاتصال باسرائيل ليس هفوة ولا خطأ ولا خطيئة .. بل هو أخطر من ذلك بكثير ومصرع السادات على يد البطل الراحل خالد اسلامبولي خير دليل على نهاية المتصلين مع اسرائيل رغم أن للسادات قبل مصرعه حراسة قوية ومشددة باعتباره رئيس دولة عربية كبرى فهل أنقذته الحراسة من مصير من يتعاون مع العدو الصهيوني .. ؟

وأخيراً عدنان الخاشقجي وبداية النهاية :

○ لكل إنسان على وجه الأرض نهاية، مهما علا، ومهما ارتفع، ومهما أصاب من العظمة، ويظهر أن الخاشقجي أخذ يقترب من بداية الناية « إلّا إذا » جرى تعويمه كما جاء في هذا الفصل. وهذه نماذج من الأخبار عن الخاشقجي وهي التي سميناها « بداية النهاية » وهي حسب التسلل :

١ ــ يبدو أن الانقلاب الذي وقع في جزر سيشل وأطاح بحكومة جيمس مانشام وجاء إلى السلطة في الجزيرة بحكومة يسارية، قد الحق الضرر بمشاريع ضخمة كان المليونير السعودي عدنان الخاشقجي قد استثمر فيها مبالغ ضخمة، وكان الخاشقجي قد اشترى مساحات كبيرة من الأراضي ليقيم عليها فنادق سياحية، وعمارات سكنية قريباً من العاصمة فيكتوريا، غير أن انهيار حكم المستر مانشام، الذي كانت تربطه بالخاشقجي علاقات صداقة، وضع مصير هذه المشاريع كلها في مهب الريح. وهذه القصة هي أول أسفين في أعمال الخاشقجي وابتداء خسارته.

٢ ــ الحكومة السودانية تصادر مليون فدان يملكها الخاشقجي :

○ نشير في هذا البحث عن الخاشقجي أنه منح امتيازات واسعة في السودان للتنقيب عن النفط والثروات الطبيعية الأخرى الكثيرة في السودان، على أن يحصل على نصف العائدات، وهو في ذلك يمثل أيضاً عدداً من الشركات الأميركية التي شكلت كونسرتيوم سرياً فيما بينها، فيما كان الخاشقجي قد استكمل كل الاتصالات الخاصة بإقامة كونسرتيوم أمين لحماية العمليات الاقتصادية الجديدة، بحيث قيل إن أجهزة المخابرات هي التي تتولى التنقيب عن المعادن في السودان. وبالطبع فإن للمخابرات الاسرائيلية « الموساد » دوراً هاماً في هذه المشاريع الاقتصادية العملاقة. ولكن وزير الزراعة السوداني عمر نور الدايم أعلن أن الحكومة السودانية « صادرت » من الخاشقجي مليون فدان (الحكومة الحالية ١٩٨٩ وليس حكومة النميري). وقال الوزير في حديثه أمام الجمعية التأسيسية « البرلمان السوداني » أن الرئيس السابق جعفر النميري قد منح هذه الأراضي وكل مواردها الطبيعية والحيوانية

لشركة الخاشقجي المعروف باسم (ترايـاد). وأوضح الوزير أن الخاشقجي لم يستعمل الأرض « أي يستثمرها » ولكنه استخدمها كورقة مساومة مع الشركات الأميركية دون أن يشير إلى أي تفصيل آخر.

٣ ــ الخاشقجي يعرض يخته الخاص « نبيلة » للبيع مضطراً :

○ عرض للبيع في ميناء أنتيب الفرسي اليخت « نبيلة » الذي يملكه رجل الأعمال السعودي المعروف عدنان الخاشقجي بسعر ٣٥ مليون دولار.

وكان أحد دائني الخاشقجي الذي كان يصف نفسه « أي الخاشقجي » يوماً بأنه أغنى رجل في العالم، قد رفع عليه دعوى، واتهمه بعدم دفع دين مستحق له. مما تسبب في إعلان شركة من شركات الخاشقجي للاستثمار في الولايات المتحدة إفلاسها لحمايتها من الدائنين.

وقال سمسار اليخوت « بيتر آنسول » أن اليخت « نبيلة » الذي يعدّ من اكبر اليخوت في العالم يبلغ طوله ٨٦ متراً ويضم ١١ جناحاً، وقاعة للرقص، وغرفة للعمليات الجراحية، ومهبطاً لطائرات الهليكوبتر، وسطحاً خاصاً مكشوفاً لإقامة الحفلات على الطراز الشرقي التي يقدم فيها اللحومات المشوية. وأضاف بيتر السمسار أن مبلغ ٣٥ مليون دولار يعتبر ثمناً معقولاً جداً حيث لا يمثل إلّا جزءاً من تكاليف اليخت الذي بناه الخاشقجي لنفسه منذ سبع سنوات.

٤ ـــ الخاشقجي يقدم عارضات الأزياء لضيوفه من الأثرياء العرب :

○ عرضت على محكمة جنايات « نيس » في فرنسا قضية دعارة راقية كان مسرحها منطقة الكوت دازور وامتدت أحداثها حقبة من الزمن وبلغ عدد المتهمين فيها عشرة من النساء والرجال كانت تقودهم امرأة في الحادية والأربعين من عمرها تدعى « ميراي جريفون »، كانت تمارس نشاطها الغير مشروع تحت غطاء وكالة لعارضات الأزياء الجميلات أقامتها في فيللا قريبة من موناكو. وكانت هذه السيدة تقوم بتقديم الفتيات الجميلات والشقراوات على وجه الخصوص إلى طلاب اللذة العابرة من الأثرياء، والأمراء العرب، ورجال الأعمال والمليونيرية الأجانب الذين لا يترددون بدفع عشرة آلاف فرنك فرنسي « نظير قضاء ليلة حمراء في أحضان إحدى العارضات الوهميات ».

وذكرت الأنباء أن المتهمين الثاني والثالث هما لبناني يدعى ـــ ع ـــ خواجه ـــ السكرتير الخاص للمليوتير عدنان خاشقجي، وفرنسي يدعى موديس هامون يعمل في العلاقات العامة بالحقل السينمائي، وتهمتهما « تزويد » زعيمة الشبكة ميراي باحتياجاتها من الفتيات. أما العميل الأول لهذه الشبكة فهو الخاشقجي « نفسه » والذي يذكره المتهمون تحت اسم الكابتن. وتبين من اعترافات المتهمين وأقوال الشهود أن هذه الوكالة كانت تتميز بكثرة اتصالاتها ويقدرتها على تلبية طلبات الزبائن في أية ساعة من ساعات النهار أو الليل. وكانت مدام ميراي إرضاء لأهم زبائنها من الأمراء والعرب تدقق كل الدقة في اختيار فتياتها الشقراوات على أن يكنّ رائعات الجمال جذابات للرجال مغريات بكل معنى الكلمة، دون الرابعة والعشرين من العمر والطول المطلوب (١٧٠ سم) على الأقل، وكانت وسيلتها في استجلابهن هي الإعلانات في الصحف أو عن طريق علاقاتها في الكوت دازور في المقام الأول ثم في الخارج من المانيا أو

النمسا أو السويد والدانمارك حيث يتواجد الكثير من النساء الشقراوات يقبلن العمل والسفر لأي بلد وبأية شروط.

وقد اعترفت مدام ميراي بأنها استخدمت في شبكتها رجالاً وأشخاصاً من الجنس الثالث، ولكنها أنكرت بأنها استعانت في الدعارة بعناصر لم تبلغ سن الرشد. وذكرت المتهمة أن عمولتها كانت ٤٠٪ وان الاحوال كانت تزدهر بصفة خاصة أيام المهرجانات والمسابقات الرياضية في الكوت دازور. أما عن عملية توفير البضاعة من « النساء » فقد ذكرت أنها كانت حريصة على جلب وجوه جديدة بشكل متواصل إرضاء للامراء والأثرياء العرب الذين يحضرهم الخاشقجي، أو يرسلهم لها مزوَّدين بكلمة السر « الكابتن ». وقد دافع المتهم اللبناني ــ ع ــ خواجه السكرتير الخاص للخاشقجي ببطلان التهمة الموجهة له، مؤكداً أنه لم يكن سوى « وسيط » لمخدومه ومديره الخاشقجي ومجرد أداة منفِّذة لأوامره.

٥ ــ البوليس اليوناني أوقف عدنان الخاشقجي بتهمة تهريب العملة :

○ وخامساً من سلسلة بداية النهاية للخاشقجي « عدنان الخاشقجي يطلب اللجوء السياسي إلى اليونان ». هذه ليست نكتة أبداً لكنها شائعة ترددت في اليونان وتناقلها الناس. حيث قالوا إنه يفكر بطلب حق اللجوء السياسي إلى اليونان.

ولنعد إلى بداية القصة : في منتصف شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨ صادرت سلطات الجمارك اليونانية مبلغ ١٦٠ مائة وستون ألف دولار من الخاشقجي لدى مغادرته الأراضي اليونانية، واحتجزته سلطات الجمارك « بضع ساعات » قبل أن تأتيها الأوامر من السلطات العليا بإطلاق سراحه والإذن له بمغادرة اليونان حالاً.

كان الخاشقجي قد وصل إلى اليونان على متن يخت خاص اسمه « الخالدية » حيث توقف هذا اليخت على شواطئ جزيرة كركرة ... وقضى الخاشقجي بضعة أيام في إجازة خاصة تخللتها أعمال ومهمات واتصالات تجارية لم يكشف النقاب عنها. وفي خلال هذه الإجازة قضى الخاشقجي ليلتين في كازينو الجزيرة حتى الصباح، حيث قامر في هذا الكازينو بعشرات الألوف من الدولارات.

عند مغادرته باليخت أوقفته الضابطة الجمركية اليونانية حسب الأصول وتمّ تفتيش الحقائب فعثروا على المبلغ، وعندما سُئل البيك قال إنه جاء بالمبلغ معه لكنه « نسي » التصريح عنه، فصودرت الدولارات، لأن القانون اليوناني يحظر إخراج العملات الأجنبية إذا لم يكن حاملها قد صرح عنها لدى دخوله اليونان، لأن كثيراً من المغامرين ومهربي المخدرات يلجأون لهذا الادعاء دائماً، والخاشقجي ليس محصناً ضد الشبهات..

أثناء توقيفه تردد أنه ربح هذا المبلغ في الكازينو الدولي بالجزيرة لكنه امتنع عن الاعتراف أو ذكر ذلك للجمارك حتى لا تلوك الصحف اليونانية والعالمية سمعته حول لعب القمار المحرم في السعودية. وعلى أي حال فإن مصادرة هذا المبلغ من الملياردير الخاشقجي ليس كارثة بالتأكيد، بالنسبة لملايينه وإمكانياته الهائلة. لكن المشكلة الحقيقية أن السلطات اليونانية عندما أوقفته بتهمة تهريب أموال أجنبية « وجدت » أمامها مذكرة إلقاء قبض دولية صادرة عن الأنتربول ضد الخاشقجي بتهمة تهريب السلاح من أميركا إلى إيران بما سمي « إيران غيت »، وكادت هذه القضية أن تطيح بريغان كما أطاحت فضيحة ووترغيت بالرئيس نيكسون.

وأخيراً ... أطلق سراح الخاشقجي فجأة وغادر المياه الدولية اليونانية بيخته « الخالدية »، وقد تردد في الكواليس بأن الملياردير اليوناني « كوسكوتاس » الذي بدأت الصحف تتحدث عن نشاطاته المشبوهة

« في حينه» كان وراء أمر اطلاق سراح الخاشقجي والسماح له بمغادرة اليونان بدون تنفيذ مذكرة البوليس الدولي الأنتربول بالقبض عليه.

الملياردير كوسكوتاس الذي كان يملك بنك « كريتي » الذي أشهر إفلاسه بعد سلسلة فضائح طالت رئيس الوزراء اليوناني « باباندريوس »، وابنه وزير التربية، وثلاثة وزراء آخرين قيل إنهم تلقوا هدايا من الملياردير كوسكوتاس.

عندما أعلن هذا البنك افلاسه كان كوسكوتاس يقوم بعمليان « تنظيف » للأموال « القذرة » الناتجة عن تجارة المخدرات والمهربات. وحتى الآن لم يعلن أي شيء رسمي عن مسار التحقيق الذي جرى بخصوص نشاطات كوسكوتاس، فالرجل محاط بحماية كبيرة توفرها له علاقاته الحميمة مع المسؤولين. لكن الصحافة تتحدث كثيراً عن المسألة، وقد نشرت صوراً لهذا الملياردير مع عدد كبير من رجال السياسة والمجتمع في اليونان؛ والملفت للنظر أن الأجنبي الوحيد الذي ظهر في صور حفلات كوسكوتاس هو السفير السعودي في أثينا الشيخ عبدالله الملحوق.

اذن ما هي العلاقة بين كوسكوتاس والخاشقجي ؟. ولماذا أشاع الخاشقجي بأنه سوف يطلب اللجوء السياسي إلى اليونان ؟ هل ليتخذ له يداً لديهم .. نحن نفهم أو نعتقد بأن يطلب الخاشقجي اللجوء « التسليحي » أو اللجوء « التنظيفي » أما اللجوء السياسي .. فهذا غير معقول. لكننا في زمن العجائب حيث أمست فيه أمور كثيرة تدخل في إطار اللامعقول.

وأخيراً. كلمة حق بمناسبة دخول الخاشقجي للسجن :

○ لقد أصبح عدنان الخاشقجي نزيل السجن في العاصمة السويسرية. ليس لأنه أساء إلى الأمن والنظام في الدولة المضيافة. بل لأن

وزارة العدل السويسرية كانت « تنفذ » مذكرة جلب أميركية تدّعي ارتكاب الخاشقجي لمخالفات جرمية تتعلق بمشاكل فنية وعقارية ذات علاقة بالمتغيّرات الفلبينية ؟ واتهام عدنان ليس ابن البارحة؛ فهو كان يعرف ــ ولا يزال ــ ما هو مسموح وما هو ممنوع. البعض من تصرفه أنه كان يستحي ممارسة الممنوع ضمن اطار المسموح. كانت له هواية أو ربما عقدة نقص أدت به الى السماح لنفسه بأنه يكبو بقدر ما تكبو أفضل الجياد. إن البعض مما يقال فيه لا يعجب محامياً ولا قاضياً ولا صديقاً ولا شريكاً. البعض الآخر مما يقال فيه هو مزايدة منافقين وكذابين، بل وكذلك قوادين.

واحد من أفضل معارفه قال : غلطة عدنان هي أنه أحاط نفسه بمن لا يريد أن يقول له كلمة لا .. وهذا يعني أن الخاشقجي انزلق إلى وسطٍ كثر فيه المنافقون والنشارون والمتزلفون والمداهنون. والغريب أن الرجل كان حراً في قرارة نفسه يستحلي أن يكون في هذا الموقف (أي أن ينافق له من يعتبر نفسه كبيراً). ويقال عن هذا الأمر في دمشق ـــ مسح جوخ ــ ويستحلي أن يكذب أمامه من يدعي بين الناس صدقاً وتعاظماً، وأن ينسحق أمامه من ينظر إليه الناس نظرة إكبار واحترام. الخاشقجي ربما كان أفضل من أي عالم نفساني. ثروته كانت تسمح له بأن يتصرف. نفوذه كان يسهل له أن يتلاعب بعقول وقلوب كانت تستهين بذاتها في سبيل ملء الجيوب. ومن هذه الزاوية كان الخاشقجي « الدكتور والسيد النفساني المطاع والاستاذ البشري الذي تنحني أمامه الهامات الكبار » كان يعرف أنه ليس بمقدوره أن يكون في هذا الوضع، لكنه استطاع أن يستهين بمن استهانوا بأنفسهم أمامه، وببعض من أهانوا كراماتهم على عتباته.

والمهم أن الرجل الآن في أزمة والذين أكلوا من خبزه، وشربوا على طاولاته « هربوا ». والذين أيقظوه من نومه حتى يستعطوا منه شرعوا الآن

ألسنتهم في ظهره وتخلوا عنه، رغم أنه ليس بحاجة لهم. وهنا تبدأ المصيبة الانسانية، بل هنا تبدأ التجربة الحقيقية لما تعنيه قيمة بقية الناس خلال محن الأصدقاء.

الخاشقجي ليس ولياً من أولياء الله الصالحين، ولم يكن راهباً قديساً في صومعة، لم يكن إماماً في محراب، وأصلاً هو نفسه لم يدّع شيئاً من هذا كله، لأنه عاش النقيضين؛ فقد أضاء بالمصابيح البراقة النفوس البشرية وستر عهر مدّعي المقامات. وبعض ما يؤخذ عليه أنه طرح نفسه نجماً للصحف والمجلات والمصوّرين والمسترزقين إلى حدّ ربما تجاوز الحد. لذلك عرفه الناس خاشقجي الصحف والمجلات واليخوت والطائرات وحفلات الصخب. وبعض الذين يسايرونه في هذا تنكروا لظهور نسائهم في الصور معه، ومنذ مدة كانوا يسعون إلى لحس العمولات من بقايا موائده.

الخاشقجي أخطأ كثيراً عندما جمع الناس حوله « دون انتقاء »، وأخطأ عندما طرح نفسه عليهم بلا حذر، وأخطأ عندما خدم « الأكبر » منه بلا سؤآل ولا استفسار، وأخطأ عندما خدم غيره ممن هم أكبر منه دون أن يحسب الحساب بأن الزنزانة ليست لمن هم في موقع القرار، بل هي على قياس « ذوي القلوب الطيبة » وهو منهم. خطأ الخاشقجي، وهو الذكي بشكل غير عادي، أنه سمح لنفسه بأن يحجب غيره عن الزنزانة، بل ويخلّص الكثير من الوصول إليها دون أن يحسب حساب الانقلاب البشري والانتقام، وما يسمى « لعبة الأمم »، وتآمر بعض أهل الحكم في الغرب والشرق سواء.

الخاشقجي، ونحن نكتب هذه السطور عنه، موجود في السجن وقد نسيه الناس وتناسى هو الكثيرين. ولا نعرف من سيدافع عنه في سويسرة أو الولايات المتحدة، لأنه موقوف بمسائل عقارية ومتحفية وحسب، وهو الموضوع المطروح اليوم وليس غيره.

فإذا كانت مسائل الرئيس السابق للفلبين « فرديناند ماركوس » وزوجته وعقاراته في الولايات المتحدة وتحفه الفنية هي القضية القضائية، فإنه من السهل حلّها بجزء بسيط من ملايين الخاشقجي، أما إذا كانت القضية ذات علاقة بأنظمة وحكام وأجهزة وإدارات وتحقيقات ومخابرات تستكشف عن تجاوزات وتستيرات على كبراء وعظماء ونبلاء، فإن مشكلة الخاشقجي عندئذٍ تصبح مسألة مَنْ يستطيع أن يؤذي مَنْ، وتتحوّل إلى مسألة مَنْ يستطيع أنْ يصفّي مَنْ ؟ وتمر عبر مسألة هل يمكن التستر على هذا أو ذاك ؟ وتنتهي إلى مسألة مَنْ يريد إلغاء مَنْ ؟ حيثما الزنزانات تنتظر « حشواتها » من الزبائن الدسمة، وحيثما نحن الباحثين ننتظر على المنعطف مراقبين، فإذا قيل إن في المسألة عمولات وتعاملات فهذا شيء من صميم التجارة وليس محصوراً بهذا أو ذلك من الأسماء، أما إذا قيل إن في المسألة تستيرات وتشهيرات وتضحيات، فعندئذٍ يجوز للخاشقجي ما جاز قبلاً لغيره، وما يجوز لكل من جلس على كرسي السلطة والسلطان.

لقد خسر الخاشقجي اكثر الأصدقاء الذين أخذوا حصتهم من ورائه بل وشبعوا ثم تنكروا له ودعوا بالكسر على اليد التي أغنتهم حيث ينطبق عليهم : « اتق شر من أحسنت إليه »، ويحسب عليهم ما قاله أبو الطيب المتنبي « يا فاعل الخير في غير أهله ». والآن والخاشقجي موضوع هذه البحث لأنه أصبح أسيراً يجب علينا، وانصافاً للرجل، أن نقدم قصة توقيفه في سويسرا للقارئ الكريم أولاً بأول حتى يقض الله أمراً كان مقضياً.

المؤآمرة الأميركية على عدنان الخاشقجي :

○ يوم الاثنين ١٧ نيسان (أبريل) ١٩٨٩ الساعة الثانية عشرة ليلاً بتوقيت سويسرا اتصل رئيس مكتب المخابرات الأميركية في السفارة

بجنيف هاتفياً بالسيد وزير العدل السويسري، وأبلغه عن وجود المليونير عدنان الخاشقجي في فندق « شفايستر هوف » في مدينة « بيرن » السويسرية. وكان مسؤول المخابرات والأمن في السفارة هو المولّج بمتابعة اجراءات إلقاء القبض على الخاشقجي وتسليمه « لهم »، أي للسلطات الأميركية، حسب اتفاقيات تبادل المطلوبين للقضاء بين البلدين، وأعلمه أن مذكرة طلب توقيف الخاشقجي سترسل إلى الوزير في الصباح. وهناك يتضح الحقد الأميركي الأسود على الخاشقجي.

كانت معلومات السفارة الأميركية في جنيف مستقاة من تقارير المخابرات الأميركية ومكتب التحقيق الفيدرالي (F.B.I.) اللذين كانت عناصرهما ترصد حركات الخاشقجي في لندن. ولكن منعاً من إحراج الحكومة البريطانية لم تطلب السلطات الأميركية من المخابرات البريطانية (الأنتلجانس سرفيس)، ومن المباحث العامة البريطانية (اسكتلند يارد)، المساعدة على القبض على الخاشقجي، انتظرت العناصر المرافقة للخاشقجي حتى انتقل إلى سويسرا وهي بلد يدَّعي الحياد، ولكنها قد وقعت مع الولايات المتحدة اتفاقية لتبادل المطلوبين للمثول أمام العدالة .. (؟) الأميركية.

ــ يوم الثلاثاء ــ ١٨ نيسان (أبريل) ١٩٨٩ ــ الساعة الثامنة صباحاً تسلَّم وزير العدل السويسري مذكرة السفارة الأميركية[1]. وبعدما تأكد أن المذكرة مطابقة لبنود الاتفاق الموقع بين سويسرة والولايات المتحدة، أعطى أوامره العدلية بإلقاء القبض على عدنان الخاشقجي

---

(١): ١ ــ المصدر ــ سوراقيا.
٢ ــ تصحيحاً للمصدر مع الاحترام هو وجوب استلام وزارة العدل السويسرية أية أوراق من السفارة الأميركية يجب أن يتم عن طريق وزارة الخارجية السويسرية حسب الأصول الدبلوماسية والأعراف المتّبعة.

وتوقيفه « احتياطياً » بغية تسليمه إلى السلطات الأميركية ضمن مهلة « ٦٠ يوماً » تبدأ من تاريخ توقيفه الاحتياطي قانوناً.

ــ في الساعة الحادية عشرة دخلت مفرزة من المباحث الجنائية السويسرية إلى فندق شنايستر هوف، واقتادت الخاشقجي موقوفاً إلى سجن « كابو ــ بيرن » حيث ادخل الى غرفة مساحتها (١٢ قدم × ٦ أقدام) وفيها سرير صغير مع طاولة بجانب السرير وعليها راديو صغير هو صلته الوحيدة في العالم الخارجي. أفهمه السرجنت السويسري « الرقيب » بعض واجباته بالسجن قبل أن يغلق عليه باب الغرفة النظيفة، وأعلمه أيضاً بأنه إذا أراد الحصول على جهاز تلفزيون عليه أن يدفع فرنكاً سويسرياً واحداً في اليوم، وهو الرجل الذي كان شاغل الدنيا والإعلام خلال عشرين عاماً الأخيرة، وله القصور والطائرات واليخوت، واعتاد على ترف العيش ومعاشرة الملوك والرؤساء والأمراء في العال أصبح نزيل غرفة في سجن كابو السويسري.

واذا عدنا الى حياته السابقة وجدنا أنه وقع ضحية مغالاته في حب الظهور، كان من الذين يجاهرون بثراوتهم. ومن الذين لا يخفون شيئاً عن حياتهم العامة والخاصة الشخصية. فكان عرضة لأخبار وتعليقات الصحف الكبرى والصغرى الجدية والمتزنة والثرثارة. كانت حفلاته الصاخبة على يخته « نبيلة » وتنقلاته بطائرته البوينغ الخاصة، وأخبار قصوره وعماراته، ومصروفه السنوي الذي بلغ « ٧٠ مليون دولار »، وأخبار زواجه الأول من ثريا، والثاني من الاسبانية ماتيلدا، وصفقاته التجارية، وشركاته الموزّعة في أنحاء العالم كانت جميعها مسلاة للناس، توقظ فيهم وازع الحقد عليه والغيرة منه. لكنه كان من الذين يخفون صنيعهم الخير وأياديهم البيضاء مع الناس.

وقد تطول لائحة الذين استفادوا منه ووصلوا اليوم الى النجاح. وكان الفضل في جمعهم الثروات الطائلة يعود له وحده. وذِكْرُ ذلك حقٌّ علينا.

ومع هذا يوصف الخاشقجي بالمغامر، والمقامر، والتاجر، وزير نساء، وصاحب صفقات صعبة ومستحيلة، لاعب في السياسة والنار لكنه أيضاً خدم بلاده بتوسطه لها في بعض الصفقات العسكرية والمدنية، فوثق به الحكام وبايعهم فقرّبوه منهم. صادقهم وكان وفياً معهم. وأخيراً ها هو نتيجة كل ذلك سجين في برن ومن ثم الولايات المتحدة، وقد يدفع ثمناً باهظاً نتيجة مساومة دولية عليه، لأنه صار يعرف اكثر مما يجب وإن هو حكى كل ما يعرفه سقطت رؤوس كثيرة متورّطة في أمور سياسية على مدى السنوات العشر الماضية. اذن ظهر الآن أن المطلوب إسكاته أو اتهامه بما يسكته ويشهر به ويلغي مصداقية أي كلام يبوح به.

فجأة طرحت أجهزة معينة وأولها المخابرات الأميركية الغبار عليه وتركته عرضة للاتهامات. فأصدر المدعي العام في نيويورك رودلف غيلياني مذكرة اتهام بحقه وحق إميلدا وزوجها فرديناند ماركوس « رئيس الفلبين السابق » بتهمة الاختلاس والاحتيال والتزوير. وهذه التهم في الولايات المتحدة إن صحت تقضي بسجن مرتكبها من خمس سنوات الى ٦٥ سنة. بدأت واشنطون تتعقبه بهذه التهم وحتى الرئيس الفلبيني لولا « مرضه أو ادعاؤه بالمرض » لعومل نفس معاملة الخاشقجي رغم أنه كان رجل أميركا ومخابراتها في بلده الفلبين فانقلبوا عليه كما انقلبوا على الشاه محمد رضا بهلوي.

ما بين الخاشقجي ورئيس ورئيسة الفلبين أولاً بأول :

○ كان الخاشقجي صديقاً للعائلة المالكة في إيران « قبل الثورة الاسلامية التي قادها مرشدها الراحل آية الله الخميني » وكان بطبيعة الحال قد وطّد علاقته هذه بواسطة زوجته السابقة المسلمة في حينه « ثريا الخاشقجي » حيث تعرف على الأميرة أشرف بهلوي شقيقة الشاه. وهذه الأخيرة عرفته على سيدة الفلبين الأولى وقتئذٍ إميلدا ماركوس التي دعته

لزيارة الفلبين. وصل عدنان الخاشقجي بطائرته الخاصة البوينغ الى مطار مانيلا فاستقبل استقبال الرؤساء، وركب المرسيدس الرئاسية من قرب سلم الطائرة إلى قصر « مالاكانغ » حيث استقبل من قبل الرئيس الفلبيني وزوجته « صاحبة الدعوة »، وأنزل في قصر الضيافة نسبة للهدايا التي حملها والتي قدّرت بربع مليون دولار. ومن وقتها بدأت الشراكة بين الرئيس ماركوس والخاشقجي.

في عام ١٩٨٠ حين هبط سعر النفط وبدأت امبراطورية الخاشقجي تتعرض لمصاعب السيولة المالية، اتجه نحو الاتجار بالعقارات في الولايات المتحدة الأميركية. وعقد صفقات مع سلطان بروناي، ومع جان كلود دوفالييه، وهذا الأخير يقيم الآن في منزل يملكه الخاشقجي في جنوب فرنسا، ومع صديقه الرئيس ماركوس الذي بدأ في غفلة عن الجميع بتهريب ملايين الدولارات إلى خارج الفلبين ويودعها في مصارف أميركية وسويسرية بتحريض ومشاركة من زوجته إميلدا، حين شعر الاثنان بأن كرسي الحكم أخذ يهتز تحتهما، كما شعرا بأن واشنطون « الوفيّة » تحاول تكرار ما فعلته مع الشاه.

في عام ١٩٨٥ استدعت (اميلدا) الخاشقجي إلى قصر مالاكانغ وصارحته بحقيقة الاضطرابات السياسية في الفلبين، وطلبت منه المساعدة لتأمين سيولة مالية تمكّنها مع زوجها العيش في المنفى « حين حصوله »، وعرضت عليه شراء « ٣١ لوحة زيتية لكبار الرسامين في العالم » منهم بيكاسو، وسيزان، ودوغا، وفيرونيس، وروبنز، وذلك لقاء ١٠ ملايين دولار. وافق الخاشقجي الذي لا يردّ لها طلباً لأن وازعه في حينه هو مساعدة الصديق وقت الضيق فدفع المبلغ وحصل على اللوحات.

ــ هل كان الخاشقجي يعرف أن هذه اللوحات مسروقة أصلاً من متحف « متروبوليتان » في العاصمة مانيلا كما جاء في مذكرة الاتهام الصادرة بحقه من المدعي العام غيلياني ؟ الله أعلم.

ــ هل سأل الخاشقجي إميلدا ماركوس عن مالك اللوحات ؟ أم أنه ظنها من ممتلكات الرئيس ماركوس الشخصية ؟

إلى أن يعاد الخاشقجي إلى الولايات المتحدة ويكشف التحقيق حقيقة ما حدث في قصر « مالاكانغ »، فإن اتهام المدعي العام النيويوركي « غير ثابت قضائياً ». ومن المذكور في الاتهام الأميركي : أنه في ربيع عام ١٩٨٦ نقل الخاشقجي اللوحات المعنية بالاتهام إلى مدينة « نيس » في فرنسا، ومنها إلى إمارة موناكو حيث عكف على بَيْع قسم منها في يخته الفخم « نبيلة » الذي ذكرنا في هذا الموضوع أنه عرضه للبيع.

عام ١٩٨٧ وبعد تنسيق بناء لطلب المدعي العام النيويوركي بين مكتب التحقيق الفدرالي الأميركي والشرطة الفرنسية، داهمت عناصر من الشرطة اليخت « نبيلة ». وبعد التحقيق مع الخاشقجي وإعلامه اتهام المدعي العام سلمهم تسع لوحات قدّر ثمنها بمليوني دولار، واللوحات المصادرة حملها معه عائداً إلى واشنطون مساعد المدعي العام أدوين ميز الذي كان في باريس يشارك في مؤتمر للأنتربول في حينه، ولم تنته عند هذا الحد لائحة الاتهامات التي على أساسها تطالب الحكومة الأميركية مثول الخاشقجي على أساسها أمام محاكمها.

المدعي العام رودولف غيلياني يسوق اتهاماً آخر هو « تزوير » قام به الخاشقجي في عملية شراء أربع بنايات في مدينة مانهاتن بالولايات المتحدة كان بملكها فرديناند ماركوس. والاتهام يقول إن عقد الشراء يشير الى أنه تم عام ١٩٨٥ أي قبل هروب فرديناند من بلاده، بينما تقول محكمة مانهاتن الفيدرالية أن العقد مزوّر، وأن الشراء قد تم عام ١٩٨٦ وليس ١٩٨٥ أثناء وجود ماركوس في الولايات المتحدة، وإن الخاشقجي وفاء لصديقه ماركوس « قد ساعده على تهريب الكثير من الأموال والممتلكات ووضعها باسمه أي اسم الخاشقجي لمنع حكومة مانيلا من المطالبة باسترجاعها ». لذلك فإن من حق القضاء الأميركي إحالة

ماركوس والخاشقجي وسبعة آخرين معهم إلى المحاكمة بتهمة « التزوير »، إضافة إلى تهمة « الاحتيال » أيضاً على المصارف الأميركية بمبلغ ١٩٦٥ مليون دولار لتغطية شراء البنايات الأربع.

وهنا يحضرنا سؤال : لماذا وفجأة اختار القضاء الأميركي « الموجّه » بين كل الذين تعامل معهم الرئيس المخلوع فرديناند ماركوس من تجار ورجال أعمال وسماسرة خلال حكمه التعسفي الطويل للفلبين « تعقب عدنان خاشقجي وحده »؟ هل ان انهاء الخاشقجي بالصورة التي رتبت له وانتهى إليها أولاً في سويسرا بعد تجميع الاتهامات ضده، والضغط على السلطات السويسرية لاظهاره كمجرم مطارد ومطلوب من العدالة بتوزيع صوره على الصحف وبجانب الصورة رقماً من الأمام والجانب أسوة بصور المجرمين، هل ذلك يعد شاهداً بشهادةٍ قد تقضي على كثيرين، وتعيد فتح ملفات اغلقت لقضايا ما يزال الغموض يكتنفها ؟ وخاصة قضية « إيران غيت » ؟

سؤآل آخر نسوقه في قضية الخاشقجي هذه : لماذا السكوت عن علاقته المعروفة مع ديكتاتور « هايتي » المخلوع جان كلود دوفالييه الملقب بـ (PAPA.DOC) الذي ساقت الحكومة التي خلفته بحقه اتهامات كبرى بتهريب أموال الدولة على غرار التهم التي ساقتها حكومة الرئيسة كورازون أكينو رئيسة جمهورية الفلبين حالياً بحق فرديناند ماركوس ؟ مع العلم كما ذكرنا بأن رئيس هايتي السابق مايزال يعيش من خيرات الخاشقجي وفي منزله الخاص في جنوب فرنسا، وفوق كل ذلك فهو حتى الآن لا يزال حائزاً على رضا وحماية الباب العالي في واشنطون « المخابرات الأميركية »

○ في أوائل عام ١٩٨٥ كان للخاشقجي علاقة غير محمودة مع « إيران غيت » التي أعدّها الكولونيل أوليفر نورث مع جون بواندكستر وروبرت ماكفرلين لبيع الأسلحة إلى ايران « لقاء » إطلاق بعض الرهائن

الأميركيين في بيروت. وقد أسهم الخاشقجي بمبلغ ستة ملايين دولار استدانه من رجل أعمال كندي. وعندما فشلت الصفقة خسر الخاشقجي المبلغ وبدأ يطالب المخابرات الأميركية ومكتب التحقيق الفيدرالي بإعادة المبلغ، لأنهما أعطياه الضوء الأخضر لدى البدء في العملية. وهدَّد بكشف تفاصيل الصفقة مع إيران إذا لم تقم المخابرات الأميركية وشريكها في توريط الخاشقجي مكتب التحقيق الفيدرالي باعادة المبلغ إلى رجل الأعمال الكندي مع الفوائد المترتبة حتى كامل السداد.

رفع الأمر إلى وليام كايسي رئيس المخابرات الأميركية في حينه والذي توفي فيما بعد بجلطة دماغية، وفي تاريخ ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥ وقبل أن يتمكن كايسي من تأمين المبلغ افتضح أمر الصفقة، ونشرت الصحف تفاصيلها وغرق البيت الأبيض بالفضيحة، ولولا جرأة « الممثل » الرئيس السابق ريغان ــ للحق بنيكسون الذي ذهب ضحية « ووترغيت ». لكن التحقيقات طالت رؤوس الكثيرين مع إحالة نورث وبواندكسترو وماكفارلين الى المحاكمة، عند ذلك فقط وجد الخاشقجي نفسه بدون حماية أو سند.

وقد اعتبرت المخابرات الأميركية فيما بعد أن الخاشقجي قام بالضغط عليها وهدَّد وتوعَّد بنشر ما خفي من تفاصيل « إيران غيت ». ومن المعلوم للقاصي والداني أن أي مخابرات في العالم « لا تُهَدد »، ومع ذلك ازداد الخوف أن يطلب الخاشقجي للشهادة أمام المحكمة فيجدها فرصة ليدلي بما لديه مما يهدِّد ريغان والرئيس الحالي بوش وغيرهما من المسؤولين في الغرب والشرق، وهم الذين ما زالوا خارج دائرة فضيحة إيران غيت أي ما يزالون خارج دائرة الضوء. فكان لا بد من إزاحة عدنان الخاشقجي « الرجل الذي يعرف كثيراً » وابعاده لكي تمر محاكمة أوليفر نورث من دون مفاجآت ومنغِّصات، فيصدر الحكم على الكولونيل السابق وتُطوى صفحة من صفحات الفضيحة ولو إلى حين « ريثما »

يتمكن الرئيس الجديد بوش من ترتيب الأمور والمخارج، وليس أدلّ على ذلك مما قاله مايلز كوبلاند الرئيس السابق لقسم الشرق الأدنى في المخابرات الأميركية : « إن عدنان الخاشقجي يمكنه إحراج الحكومة الأميركية إذا ما وصل إلى منصة الشهادة في المحكمة[1] لأني سمعته يقول : إذا كنت قد ساعدت رئيس هايتي السابق جان كلود دوفالييه وفرديناند ماركوس رئيس الفلبين السابق وغيرهما .. أظن أن ذلك يجب أن يلقى عندكم « عند المخابرات » كل تقدير لأنهم جميعاً من رجالكم أو المحسوبين عليكم ».

وأخيراً .. نعود الى الخاشقجي العظيم القابع في غرفته في سجن كابو ــ بيرن وقد رضي أن يستأجر تلفازاً بفرنك سويسري يومياً، فنجده يعيش نفس عيشه خارج السجن على الأقل لجهة الطعام والشراب والفرش، حيث كان ملكاً غير متوج في سجنه؛ فكان يأتيه الطعام من نفس الفندق الذي اعتقل منه فندق « شفايتر هوف »، وكان صاحب الفندق يشرف بنفسه على إعداد الطعام وإرساله له في أوان من الفضة. ونحن نعتقد أن وجود الخاشقجي هذه الفترة في السجن يجعله يراجع حساباته مع نفسه، ومع من ذكرناهم وقد تنكروا له. ولا يستبعد أن يعقد صفقة جديدة أو على الأقل يخطط لها أثناء فترة صفاء ذهنه في السجن.

هنا تركناه ينتظر المجهول. هل يطلق من سجنه في سويسرا؟. هل تتم تمثيلية نقله الى الولايات المتحدة سجيناً ؟ الأيام ستجيب ونحن ننتظر ونقول : لقد كان الخاشقجي مادة دسمة وهيِّنة للأقلام، وخبراً مميزاً

---

(١) من المعروف عن المخابرات الأميركية أنها تغتال أو تصفّي كل من يدعى للشهادة ضدها في أي موضوع أو قضية واذا كانت حرضت على الخاشقجي لتوقيفه أو سجنه أو اهانته فإنا نقول بأن ذلك رحمة به ولمن أراد الاطلاع على تصفية وقتل الشهود في قضية مقتل الرئيس الأميركي جون كندي عليه مراجعة الصفحات ــ ٢٩١ الى ٢٩٤ من كتاب (الجزء الثاني من سلسلة كتب المخابرات والعالم من تأليفي).

ومثيراً وشيقاً تتناقله وسائل الاعلام ولكن .. غدره الزمان .. « والزمان غدار ما لو شي خلّ ولا صاحب » كما كان يتغنى المطرب الراحل محمد عبد المطلب.

وقد صحَّ ما توقعناه فقد وصل الخاشقجي بتاريخ ١٩٨٩/٧/٢٠ إلى مطار نيويورك الدولي، ولدى نزوله من الطائرة كان يتبسم للصحافيين رغم وضع يديه في قيد بوليسي حديدي « الكلبشة » واقتياده من قبل ضابطين من عناصر مكتب التحقيقات الفدرالي عبر منطقة تفتيش في صالة الوصول الى نيويورك، بعد أن أمضى كما ذكرنا حوالي الثلاثة أشهر في السجن السويسري حيث تم اعتقاله بناء على طلب وملاحقة مكتب التحقيق الفيدرالي. وقد سافر الخاشقجي في الدرجة الأولى وعلى حسابه الشخصي على طائرة تابعة لشركة « سويس اير » المتجهة إلى مطار كنيدي الدولي، حيث وصل بعد ساعات فقط من تخلّيه عن معارضته لقرار تسليمه للولايات المتحدة.

أعلن الخاشقجي في الجلسة الأولى المستعجلة التي عقدتها المحكمة الفيدرالية الأميركية بعد وصوله من سويسرا « أنه بريء مما نسب إليه ». إلا أن رئيس المحكمة القاضي جون كينان « أصدر أمره » بمتابعة احتجازه ورفض الإفراج عنه بكفالة انتظاراً لجلسة استماع واستجواب حدد لها موعداً في ١٩٨٩/٧/٢٧. كما رفض رئيس المحكمة الجزئية طلباً قدّمه روبرت مورفيلو محامي الخاشقجي بأن تعقد المحكمة جلسةً لمحاكمة موكّله الخاشقجي « منفصلة » عن محاكمة إميلدا ماركوس زوجة الرئيس الفلبيني السابق فرديناند ماركوس، واكّد المحامي أن موكّله لن يفرّ من الولايات المتحدة لأنه يريد مواجهة القضية وهو واثق من أنه سيبرَّأ من التهم الموجهة إليه. لكن القاضي أرجأ اتخاذ قرار حول الافراج بالكفالة. ولذلك بقي الخاشقجي محتجزاً حتى ١٩٨٩/٧/٢٧.

ولدى اعادة فتح الجلسة بتاريخ ١٩٨٩/٧/٢٧ وافق الأميركي

الاتحادي جون كينان نفسه على الافراج عنه بكفالة عشرة ملايين دولار، إلا أن ممثل الادعاء أعلن فوراً أنه سيستأنف الحكم في محاولة لإبقاء المليونير الخاشقجي داخل السجن الأميركي. بعد دقائق من صدور الحكم بإخراج الخاشقجي بكفالة مالية كبيرة لا تقدر إلا لتجار المخدرات الكبار قدم ممثل الادعاء تشارلز لابيل مذكرة قانونية باستئناف القرار القاضي بإطلاق عدنان خاشقجي لقاء كفالة لأنه يدعي وهذا من صفاته بأن الخاشقجي قد « يهرب » من الولايات المتحدة إذا أفرج عنه بكفالة مهما كانت باهظة.

ومن جهة ثانية، والقانون للجميع، فقد سارع محامو الخاشقجي لاستكمال الأوراق الضرورية للافراج عن موكلهم. محكمة الاستئناف المدنية « رفضت » الطعن المقدم من الادعاء العام وهنا يتضح لنا أن « محاكم الاستئناف » هي رحمة حقيقية في كل دول العالم لأن محكمة الاستئناف المدنية الأميركية في مدينة نيويورك هي التي أطلعت على الوثائق الآتية من وكلاء الخاشقجي :

١ ــ وثائق عن امتلاكه شركات ومكاتب قيمتها (١٣٥,٧١٦,٨٧١ مليون دولار).

٢ ــ قيمة سياراته ومركباته (٥٠٠,٠٠٠ ألف دولار).

٣ ــ مبلغ أمواله النقدية في البنوك تبلغ (٦٤٣,٧٤٦ ألف دولار).

٤ ــ الأموال الحقيقية السائلة الموجودة بين يديه خمسة ملايين دولار.

العودة الى الحرية والعزّ :

○ وأخيراً كما يقال (باب السجن لا يغلق على أحد نهائياً) فقد استبدل المليونير الذي بقي اسمه المليونير عدنان الخاشقجي زنزانته الأميركية البشعة بشقة فاخرة من شقق مدينة نيويورك، وذلك بعد أن قام

شقيقاه بدفع الكفالة بعد صدور رفض الاستئناف لطعن الادعاء، وذلك بموجب شيكين قيِّدا لصالح خزينة وزارة العدل الأميركية، كل شيك بقيمة خمسة ملايين دولار. وكان بانتظاره أمام مبنى السجن عشرات الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء الذين سألوه عن شعوره، فقال لهم وهو يبتسم : « اني بريء .. وأثق بالنظام القضائي في الولايات المتحدة » ثم أسرع وركب سيارته الكاديلاك الفضية الفارهة متجهاً إلى شقته العامرة الكائنة في الشارع الخامسة الأنيق بحي مانهاتن ليستحم وينفض عنه غبار السجن القسري وعناءه. ويعني بثقته بالقضاء الأميركي، أن يُصدر القضاء أمراً آخر لإنصافه والإيعاز إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي بفك السوار الالكتروني الذي وضع في رجله اليسرى، هذا السوار الذي كان من خيرات الادعاء العام الأميركي المشحون ضده. وهكذا أصبح الخاشقجي طليقاً بعد دفع الكفالة إلى أن تجرى محاكمته مع إيميلدا ماركوس زوجة رئيس الفلبين السابق بتاريخ : ١٤ آذار (مارس) ١٩٩٠ ويقدر الخبراء القانونيون أن المحاكمة ستستغرق ما بين شهرين إلى ثلاثة أشهر. وكانت نفس المحكمة قد ألغت طلب حضور الرئيس الفلبيني ماركوس لاثبات مرضه الشديد بما لا يسمح بمحاكمته.

وهكذا نصل لنهاية مؤقتة لقصة الملياردير عدنان الخاشقجي وسوف تبقى بانتظار النهاية الحقيقية السعيدة لإخلاء سبيله بحق، واسترداده الكفالة ومعها حريته ويعود إلى العزّ والجاه والعود أحمد.





رجال الأمن يدفع خاشقجي الى سيارة البوليس في مطار كينيدي نيويورك مقيد اليدين ومحاطا برجال الأمن.



في السيارة من المطار الى السجن

مُصطفى العقّاد..؟

"مُخرج أفلام العظماء"



تخرّج من جامعة كاليفورنيا.

عَمِلَ أثناء دراسته في خدمة المطاعِم.

عَمِلَ مُساعِد مُخرج.

حَقّقَ فيلم "الرسالة".

يَعتزّ بفيلم "أسد الصحراء عمر المختار".

أخرج فيلماً وثائقياً عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

مصطفى العقاد يعيد الشخصيات التاريخية العربية للحياة :

من هو المخرج العالمي مصطفى العقاد

○ في مدينة حلب العريقة من سوريا التاريخ، وفي حي هادئ من أحيائها، ولد المخرج العالمي مصطفى العقاد في عام ١٩٣٣ (نفس السنة التي ولد فيها كاتب هذه السطور في دمشق) حيث تلقى دراسته فيها. وكان حلمه الدائم أن يعبر المحيط الأطلسي لكي يصل إلى « عاصمة السينما في العالم مدينة هوليود الساحرة » وقد ذكر فيما بعد « أسباب » وقوعه في غرام السينما : حينما كان لا يزال في مدينة حلب اعتاد أن يجلس مع موظف العرض في إحدى دور السينما ليتابع مشاهدة الأفلام عن قرب « مجاناً »، حتى حصل على شهادة الدراسة الثانوية السورية « البكالوريا » فسارع إلى السفارة الأميركية في دمشق عام ١٩٥٤ وتقدم بطلب الحصول على الفيزة القانونية للسفر للدراسة في الولايات المتحدة الأميركية حيث حصل على الفيزا المطلوبة.

وصل مصطفى العقاد إلى مدينة لوس انجلس وهو يشتعل حماساً للدراسة، وسجل نفسه لدراسة السينما في جامعة كاليفورنيا، وكان يعمل أثناء دراسته في متجر عام ــ سوبر ماركت، ثم في إحدى المكتبات،

كما كان يضطر أحياناً للعمل في خدمة زبائن بعض المطاعم، بل وفي غسل الصحون، كل ذلك لاكتساب بعض الدولارات لتغطية نفقات الدراسة الجامعية.

تخرج العقاد من جامعة كاليفورنيا وحصل على أعلى شهادة أكاديمية جامعية في السينما والانتاج التلفزيوني، لم يترك يوماً واحداً يضيع بعد تخرُّجه، فتوجَّه حالاً يطرق أبواب استوديوهات السينما والتلفزيون، وقد ساعده الحظ وعناده الطبيعي في أن يحصل على عمل « كمساعد » انتاج للمخرج المعروف سام بيكينان الذي يدين له العقاد بفضل كبير، ومن ثم تسنح له الفرص الذهبية لتطبيق دراساته عملياً، وبخاصة عندما اشترك في إخراج فيلم « عبور الطريق العالي » من انتاج شركة مترو غولدين ماير. ثم عمل لمدة طويلة في شبكات التلفزيون الأميركية الكبرى حتى كوّن « شركة لانتاج وإخراج البرامج الوثائقية » وكان أول إنتاج له مسلسل « عالم قيصر » الذي عرضته مائة محطة تلفزيونية في أنحاء الولايات المتحدة. وبهذا الطموح تابع العقاد نجاحاته حتى امتدَّ عمله إلى خارج الولايات المتحدة فافتتح مكاتب لشركته في لندن ولوس انجلس وبيروت.

في عام ١٩٧٨ كوّن شركة لتمويل وتوزيع فيلم « هالدين » الذي حقق نجاحاً منقطع النظير وضرب الأرقام القياسية من حيث الايراد بالملايين لشباك التذاكر.

حين تمكن العقاد من نفسه وأصبح له اسم عالمي بدأ في تنفيذ حلمه الكبير حينما قرر إخراج وانتاج فيلم عالمي يدور حول الشخصية العربية البطولية التي جمعت بين وظيفة المعلم وشخصية المدافع عن « حرية وطنه »، وهي شخصية « المجاهد الوطني الليبي عمر المختار »، وفيلم « أسد الصحراء عمر المختار »، كما أطلق عليه هو الفيلم الوحيد الذي صور الوجود الفاشستي خارج ايطاليا، بعد أن كان المحور يتركز دائماً

حول النازية في معظم أفلام هوليوود السابقة. لقد أدت شخصيات هذا الفيلم أدوارها الدرامية بقوة وجرأة وعن اقتناع، لأنه الفيلم الذي جمع بين الممثل المخضرم المعروف « أنطوني كوين » وورود ستايجر وأوليفر ريد وراف فالوني وإيرين باباس وغيرهم. وفيلم « أسد الصحراء » هو الفيلم الذي يعتز به كثيراً لأن هذا الفيلم أعطى العقاد المرونة والمساحة في العمل حيث استطاع إبراز شخصية عمر المختار العربية التي مثلها ببراعة واتقان أنطوني كوين بنجاح. وهذه الحرية هي التي سمحت له بطرق أبعاد هذه الشخصية بدءاً بالمرحلة الأولى من حياته كمعلم مدرسة بسيط إلى أن يصبح البطل عمر المختار. ولذلك سار الفيلم في مسار الرمزية.

وقد قيل إنه بقدر نجاح العقاد في مثل هذه الأفلام عالمياً فإن الشرق العربي ظل في حيرة من حيث قبولها. ويضيف العقاد أن مشاكل الشرق العربي هي التي تشغله وتستغرق منه الطاقات وتصرفه عن الاستفادة من أحدث وسيلة إعلام في العصر الحديث وهي السينما. لأن العقلية السائدة اليوم هي عقلية الانشغال بالمسائل المصيرية، فليس هناك تفكير في الغد. وقد استفاد الكيان الصهيوني « اسرائيل » من السينما استفادة ضخمة كأقوى أداة فعالة. ونحن حينما نفشل في الاستعانة بهذه الوسيلة يعتبر ذلك عامل ضعف فينا. إن قضايانا العادلة لا تصل إلى أسماع العالم الغربي ولهذا يظل الرأي العام لديهم « مشحوناً »، ضدنا لأنه لا يعرف شيئاً عنا؛ والطريقة الوحيدة هي غزو الرأي العام العالمي بهذه الوسيلة التي نراها اليوم مسيطرة على كل شيء.

وهنا يسجل التاريخ السينمائي مساهمة مصطفى العقاد والدور الذي قام به، لأنه لأول مرة في تاريخ السينما نجد جمهوراً أميركياً « يصفق بحرارة » لفيلم عربي أخرجه مخرج عربي لشخصية عربية، وذلك حدث في فيلم « عمر المختار ». وحين شاهد المواطن الأميركي العرض الأول لهذا الفيلم العظيم اكتشف الصورة الحقيقية « للعربي » الأصيل من خلال

صورة الوطني المتعلم والمعلّم الثائر الزعيم، وليست تلك الشخصيات التي تشوّه من سمعته وصورته التي « لم تنقطع » السينما الأميركية المتصهينة من التركيز عليه. لقد كان فيلم العقاد عمر المختار هو الصورة الحقيقية للانسان العربي منذ البداية.

وعن عودة العقاد إلى هذه الساحة العالمية مستقبلاً يقول العقاد نفسه ان لديه مشاريع أعمال فنية كثيرة وهامة ذات صفة عربية وعالمية لإنتاج أفلام عن « شخصيات خالدة »، مثل صلاح الدين الأيوبي، وقصصاً أخرى عن الأندلس، لأن الشخصيات التي قامت بأدوارها في التاريخ كصلاح الدين الأيوبي وأبطال الأندلس وملوكها وأمرائها أصبحت من المعالم الخالدة في التاريخ العربي، ويجب تسليط الأضواء على ادوارها البطولية، لأن بها ملاحم بعيدة عن التفكير العربي. ناهيك عن الغربي الذي يتعمَّد طَمْس معالمها ويتجاهلها ويتجاهل أدوارها التاريخية، لأنها لا تدخل ضمن مخططاته التي تستهدف « تحطيم الصورة العربية الأصيلة ». ثم إن من سيقوم بالدور ويمثل إحدى هذه الشخصيات سوف يكون مقبولاً عالمياً من حيث الصورة نظراً لبعد هذا التاريخ وعدم التصاقه بالمعنى الديني الصميم.

غير أن هذه القصص الخالدة تحتاج إلى « رأسمال عربي »، وأغلب البلاد العربية تجتاز من المشاكل ما يشغلها عن مثل هذا التمويل النافع. وهو أمر خاطئ على كل حال، لأن الإعلام الموجَّه ضد أعداء الأمة العربية « بواسطة السينما » هو جزء من « النضال العربي » لنقل المفهوم الصحيح عن الإنسان العربي وقضاياه المصيرية إلى الغرب.

ومن هذا المنطلق فقد أخرج العقاد فيلماً وثائقياً عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وقام الصحفي المعروف محمد حسنين هيكل بالتعليق عليه، ولهذا الفيلم خلفيات لم تعرف من قبل طرحنا لهذا الموضوع المتواضع عن مصطفى العقاد، وهي أن الفيلم لم يعرض في البلاد العربية

مع الأسف. ولقد كان سبب انتاج هذا الفيلم عن عبد الناصر هو دوافع شخصية لدى العقاد لأنه يعترف بناصريته وأن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هو الذي أوجد في نفسه « الشعور بالاعتزاز وزوّده بالكرامة ». وهو أمر يقول العقاد إنه لا ينساه ما دام حياً.



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .. أخرج العقاد عنه فيلماً وثائقياً

ومقابل هذا الجميل قرر مصطفى العقاد أن يقدم فيلماً لا يُنسى، أي أن يخلد ذكرى عبد الناصر على المستوى العالمي. فأنتج هذا الفيلم وكلمة « أنتج » تعني أنه موّل ودفع تكاليف إنتاج هذا الفيلم من ماله الخاص. وقد تمَّ الانتاج باللغة الانكليزية، والعقاد مطالب بإعداد هذا الفيلم باللغة العربية. ويقول العقاد :

« لقد ترك الرئيس الراحل جمال عبد الناصر « فراغاً كبيراً » في الأمة العربية يشعر به الجميع. وإن هذا التفكك بين البلاد العربية لا يعود إلى الانسان بقدر ما يعود الى الذين تسببوا في هذا التمزُّق والتفرُّق وهم أشخاص معدودون. وإن جريمة الانفصال بين مصر وسوريا هي في أعناق الانفصاليين القلة الذين تسببوا في حدوثها. لقد كان من الخطأ أن يرضى

عبد الناصر رحمه الله بالانفصال لأنه كان يملك القدرة على رفضه بكل بساطة دون الاكتراث بتلك القلة من الضباط الذين قادوا حركة الانفصال ».

وإذا عدنا الى الأعمال السينمائية الخالدة للعقاد نجد أن فيلم (الرسالة) الذي كلف أكثر من عشرين مليون دولار كان فيلماً جباراً، ولكن العقبة الرئيسية أو المشكلة الرئيسية التي اقترنت بفيلم الرسالة هي القيود الدينية التي لازمت إخراجه وتصويره، وكانت من العوامل التي حدَّت من الانطلاقة العملية، ومثال ذلك أن العقاد يعرف وهو مقتنع بأنه لا يمكن إطلاقاً تصوير شخصية رسول الله سيدنا محمد عليه السلام. فبقي التصوير يجري على أن الرسول ﷺ عمل كذا وقال كذا، لذلك سار الفيلم في مسار الرمزية أو « الشبحيَّة » التي أضعفت من بُعْدِهِ السينمائي. وقد خرج الفيلم رائعاً يمجِّد انطلاقة الإسلام الرائعة، ومع ذلك جرى مَنْع عرضه في بعض البلاد العربية كلبنان مثلاً، حيث لم يوافق المفتي الشهيد الشيخ حسن خالد رحمه الله على عرضه.

وأثناء تصوير فيلم « الرسالة » في المغرب أوقف الانتاج من قبل السلطات المغربية، وبدلاً من أن يصاب العقاد بخيبة أمل أو انتكاسة، قابل خَبَرَ وَقْفِ العمل بالفيلم بدون أن يرف له جفن، فأسرع إلى حقيبته، وتوجَّه رأساً الى الجماهير العربية الليبية التي فتحت له أبواب متابعة الإنتاج الضخم، وعاد العمل في الفيلم بعد شهرين من توقفه بالمغرب حتى انتهى.

وإلى أن نعرف مشاريع مصطفى العقاد التي نفذها أثناء تحرير هذا الفصل عنه باعتباره من المشاهير في العالم، نبقى بالانتظار لتزويد قرائنا بالجديد عن أعماله، لأننا نتوقع زيارته لدمشق ومقابلته عاجلاً أو آجلاً لضم المعلومات الجديدة عنه وعن بعض المشاهير في كتابنا هذا في الطبعة الثانية. وإن غداً لناظره لقريب.

ونترك المخرج العملاق مصطفى العقاد لطموحه السينمائي العالمي الذي قاده من مدينة حلب الشهباء الى هوليود مدينة السينما ليصوغ ويقدم أفلاماً عن الشخصيات التاريخية حسب وَعْده ليضعها في جِيد العالم من خلال أفلامه الاسطورية ...

فريدريك سويدان..؟

"قرصنة عالمية"



خرج من دمشق باسم فهد سودان ومعه مائة دولار فقط.

قام لأول مرة بخطف ناقلة بترول جبارة.

باع النفط لجنوب إفريقيا.

عبأ خزانات الناقلة بالماء.

شارك المافيا اليونانية.

حُكِمَ عليه بالسجن ٨٦ عاماً.

« فهد سويدان » يخرج من دمشق ومعه مائة دولار :

○ لقد آلينا على نفسنا أن نعرّف القارئ في هذا الكتاب على بعض مشاهير العالم الذين حرّكوه أو حرّكوا الإعلام العالمي والرأي العام فيه. وهذه هي محطتنا الثالثة مع ثالث المشاهير الذين حركوا العالم والإعلام بدون اغتيالات أو تعقيبات للمخابرات، ألا وهو المغامر السوري، بل الدمشقي الأصل (فهد سويدان) من سكان شارع الميدان بدمشق الذي حصل على شهادة الدراسة المتوسطة من ثانوية الميدان، وترك الدراسة لأسباب خاصة وأخذ يفكر مع زميل له ولنا، لأنه الآن من كبار مراسلي الصحف في دمشق، في مشاريع للمستقبل. فتمكن فهد من « تجميع » مائة دولار أميركي، وتباحث مع الزميل بأمر « الهجرة » من دمشق إلى « بلاد برّه » بدون تحديد الولايات المتحدة أو غيرها؟ ولكن الزميل تعجب من جرأة فهد وقال له : لماذا تكفي المائة دولار وماذا ستفعل بها ؟

وسار كل منهما في طريق، فهد سويدان غادر دمشق، وقيل أو سمع عنه زميله أنه توجه إلى مدريد عاصمة اسبانيا وسجّل نفسه في إحدى جامعاتها بطريقة غير معروفة لدينا حتى الآن، لأن العرف يقضي بأن يكون الطالب الذي ينوي التسجيل بأيّ جامعة في العالم قد أنهى دراسته

الثانوية، وحصل على شهادة « البكالوريا » ولكن بطل قصتنا هذه خرج من دمشق كما ذكرنا وهو يحمل الشهادة المتوسطة « البروفيه ».

انقطعت أخبار مغامرنا العتيد عن زميله حوالي عشرين عاماً وأكثر، أصبح خلالها بطلنا صاحب ومدير عام شركة نفط عالمية، ولذلك قصة طويلة هي مراحل هجرته ومحاولاته الوصول إلى الأعالي.

فقد نشرت مجلة « الصياد » اللبنانية المعروفة دراسة مستفيضة أعدّتها « غرفة التجارة العربية ــ اليونانية في أثينا » وأشارت في هذه الدراسة إلى حادثة ناقلة النفط العالمية ــ سالم ــ التي أغرقت قبالة ساحل السنغال في غرب أفريقيا، والتي حوكم لأجلها وبتهمة الاحتيال المدعو « فريديريك سويدان » المقيم في هيوستن بالولايات المتحدة الأميركية.

ثم قامت المجلة نفسها « الصياد » ونشرت في الاسبوع اللاحق تفاصيل حادثة إغراق ناقلة النفط التي اعتبرت في حينه اكبر عملية قرصنة بحرية من نوعها، وأخطر عملية احتيال لها ذيول سياسية تتعلق بموضوع سياسي حساس مطروح في الدوائر العربية والعالمية، وهو موضوع مقاطعة جنوب أفريقيا العنصرية، و « خرق » هذه المقاطعة من قبل بطل قصتنا هذه الذي ظهر بعد غياب « فريدريك » وهو نفسه فهد سودان أو سويدان، لا فرق لأنه يحمل الآن أوراقاً رسمية وهوية وجواز سفر باسمه الجديد ويتنكر أو يتناسى اسمه القديم « فهد » الذي لا يريد لأحد أن يناديه به.

القصة من أولها :

○ في مدينة « هيوستن » الأميركية، وفي ولاية تكساس بأكملها، لم يكن أحد يعرف من هو « فريدريك سويدان » وماذا يعمل هذا الشاب الطموح الأسمر الذي يشبه الممثل المعروف « كيرك دوغلاس » سوى

« قلة » من العاملين في حقلي التجارة والنفط. وحتى هذه القلة لم تعرف سوى أنه أنيق جداً، لائق المظهر، ذكي، سريع البديهة و « بلاي بوي » من الطراز الأول، إضافة إلى معرفتهم أنه صاحب شركة « صغيرة » تعني بشؤون النفط والاستيراد والتصدير مثلما تسمح قوانين الولايات المتحدة لمن أتم أكثر من خمس سنوات إقامة متصلة فيها.

كان معظم الحديث عن فريدريك (فهد) محصوراً في هذا الإطار، ولم يكن هو يمانع في ذلك، ولكنه في النهاية أصبح يتعمَّد إخفاء شخصيته الأصلية حتى أن التحقيق معه فيما بعد، وما نشر عنه في الصحف، يؤكد أنه « لبناني » ونحن نعرف أنه من الممكن الحصول على « جواز سفر » أو حتى « جنسية لبنانية كاملة » لقاء مبلغ خمسة آلاف ليرة لبنانية يوم كان لليرة اللبنانية قيمة شرائية يعتدّ بها، ولا نعرف مدى الفائدة التي سيجنيها من إخفاء شخصيته الحقيقية عن العالم الذي حوله.

أما شخصيته الحالية فقد وصفها القاضي الفدرالي الأميركي « راندي بيلوس » باسلوب بسيط وممتع. فقد قال هذا القاضي عن فريدريك: « إنه مخادع، فنان، تمكن بمهارة وذكار أن يستولي على ناقلة نفط عملاقة ويسرق من حمولتها ما قيمته ٥٦ مليون دولار من النفط ثم يغرقها في وسط البحر وليس معه في محفظته دولار واحد » ويتابع القاضي راندي قوله باختصار: « إنني لم أر في حياتي كقاضٍ شخصاً يتمتع بهذه القدرة الهائلة على إقناع الناس لتصديق كل كلمة يقولها، وهو كذاب من الدرجة الأولى » ــ وهذا التعليق كان أثناء محاكمة طويلة لم تشهدها هيوستن حتى أن إحدى محطات التلفزيون الأميركية اقتبست قصة فريدريك هذه ومحاكمته المدهشة وصوّرتها مسلسلاً تحت اسم « داينستي » وهذا المسلسل تدور قصصه حول رجال النفط والعالم الذي يحيط بهم.

لقد كان هذا العالم بالذات « الحلم » الذي تمناه وعمل لأجله

فريدريك منذ أن هاجر الى الولايات المتحدة من سنوات طويلة ليبدأ حياة جديدة هناك. وكعادة أي مغترب فقد واجه الكثير من المتاعب والصعوبات في البداية، ولكنه قاومها وتغلّب عليها حتى تم له تأسيس شركة تجارية برأسمال « عيني » سماها « بولامكس » وانطلق بها ليجرّب حظه.

أمض فريدريك الـ ١٥ سنة الأخيرة قبل عملية ناقلة النفط بين ميسوري وهيوستن، وكان في هذه السنين يصف نفسه بأنه أكبر تاجر نفط في العالم، له مكانته وسلطته وسمعته داخل الولايات المتحدة وخارجها. ورغم أنه نجح بهذه الطريقة الدعائية من تحقيق بعض الأرباح المعقولة، فإن نجاحه الكبير تم عندما انطلت دعايته على حكومة جنوب أفريقيا، حيث طلبوا منه أن يؤمن لهم « صفقة كبيرة من النفط » فدخل معهم في مفاوضات طويلة كان يصفها لأصدقائه ومعاونيه بأنها « صفقة العمر » رغم محاربة جميع دول العالم لجنوب أفريقيا بسبب العنصرية. وقد وجد فريدريك وكان آنذاك في الخامسة والثلاثين من العمر تجاوباً غير منتظر من حكومة جنوب أفريقيا لمعظم الأفكار التي طرحها أمامهم، ذلك أن هذه السلطات كانت بحاجة ماسة الى النفط من أية جهة أتى بسبب المقاطعة من الدول العربية وأغلب دول منظمة الأوبك « وهذا ما ذكرناه ». قدم فريدريك نفسه للمفاوضين المخدوعين من حكومة جنوب أفريقيا العنصرية على أنه :

ـــ يملك ٢٢٥ آلة تنقيب عن النفط.
ـــ صاحب ١٤٠ بئراً للنفط في لويزيانا.
ـــ صاحب ١٣ مصفاة بترول في مختلف انحاء الولايات المتحدة.
ـــ الرجل الوحيد القادر على إيصال آلاف أطنان النفط الخام إلى أي مكان في العالم في اطار من السرية التامة.

○ ومع هذا العرض المغري الخادع لم يكن يهم المفاوضين من

جنوب أفريقيا كل ذلك. فقد سألوه بشكل مباشر : « هل تضمن وصول الحمولة التي نتفق عليها الى جنوب أفريقيا في موعدها ؟ ». فأجاب فريدريك على الفور : « بالتأكيد » فقالوا له : « اذن اتفقنا ».

والمعلومات التي كشفت بعد ذلك من مصادر اميركية ويونانية حول ما حصل بعد هذا الاتفاق تقول ما يلي :

○ كان أول عمل قام به فريدريك أثر انتهاء الاجتماع، اللجوء إلى أحد أصدقائه المصرفيين في نفس جنوب أفريقيا ويدعى « دانيال خوري » وعرض عليه طلب الحكومة لصفقة النفط وطلب منه قرضاً بقيمة ١٣ مليون دولار لشراء ناقلة نفط واستئجار قبطان وملاحين. صعق وتعجب بنفسه كيف أمكنه قبض مثل هذا المبلغ وهو ١٣ مليون دولار من صراف مقامر مثله بموجب التوقيع على « سندات » فقط. ومن جنوب أفريقيا انتقل إلى جهة مجهولة حيث استأجر ناقلة نفط عملاقة اسمها « ساوث صن » فأطلق عليها اسم « سالم » لأن هذا الاسم محبب الى الكويتيين. وقد اتفق مع الكويتيين على أن تقوم هذه الناقلة بنقل النفط الخام من الكويت إلى ايطاليا باسم وضمانة شركة « شل » التي نالها النصيب الأوفى من الخداع أيضاً. لكن بدلاً من أن تبحر الناقلة إلى وجهة سيرها القانونية المصرح بها « إيطاليا » أبحرت الى شواطئ جنوب أفريقيا. وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩، أي بعد شهر من الاتفاق المبرم بين حكومة جنوب أفريقيا وبين فريدريك سويدان، كانت حمولة الناقلة « سالم » من النفط البالغة (١٩٥ ألف طن من النفط) يفرغ منها (١٨٠ ألف طن) في ميناء « ديربان » واحتفظ القبطان بكمية ١٥ ألف طن بالناقلة لغرض اتفق عليه مع فريدريك. وبذلك أسدل الستار على الفصل الرئيسي من هذه العملية المثيرة باستلام حكومة جنوب افريقيا للنفط.

اختفاء الناقلة للنفط سالم ؟ :

○ بعد تنفيذ فريدريك اتفاقه وتسليمه النفط المحرّم على جنوب أفريقيا من أغلب دول العالم، أوعز الى قائد الناقلة وهو غارق أيضاً في فصول هذه العملية بالتوجُّه بالناقلة الى المكان الذي يجده مناسباً « لإغراقها » فأبحر القبطان إلى قبالة ساحل السنغال، وأغرقها في عرض البحر تاركاً كمية الـ ١٥ ألف طن من النفط التي احتفظ بها « تطفو » على وجه البحر لإقناع المحققين فيما بعد بأن الناقلة غرقت مع حمولتها، وذلك بتاريخ ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠. وهكذا سارت الخطة كما رسمها فريدريك حرفياً، ولم يتوقع أحد أن تذهب القضية أبعد من هذا الحد. فالنفط قد استلمته جنوب افريقيا وفرحت به وقيمته قبضها فريدريك « نقداً »، واستلم رفاقه في العملية بما فيهم القبطان والبحارة حصصهم من الغنيمة، والناقلة أغرقت عمداً، ولكن بتلك الطريقة التي ذكرناها لتقوم شركة « التأمين » بدفع التعويضات بالملايين استناداً لغرق الناقلة لأسباب مجهولة، كل ذلك تم بمهارة فائقة وكادت هذه العملية الكبيرة أن تمر مرور الكرام.

« ولكن » مرور السفينة التجارية البريطانية « تريدانت » ساعة وقوع الغرق الكاذب للناقلة « سالم » ـــ قَلَبَ كل خطط ومعادلات فريدريك رأساً على عقب ـــ وفتح عيون العالم على أكبر عملية احتيال من نوعها. وسواء كان مرور السفينة البريطانية صدفة أم غير صدفة، فقد انكشفت الخيوط الأولى للعملية الفاشلة بمجرد أن لاحظ قائد السفينة التجارية البريطانية أن أفراد طاقم الناقلة « سالم » التي طواها اليم يطلقون بعد انقاذهم من قوارب النجارة روايات مختلفة حول سبب غرقها. ومما زاد في اشتباهه « المظاهر التي بدا فيها البحارة المنقذون وهم داخل قوارب الإنقاذ » فقد كانوا يرتدون الملابس الرسمية « الناشفة والمكوية » ويضعون ربطات عنق « الكرافات »، ويحملون حقائب صغيرة

سامسونايت وغيرها تحوي على جوازات سفرهم وحاجياتهم الصغيرة بما فيها الأقلام، ويحملون ساعاتهم وغيرها.

وقال معاون قبطان السفينة البريطانية في معرض انطباعاته لما شاهده : لقد كان منظر بحارة الناقلة الغارقة سالم أشبه بمنظر الخارجين من حفلة راقصة لا من سفينة غارقة في قعر البحر لأن المفروض أن يكونوا بحالة يرثى لها.

وكنتيجة لكشف العملية وإجراء التحقيق الدولي بالقضية مبدئياً كانت النتيجة :

١ ــ دفعت حكومة جنوب أفريقيا مبلغ ٣٠ مليون دولار لشركة (شل) كتعويض فكانت حكومة جنوب أفريقيا الخاسرة الأولى.
٢ ــ فقدت شركة (شل) ١٥ مليون دولار فكانت الخاسرة الثانية.
٣ ــ دفعت شركة (لويدز) للتأمين البحري مبلغ ١٠ ملايين دولار فكانت الخاسرة الثالثة.

أما الرابحون من وراء العملية فكانوا خمسة :

ــ فريدريك سويدان.
ــ صهره وشريكه « عبد الوهاب الغزو »
ــ القبطان اليوناني « ديمتريس جورجيوليس » قائد الناقلة « سالم ».
ــ أنتون أو أنطون ريديل من روتردام.
ــ يوهانيس يوغين من فرانكفورت.

وبعد ذلك ظهرت لائحة أسماء أخرى لشركاء في العملية من وراء حجاب، أبرزهم نيكولاس ميتاكيس الذي كان له دور بارز في التخطيط للعملية. والذي قيل حسب التحقيقات التي أجرتها شرطة ميناء بيريس في اليونان أنه هو الذي استأجر الناقلة « سالم » وبحارتها، وهو الذي أشرف على كل الأعمال والنشاطات المشبوهة. ويوجد من ادّعى أثناء التحقيق أن

ميتاكيس هذا عضو بارز في عصابة المافيا ــ فرع اليونان ــ وهو الذي « ضغط » على فريدريك للقيام بالعملية منذ البداية، وقد استعمل محامو فريدريك هذه النقطة فيما بعد أثناء الدفاع عنه لتبرير تورُّط فريدريك في العملية مشيراً الى أن موكلهم لم يكن يدري أن « المافيا » ستسرق النفط عندما كان يفاوض سلطات جنوب أفريقيا.

أثناء التحقيق الأولي في القضية وجهت الى الخمسة الكبار هذه التهم :

١ ــ الاحتيال.
٢ ــ النصب (وهو فرع مموِّه للاحتيال).
٣ ــ السرقة.
٤ ــ تزوير أوراق ووثائق رسمية.
٥ ــ تآمر وتجسس (هذه المادة سنواصل البحث فيها لمعرفة ماهية التجسس ولمن).
٦ ــ الكذب الضار (وهو تهمة يحاكم عليها القضاء الأميركي).
٧ ــ القرصنة.

وقد تم تحديد التهم على هذه الصورة :

○ خدع المتهمون وأولهم فريدريك السلطات الكويتية التي لم تكن لتسمح ببيع النفط كما ذكرنا في الأساس لو أنها عرفت أنه كان سيحوّل إلى جنوب أفريقيا، لأن الاتفاق نص على بيع النفط لايطاليا دون غيرها، وهكذا فإن الكويت بقيت غير معنية مباشرة بما حدث. مادام النفط الذي وصل إلى جنوب أفريقيا كان مملوكاً لشركة أخرى دفعت ثمنه حين الاستلام من الكويت.

○ قام الصراف دانيال خوري بتحويل السندات الموقعة من فريدريك الى بنك « ميركا » في مدينة ديربان جنوب أفريقيا بقيمة ١٣ مليون دولار

وكان البنك قد منح هذا القرض على أساس أن العملية شرعية ولا تشكل خرقاً للقوانين المعمول بها.

○ ثبت أن المتهمين احتالوا على شركة (شل) التي تملك النفط.

○ احتال المهتمين على شركة (لويدز للتأمين البحري) التي أمنت الناقلة لديها.

○ استعمل المتهمون وثائق مزورة بينها وثائق من حكومات الدول المعنية بما حدث.

○ خالف المهتمون قوانين البحار المعمول بها دولياً عندما « خطفوا » الناقلة سالم في عرض البحر وغيّروا وجهة سيرها من ايطاليا إلى جنوب أفريقيا، ثم أغرقوها عن سابق تصوُّر وتصميم مستفيدين من التأمين على الناقلة والتأمين على حمولتها فأُغرقوا الناقلة وهدروا كمية ١٥ ألف طن من النفط على وجه البحر ليقبضوا التأمين « عن » ١٩٥ ألف طن من النفط. بينما باعوا الـ ١٨٠ ألف طن الباقية الى جنوب أفريقيا كما ذكرنا.

○ استفادوا من ثمن النفط الذي دفعته جنوب أفريقيا لكن المحكمة رفضت إلقاء أيّ مسؤولية على شركة « بونتيول » التي تسلمت النفط لفريدريك من السلطات الكويتية، على أساس أن الشركة لم تكن تعلم بأن مصير السفينة سينتهي في جنوب أفريقيا.

○ كذب المدعى عليه فريدريك سويدان على سلطات جنوب أفريقيا عندما ادعى وأقنعها بأن لديه فائضاً من النفط الخام حصل عليه من المملكة العربية السعودية، ويريد أن يتخلص منه، وكذب ثانية عندما أقنع السلطات نفسها أنه مضطر إلى أن يقوم بالعملية بشكل سري كي لا يغضب السعوديين لكي يستمروا بتزويده بالنفط.

كانت شركة شل البريطانية ومقرها لندن، وأيضاً شركة لويدز للتأمين

البحري في لندن، قد عجلتا بإقامة الدعوة الجنائية ضد فريدريك وزملائه، وحُوِّلت الدعويان إلى قسم المباحث العامة البريطانية (استكلندريارد). وقد استغلت هذه المباحث وجود فريدريك في لندن فتأملت بحسم الدعاوى ضده بأسرع وقت ممكن. وبالفعل صدرت مذكرة قضائية بالقبض على فريدريك سويدان، وأرسلت استكنديارد مفرزة إلى فندق « بارك لين » حيث كان يقيم، لكنه تمكن من الهروب إلى جنيف قبل أن يدري به أحد وبجواز سفر يوناني. ويمكن اعتبار قضية الناقلة « سالم » على أنها جزء من شبكة دولية واسعة الانتشار تدعمها المانيا من العمليات السرية في ميدان تجارة النفط، يشترك فيها عدد من موظفي الشركات النفطية المتميزين والمهتمين بتهريب النفط الى الدول الموضوعة على اللائحة السوداء مثل جنوب أفريقيا. يساعدهم في ذلك طبعاً بعض الرسميين المشرفين على حنفيات التعبئة في محطات الشحن داخل منطقة الخليج. ويستهدف هؤلاء من وراء ذلك تحقيق الأرباح الإضافية.

وقد كشف المحقق « بي.سي. سوانيبول » في وزارة النفط الجنوب أفريقية عن هذه الخطة في التقرير الذي وضعه وقدَّمه للمحكمة والمؤلف من ثلاثمائة صفحة. حيث أوضح التقرير المذكور أن الرسميين في محطات التعبئة كانوا يقومون « بضخ » كميات من النفط تتعدى تلك المتعاقد عليها رسمياً والمدفوع ثمنها. وكانت هذه الكميات الإضافية تشكل مع الوقت حمولة ناقلة.

بعد ذلك كانت الشركة المعنية تشتري هذه الحمولة النفطية من محطة التعبئة في الخليج وتشحنها على متن ناقلة يديرها بحارة موثوقون. ويتم فيما بعد تفريغ كمية النفط المباعة في أحد الموانئ المدرجة على لائحة المقاطعة، ثم تملأ الناقلة من مياه البحر وتبحر باتجاه محطتها الأخيرة في الرحلة المزمعة. وعند بلوغها الجهة المقصودة بالاتفاق الأصلي تقوم من جديد بإفراغ مياه البحر « هذه المرة » بالتواطؤ مع الشركة المشرفة على

الخزانات الكائنة على الشاطئ، وذلك بمدّ الأنابيب الى البحر لتفريغ الماء ومدّ أنابيب أخرى « احتيالاً » الى الخزانات وكأنها « تفرّغ » النفط الخام فيها.

واستناداً الى هذه العملية المعقدة التي لا تخطر على البال، استطاعت الشركة المحافظة على صحة الوقائع المسجلة في دفاترها ونجحت في إخفاء سائر القرائن التي تثبت تجاوزها قوانين الحظر المعمول بها. وبعد إتمام الصفقة كانت الأرباح والمغانم توزَّع بين الأفراد المشتركين بها.

وفي قضية الناقلة « سالم » رفضت محكمة بيريوس في اليونان طلباً تقدم به محامو الدفاع يقضي باستدعاء بعض الشهود من الشركة الايطالية « بونتويل » وهي المال الأصيل لكميات النفط الخام التي بلغت كميتها كما ذكرنا ١٩٥ ألف طن، وكذلك من شركة « شل » الدولية التي اشترت الحمولة من النفط والناقلة في عرض البحر. وقال المسؤولون في شركة شل إنهم اشتروا الحمولة بمبلغ ٥٦ مليون دولار قاموا بدفعه بعد يومين من غرق الناقلة « سالم » دون أن يدروا شيئاً عن العملية، ولكن شركة شل نجحت في استرداد مبلغ ٣٠,٥ مليون دولار من أصل المبلغ الاجمالي وخلال تسوية ودية بعيداً عن المحاكم.

ويدعي المحقق سوانيبول في التقرير الذي وضعه. أن الدور الذي لعبته شركة « شل » في هذه القضية، خضع لاستقصاء دقيق من قبله، إذ اضطرت الشركة المذكورة، على ما يبدو، الى دفع سعر مرتفع جداً للحصول على النفط الذي لم يحصلوا عليه في الواقع، بعد ما تأكد عملاء الشركة أن كميات النفط أفرغت في ميناء « ديربان » الجنوب أفريقي، وأوضح التقرير نفسه أن الشركة الايطالية بونتويل رفضت التعاون مع المحقق، وطلبت منه الاتصال بمحاميها.

وفي محكمة بيريوس اليونانية ركّز محامو الدفاع على محاولة إثبات معرفة أصحاب الحمولة، مسبقاً بمسألة تفريغ الناقلة في جنوب أفريقيا ولو

نجح هؤلاء في محاولتهم فإن تهمة الاختلاس تصبح مرفوضة أساساً. وقال المحامي الكسندر ليكوريزويس الذي تولّى الدفاع عن المتهم نيكولاس ميتاكيس، والذي يُرمز إليه بـ « المدبر للعملية »، إنه كان من الطبيعي أن تقول « شل » إنها ضحية عملية احتيال مدبّرة بعد غرق الناقلة « سالم » لأن ذلك سيغطي دورها في عدم احترام قانون المقاطعة المفروض على جنوب أفريقيا.

وحسب تقرير قدمته المباحث العامة البريطانية اسكتلنديارد الى المحكمة وتمت تلاوته أمام الحضور، فإنه ليس هناك إثبات وحيد يدل على أن شركة « شل » كانت متورطة في الحادثة. ويشير التقرير المقدم من المحقق سوانيبول الى المحكمة الى أن الـ ٣٠ مليون دولار التي دفعتها جنوب أفريقيا الى مَن وصفهم بـ « المتآمرين » قد جرى توزيعها على الشكل التالي :

○ ٢٠ مليون دولار الى السيد ميتاكيس وقد قبضها باسم مستعار من أحد البنوك السويسرية.

○ ٨,٣٥٠,٠٠٠ مليون للذين رتبوا العملية مع السلطات المختصة في جنوب أفريقيا وبينهم فريدريك سويدان بالطبع.

○ مليونين دولار لقبطان الناقلة « سالم » المتآمر مع فريدريك ولطاقم الناقلة من البحارة البالغ عددهم ١٤ بحاراً.

والملاحظ في التقرير أن المبلغ المذكور وهو ٣٠ مليون دولار لا يشمل قيمة القرض الذي حصل عليه فريدريك من السيد خوري في جنوب أفريقيا لشراء أو استئجار الناقلة، ودفع تكاليف الرحلة البطوطية ونفقاتها.

ونشر المكتب الدولي للملاحة بعد كشف فضيحة إغراق الناقلة « سالم » تقريراً يتضمَّن معلومات دقيقة حول الطريقة التي تمت بها

العملية مع التركيز على الدور الأساسي الذي لعبه فريدريك في التخطيط والتنفيذ.

وطالب التقرير الحكومة اليونانية بتكثيف تحقيقاتها في هذا الشأن. وقد فسّر ذلك على أنه إشارة الى الدور الهام الذي لعبه ميتاكيس، ونظراً لوجود عدد كبير من الملاحين اليونانيين على متن الناقلة. وفي محاولة من قبل المحكمة للتأكد من هوية « فريدريك سويدان » وعنوانه ورقم هاتفه، تبين أنه مسجل في دليل هاتف مدينة هيوستن تحت اسم « فهد سودان » (وهو اسمه الحقيقي) في أول حضوره الى الولايات المتحدة وقبل أن يصبح بقدرة قادر « فريدريك سويدان » وعنوانه : هيوستن ـــ ٢٨ شابيرال كورت ـــ فيروري سيتي، هاتف : ٦٥٣٨٩٤٢، ولكن لدى الاتصال بهذا الرقم ردَّ صوت من الآلة المسجلة يقول : الرقم لم يعد صالحاً الرجاء مراجعة الاستعلامات. كما تبين أن شركة « أوكسفورد » المالكة الأصلية للناقلة « سالم » غير معروفة وغير مسجلة أيضاً في الدليل التجاري والبحري لمدينة هيوستن. وقد ورد العنوان الآخر لفريدريك أثناء التحقيق وهو : فيروري ـــ ٣٥١٤ ـــ الدورادو، ولدى سؤال أحد جيرانه عن مكان وجوده، أجاب بأن المنزل مؤجر لعائلة أميركية لا تمتُّ من قريب أو بعيد الى أي شيء اسمه سويدان.

لمحة مكثَّفة عن حياة فريدريك /أو/ فهد سويدان :

○ من حين حضور فريديك /أو/ فهد سودان إلى الولايات المتحدة وهو في العشرين من عمره مهاجراً إليها، كان يعيش حياته كالرجال الأثرياء، فكان يصرف بدون حساب، وينفق بدون تردد، ويتصرف كمن يملك منجماً من الذهب لا ينضب ولا ينتهي لتثبيت أموره وتصرفاته. وقد اضطره ظهوره في هذه البحبوحة الدائمة إلى أن يواظب على هوايات

مكلفة جداً، كشراء الملابس الايطالية والفرنسية الباهظة الثمن، واقتناء الساعات المذهبة والمرصعة بالألماس وتزيين أصابعه بالمجوهرات النادرة المرصوفة فوق الخواتم الذهبية.

ويقول شريكه السابق جون حداد أن فريدريك طلب منه مرة سحب مبلغ ٧٩٠ ألف دولار من حسابه الخاص في بنك الاعتماد السويسري، ليشتري بعض الملابس الجديدة، ويدفع تكاليف عملية « إجهاض لعشيقته ميشيل » هكذا اسمها ميشيل .. ؟

وكان جون حداد بين الأشخاص القلائل الذين عرفوا فريدريك عن قرب، فقد عمل معه منذ عام ١٩٧٩ وسافر معه في معظم رحلات العمل التي كان يقوم بها الى خارج الولايات المتحدة، ولكنه كان لا يعلم ماذا كان يخطط في الخفاء. وقد وقف حداد « الذي يعمل الآن في شركة تأمين ضخمة في السعودية » كأحد الشهود الرئيسيين في محاكمته في هيوستن. وأدلى باعترافات على قدر كبير من الأهمية والخطورة، ساهمت في إدانة فريدريك في معظم التهم التي وجهت اليه.

ومما ورد في إفادة حداد، أن المتهم فريدريك تلقّى في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ مبلغ ٣٢ مليون دولار من حكومة جنوب أفريقيا بمجرد أن بدأت الناقلة « سالم » في إفراغ النفط في المضخات التابعة لشركة النفط الحكومية في ميناء ديربان، وقد قام بتوزيع المبلغ كما ذكرنا على شركائه ومعاونيه محتفظاً لنفسه بمبلغ ٥ ملايين دولار لحسابه الخاص. وقال الشاهد حداد أنه أدرك في وقت متأخر أن شركة « بولاماكس أنترناشيونال ». التي أسسها فريدريك سويدان في مدينة هيوستن والتي جاء حداد خصيصاً لمشاركته فيها، لم تكن تلك الشركة الضخمة التي صوّرها له فريدريك، وان ما قاله صاحبها عن رأسمال ضخم يصل الى ٣ ملايين دولار في حينه كان كذبة كبيرة.

ومن الملاحظات الأخرى البارزة في كلام الشريك حداد يجب تسجيل ما يلي :

أولاً : تمكن فريدريك سويدان من اقناع حكومة جنوب أفريقيا بالصفقة « بعدما قدم نفسه كصاحب شركة نفط ضخمة لها اتصالات عميقة وقوية مع العالم العربي، ومعروف »، وذكرنا مراراً أن تصدير النفط « العربي » إلى جنوب أفريقيا محظور بسبب سياستها العنصرية.

ثانياً : كان فريدريك متأكداً أن العملية ستمر بدون ضجة للأسباب التالية :

أ ــ لأن بيع النفط تم بصورة سرية بناء لطلبه وليس من مصلحة جنوب أفريقيا الاعلان عنه.

ب ــ لأن قوانين الدولة نفسها تمنع السؤال عن مصدر البيع أو الجهة المسؤولة عنه.

جـ ــ خلافاً لما توقع فريدريك، فلقد برزت القصة على سطح الأحداث شيئاً فشيئاً بسبب « وفرة » عدد الضحايا المتضررين منها، وكميات الأموال التي أهدرت بسببها، إضافة إلى كثرة الشركاء والوسطاء والمنتفعين.

○ وقد اكتشف المتهم نفسه صحة مخاوفه، عندما علم في نهاية كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ بأن قراراً صدر في سويسرا استناداً لقانون جديد يقضي بتجميد حسابه الخاص الموجود في أحد بنوك زوريخ. لكنه رغم ذلك تمكن بدهائه وطرقه الخاصة من سحب مليون دولار من الحساب المجمد بمساعدة صديق مصرفي سويسري تخطياً للقانون هذا. وقد حمل سويدان المليون دولار هده ضمن حقيبة سامسونايت صغيرة وسلمه الى شريكه حداد « في حينه »، وطلب منه إيداعه في حساب خاص باسم حداد فقبل مرغماً. وبعد أيام عاد وطلب منه سحب المليون دولار بحجة شراء بعض الحاجيات « لنتصور معاً ادعاء العظمة والمظاهر

الخداعة احتيالاً حتى أقرب الناس إليه وهو شريكه جون حداد » حيث يطلب منه سحب مليون دولار لشراء « بعض الحاجيات » أليس لدى القاضي الذي حاكمه في هيوستن الحق في نعته بهذه الصفات؟

وتبين من اعترافات حداد في وقت لاحق، أنه قبض من سويدان مبلغ ١٨٠ ألف دولار، عندما قبض الدفعة الأولى من حكومة جنوب أفريقيا، لكنه برر ذلك بأن المبلغ تعويض عن رواتب وحصص لعمليات تجارية سابقة لا دخل لها بالعملية.

ويعتبر جون حداد الشاهد رقم ٥٩ في المحاكمة التي استمرت اكثر من ثلاثة أشهر والتي وصفتها الصحف الأميركية بأنها واحدة من « أعقد وأصعب المحاكمات من نوعها حتى الآن » حيث استغرقت تلاوة التهم الموجهة الى المتهمين ثلاث ساعات كاملة. وكلّف استدعاء الشهود وتعويضاتهم ٢٠٠ ألف دولار، اضافة لعشرات آلاف الدولارات الأخرى كنفقات للمحاكمة، وقد اضطر القاضي لاستصدار مذكرة تطالب بتجميد آخر ما تبقى لفريدريك من حسابه الخاص في الباهامس لضمان تغطية جميع النفقات.

وعلى الرغم من أن القضية تتعلق بعدة أشخاص ساهموا بطرق مختلفة في عملية القرصنة والاحتيال هذه، فإن التركيز الاتهامي كان منصباً على اثنين فقط وهما :

○ فريدريك سويدان (الذي اتضح أن اسمه فهد سودان).

○ عبد الوهاب الغزو ــ الشخص الثاني المعني في الاتهام وهو صهر وابن عم لفهد سودان، وقد اتهم الثاني ايضاً بالكذب والاحتيال والتزوير والتهرب من دفع الضرائب. وقد قبض عليه مع فريدريك حتى صدر عليهما الحكم. ويبلغ الثاني عبد الوهاب الغزو من العمر خمسين عاماً، وهو صاحب محل تجاري معروف في دمشق قبل أن يطلبه « ابن عمه »

فهد، وينتقل الى هيوستن ليعمل معه، ويصبح فيما بعد « حامل أسراره ومفاتيحه ». وسبق له أن سقط غير مرة في المحكمة مغمياً عليه بسبب ضيق في النفس يعاني منه منذ فترة طويلة، وكانت رئاسة المحكمة ولأسباب إنسانية تقدر ذلك وتطلب له كافة الاسعافات اللازمة، وتؤجل الجلسة المرة تلو المرة، كما قال محاميه إن « ضعفه » في اللغة الانكليزية وعدم وجود مترجمين اكفاء ودقيقين في المحكمة إضافة الى جهله للقوانين المتبعة في الولايات المتحدة، كل ذلك قد عرضه إلى الحكم عليه حكماً غير عادل في نهاية المحاكمة.

○ وبين الشهود الذين استمعت المحكمة إليهم دانيـال خوري المصرفي الذي قدّم القرض المالي لفريدريك لشراء أو استئجار الناقلة « سالم »، والذي قال إنه تعرَّف على المتهم عن طريق المتهم الآخر جيمس هيلاري ستورك الذي سبق أن عاش في مدينة هيوستن بعض الوقت. ثم استمعت المحكمة الى الشاهد دي موستيرت المسؤول القانوني في شركة نفط جنوب أفريقيا الذي حاول تبرئة فريدريك بالقول إنه لم يكن على علم بأن النفط سيُسرق في عرض البحر. الا أن مسؤولين آخرين في الشركة رفضا الادلاء بشهادتيهما أمام المحكمة، وهما فاني نود وجان بريدنيكامب. وقيل إن ذلك يعود إلى خوفهما من أن يضطرا إلى الادلاء بمعلومات عن صفقات أخرى غير مشروعة قامت بها الشركة في أوقات سابقة.

ومن الشهود أيضاً المدعو دونالد سيتون الذي قال إن نيكولاس ميتاكيس المطلوب في اليونان بهذه التهمة هو الذي « دبّر العملية »، وأشار الشاهد الى وجود أوراق ووثائق موقعة منه تؤكد ذلك، وقال سيتون في شهادته إنه حاول دفع العملية بسبب تعاطفه مع النظام العنصري في جنوب أفريقيا، وقد جرب ذلك عن طريقين : الأول عن طريق ميتاكيس والثاني عن طريق رومانيا؛ ولكن ما حدث بعد ذلك أن سيتون

نفسه خرج من العملية وحل فريدريك سويدان محله. ويتطابق كلام سيتون في شهادته مع كلام المتهم أنتوني رودل الذي قال في إفادته ان ميتاكيس هو الذي كان صاحب القرار النهائي في العملية إلى جانب عدد من شركائه اليونانيين وقد أبدى رودل أسفه أمام المحكمة لغرق الناقلة « سالم » مؤكداً أنه لم يكن يعلم أن الخطة كانت تتضمن إغراقها. وقال إنه عندما لجأ الى ميتاكيس وعاتبه على ما حدث أجابه : « لا تهتم فقد كلفت أشهر المحامين في العالم لترتيب القضية ».

وكان المتهم رودل قد حوكم في روتردام بسبب دوره وارتباطه بالقضية، حيث طلبت له المحكمة عقوبة السجن. كذلك الأمر كان بالنسبة ليوهانس يرغين الذي اعتقل في فرانكفورت لنفس الأسباب. أما المتهم القبطان ديمتريس فقد قبض عليه في دكار بعد أن وصلها مع طاقم البحارة المتآمرين في غرق الناقلة « سالم »، وقد اعترف بعض الملاحين هؤلاء وبينهم بعض التونسيين واليونانيين، بأن الناقلة أفرغت حمولتها من النفط في ديربان واحتفظ القبطان بكمية من النفط لكي تطفو على سطح البحر حين إغراق الناقلة وأنهم قاموا بتعبئتها بماء البحر لتسهيل عملية الإغراق وهذا ما حصل فعلاً.

○ ثمة أسئلة أخرى بقيت معلقة، لعل أهمها السؤال المتعلق بالدور الهام الذي لعبه ميتاكيس منذ البداية، والذي صوّره الشاهد سيتون بصورة دقيقة وحساسة لجهة دوره في تسيير الأمور وضغطه على الجميع بما فيهم « فريدريك سويدان ». ومثل هذا السؤال يقود إلى سؤال آخر : هل إن فريدريك كان « ضحية المافيا اليونانية » وبالذات ضحية ميتاكيس العضو الفعّال في هذه المافيا، أم أن فريدريك استغل المافيا واستغل ميتاكيس ليحمي نفسه من أخطار كثيرة كانت تحدق به ؟

ان الواضح من خلال قراءة التفاصيل الكاملة للعملية التي شرحناها هو عدم وجود شراكة ثابتة بين الاثنين، لكن ما قاما به، يصب في اتجاه

واحد، هو تنفيذ عملية احتيال وقرصنة متعددة الأطراف، وذات موضوع سياسي حساس يتعلق بخرق المقاطعة لدولة جنوب أفريقيا « العنصرية ». لكن من المهم الإشارة الى ما قالته عضو هيئة المحلفين مارتا موراي بأن الهيئة التي لم تجمع على رأي واحد بالنسبة لهذه القضية لاعتقاد بعض أعضاء المحلفين أن « تورُّط » فريدريك في العملية جاء متأخراً، وتحديداً بعد زيارته لجنوب أفريقيا في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٩ مما يعني « تحويل أو الصاق التهمة » بميتاكيس عضو المافيا اليونانية.

○ بالنسبة لميتاكيس لم تصلنا نتيجة محاكمته في أثينا.

○ كذلك لم تصلنا ترجمة الحكم على أنتوني رودل في مدينة روتردام.

○ أما بالنسبة لفريدريك /فهد/ سويدان وصهره عبد الوهاب الغزو فقد صدر الحكم على الشكل الآتي :

١ ـــ فريدريك سويدان : أدانته بـ ١٧ تهمة من أصل ٢٢ تهمة الموجهة ضده والحكم بسجنه لمدة ٨٦ عاماً، وتغريمه مبلغ ٨٨ مليون دولار.

٢ ـــ عبد الوهاب الغزو : ادانته بتهمتين فقط هما التآمر والاحتيال والحكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عاماً، وتغريمه ٣٠ ألف دولار.

○ أثر انتهاء القاضي رئيس المحكمة من نطق الحكم صاح فريدريك من وراء القضبان : « العدالة آتية .. العدالة آتية » وصاح صهره عبد الوهاب الغزو : « أنا بريء .. أنا بريء ». وأعيد الاثنان الى السجن المركزي في هيوستن.

أما نحن فإننا لا نزال ننتظر نتيجة صياح فريدريك أو فهد سويدان أن العدالة آتية. هل معنى كلامه أن هناك « استئنافاً » للحكم ؟ أم أن هناك تسوية ما ؟ إننا حتى الآن لا ندري ولكن طالما الحياة مستمرة وطالما أن

هناك محامين ضليعين في التسويات والتطبيقات، وطالما لا يوجد لفريدريك « رصيد » جيّد خارج السجن فإن كل شيء ممكن.

وإن غداً لناظره لقريب.

أنطوان قاموع ..؟

"لبناني من بيروت"



السناك بار الذي يملكه انطوان قاموع

درس الحقوق في جامعة باريس .

عمل في تجارة الأسلحة .

له علاقة مع رئيس المكتب الثاني اللبناني "غابي لحود".

جمع الملايين بشكل شاقولي .

كان يتحرش بأصدقائه ليهبهم المال .

أختطف واختفي في باريس .... وحتى الآن .

المليونير اللبناني أنطوان وقصة اختفائه الرهيبة :

○ من المؤسف أن بعض المشاهير في كتابنا هذا تنتهي قصصهم بالاختفاء الغامض المحيّر ومنهم سامي الخوري ــ ملك تهريب المخدرات اللبناني على سبيل المثال لا الحصر الذي مضى على اختفائه حتى ساعة تحرير هذا الفصل من الزمن « ربع قرن ــ أي ٢٥ سنة على التمام والكمال »، ولم يظهر له أي خبر ولم يتحقق أي احتمال من الاحتمالات أو الافتراضات التي طرحها أهله واعتمدنا بعضها .. مما يدل على أن من قاموا باختطافه مع أصدقائه قاموا بتصفيتهم جسدياً ودفنهم في مكان مجهول .. ألخ.

وها نحن نبدأ قصة مليونير آخر هو (أنطوان قاموع) تاجر سمسار أسلحة دولي لبناني الجنسية. فمن هو أنطوان قاموع ؟

○ الاسم : أنطوان قاموع.
○ اسم الأب : الياس قاموع من بيت شباب.
○ اسم الأم : نزهة أبو رحال من بكفيا.
○ تاريخ ومحل الولادة : ١٩٣١ (تصحيحاً) من ١٩٢٩ ــ كوناكري ــ غينيا.

○ الجنسية : لبناني ويستعمل جواز سفر لبنانياً.
○ القيد : لبنان ـــ بكفيا ـــ قيد نفوس (١٤١)
○ المهنة : رجل أعمال وتاجر أسلحة على مستوى عال.

○ تلقى أنطوان قاموع علومه الابتدائية والثانوية في مدرستي الحكمة والفرير في بيروت، وكان قد تلقى دروسه أيضاً في مدرسة القديس يوسف في بكفيا بلدة والدته نزهة، وفي مدرسة معروفة في بلدة بيت شباب مسقط رأس والده الياس. ثم عمل موظفاً في محكمة الجزاء بالمتن، وفي هذه الأثناء كان والده قد هاجر إلى غينيا ـــ وأقام في كوناكري حيث استطاع بجده وتعبه أن يؤسس بعض الأعمال الناجحة، منها شراء عدة بساتين موز في العاصمة الغينية، وأصبح الوالد الياس قاموع وكيلاً لشركة البواخر الفرنسية « فابر فاسيني » إلى أن توفي عام ١٩٤٦.

كان أنطوان قد انتقل الى كوناكري بعد انتهاء دراسته الثانوية في لبنان ولكن بعدما أممت السلطات الغينية أملاك العائلة في كوناكري قام بتصفية ما سمحت له به هذه السلطات، وتوجَّه إلى باريس حيث جعلها نقطة انطلاقه التجاري. كما اهتم بثقافته فأخذ يكمل دراسته العليا وقيل إنه سجل نفسه في كلية الحقوق في باريس ولكن لدى السؤال لم يعثر له على أي اسم.

أول عملية بيع أسلحة كانت لليبيا قبل ثورة الفاتح :

○ بدأت قصة أنطوان قاموع مع تجارة الأسلحة عندما تعرف إلى الشقيقين ادوار وادمون بارودي اللذين يتعاطيان تجارة الأسلحة بين بيروت وباريس ولندن. وقد صرح قاموع في حينه أن « باب الفرج » قد فتح أمامه عندما أتم صفقة سلاح بريطاني إلى ليبيا الملكية « في حينه » لتسليح الجيش الليبي، فقد اصطحب الشقيقان بارودي إلى بنغازي للتوقيع

على الاتفاق الذي تم بين الحكومة الليبية آنذاك وممثلي شركة : (B.A.C.) وهي شركة بريطانية لبيع السلاح. وهناك كان أنطوان حاذقاً أكثر من التاجرين بارودي فاستطاع « تطبيق » منذوب الشركة البريطانية، ويدعى ساسون بيدي كام، ولما عاد إلى لندن مصطحباً النسخة الموقعة من الحكومة الليبية على العقد قبض العمولة المتفق عليها وهي مبلغ (١٧ مليون جنيه استرليني) بينما حرمت منها التاجرين بارودي.

اختفاء أنطوان بعد أن وصل للمليونيرية :

○ عاش أنطوان قاموع حياته في باريس بالطول، واستمتع بمباهج الحياة. قام بأعمال وصفقات باهرة وأصبح حديث الناس حتى وصلت شهرته إلى أقاصي الدنيا شرقاً وغرباً. لقب بتاجر الموت. أصبحت مادة الكتابة عنه في كتابنا هذا أو الكتابة عنه في مختلف صحف العالم تشبه قصة تصفية المناضل المغربي الشهيد المهدي بن بركه في باريس « لمعرفة المزيد عن القصة الحقيقية لتصفية المهدي بن بركة راجع الصفحات من ٣٨٨ إلى ٤٠٥ من كتاب المخابرات والعالم من سلسلة كتب المخابرات والعالم ـــ الجزء الأول » أو قصة فيلم « زد ». فهناك السياسية، والسياسيون وعالم المخابرات الرابط المشترك في كل ما ورد في تفاصيل السيناريو المحبوك القفلات ؟

أما في قصة المليونير أنطوان قاموع فهنـاك السيـاسة، والـنساء، والمغامرات، وحب المال، وحب العيش الرغيد، والملاهي، والقمار، والكازينوهات، وعصابات بتاع كلّو .. هي مسلسل حياة أنطوان قاموع الذي استمد تألُّقه الاجتماعي البارز كشخصية ديناميكية مقتدرة برز في الظهور السريع إلى أعلى السلم ما تمنى شيئاً إلا وحقّقه : كان يحلم بالمال الوفير، فتدفق المال كالسيل بين يديه؛ كان يحلم أن يبلغ شهرة

دولية في عالم المغامرات والشهرة « يضاهي » بها مشاهير العالم ففصل إليها بأقل ما يحلم؛

كان يحلو له أن يظهر متألقاً في مجتمع يؤُمُّه أثرياء الشرق. كان يقامر « بالبلاي بوي »، وكانت الآلاف التي يكسبها يذهب نصفها منثوراً على « أرنبات » الملهى، أي المرافقات الجميلات اللواتي يلبسن المايوه فقط ويعقدن عليه من الخلف آذان أرنب تهتز كلما سرن هنا وهناك في ملهى البلاي بوي لخدمة الزبائن أمثاله. والنصف الآخر لأرباحه من القمار كان ينثره على الأرانب، أي موظفي الملهى، كان ينثر بخشيشه « الإكرامية » في جو عابق بالإثارة مدفوعاً بعقدة « شوفوني يا ناس ».

قطع درب الشهرة بما يشبه رفة عين. فبعد عشر سنوات من حضوره الى باريس تجمعت لديه ثروة تفوق المائة مليون دولار. كان المال بين يديه ليس غاية، بل وسيلة لامتلاك المال الآخر وامتلاك العظمة، والجاه والنفوذ، والفخامة. أعجبته شقة بريجيت باردو ممثلة الجنس والاغراء في فرنسا فما هدأ واطمأن حتى اشتراها. وأرضى صاحبتها بالمال الوفير الكثير وسجلها باسم شقيقه سامي قاموع. كان يحب الضجيج وامتلاك الشهرة من أي صنف كانت، وعن أي طريق جاءت يتحرش بالأصدقاء لكي يعطيهم المال الذي هم بحاجة إليه، ليس هذا المهم.. عنده بل المهم والأهم عنده أن تأخذ ماله الوفير، وتصبح من أتباعه الموزعين بين الشرق والغرب.. منهم الرجال الكبار، الحكام، الصحافيون، ذوو الأسماء والألقاب الشهيرة الرنانة ؟

كان يتعالى ويتعاظم ويقول : هذا الرجل الكبير الجالس هناك. (ويشير اليه). بإمكاني بجرة قلم واحدة أن أفلّسه وأجعله على الحضيض .. ويقول عن غيره : هذا أنا الذي صنعته. وذلك أسلفته آلاف الدولارات. كان يهب المال بلا حساب. شرط أن يطلب منه بخنوع وذل والحاح، كان سريعاً في أهدافه، بطيئاً في نجدة أصدقائه. وهذه الجملة

الأخيرة تذكرني ببعض الأصدقاء، كان يتلكأ عن الوفاء بالتزماته إن صمَّم أعطى بدون حساب ولا يعود يطالب، بل يدع الأمر لنباهة الطرف الآخر، فيغمز المرة تلو المرة من قناة الدين والدائنين كي يفهمه أن المال الذي أعطاه له لم ينسه، ولا يريد أن ينساه بل هو دين مستحق الاداء حين الطلب. يبقى الصديق المقترض في فلكه ودنياه مادام أسير ماله، فالمال المعطى له هو السيف المسلط عليه، وعلى رقاب كل مستنجد ملح بقاموع.

النجاح، كما وصفه أنطوان ليس صدفة ولا حظاً، بل إنه إرادة وتصميم. نصمِّم فتجيء قدراتنا على ضوء ما نصمم ونريد، أما الحظ فهو كالمرأة، لا تواليك الحب إلا إذا أشعرتها بحنانك، ودفء قلبك ومحفظتك. أما قاموع فقد صمم على أن يصل، في مثل هذه الشهرة والعظمة وهذا المال الوفير لقد دانت له الشهرة وهو في عزّ صباه وشبابه فعمل على استغلالها بمزاج ابن الشرق الحالم بكل فاتن وجميل.

ــ العمارات : امتلك منها أربعاً، واحدة في باريس وواحدة في لندن، والثالثة في جزر كناري والرابعة في بيروت.

ــ حياة الليل ومرابعة : له أربعة مرابع ليلية كبرى. اثنتان مخصصتان كريستوران، واثنتان للاستعراضات، والفرفشة، والانشراح.

ــ في الشياكة والمظهر : كان من أشيك الرجال وأغلاهم لبساً.

ــ امتلاك السيارات : امتلك في عزه خمس سيارات رولز رويس، واحدة في لندن مع سائق لبناني ينتظره في المطار لنقله الى فندق « ريتز » حيث له شقة محجوزة باسمه طوال السنة. وسيارة اخرى تقف بقرب فندق بريزيدان في جنيف حيث له جناح طوال السنة أيضاً، وثالثة في مدريد حيث كان ترأس مصنعاً للأدوية بالاشتراك مع طبيب أفرنسي، وسيارتان أخريان في باريس مقر عمله وإقامته.

ــ في الطائرات : لقد أنشأ على سطح عمارته في باريس مطاراً دائرياً لطائرتي هيلكوبتر يتنقل بهما هرباً من زحام السيارات، والناس.

ــ في النساء : كان محط الأنظار من قبلهن أينما توجَّه.

ــ في الكرم : وبصراحة، كان كرمه لمصلحته فقط « أي كرم موجّه » فإذا دُعي إلى حفل وكان له مأرب ظهر أكرم من « حاتم طي »، وبحبوحاً اكثر من المرحوم أوناسيس، فيرسل رجاله الى الحفل يحصون له المدعوين كم عددهم، فيحضر ويوزع الهدايا، للرجال ساعات مطعمة بالألماس أقلها ماركة فيليب باتيك، وللنساء عقود وخواتم . وقد دعا أثناء العزّ كما يقال (٤٢) شخصية اجتماعية مرموقة إلى وليمة عشاء في جزر الكناري في فيلته المعلقة بين السماء والأرض بسبب احتفاله بعيد ميلاده الثاني والأربعين حيث عاش المدعوون في جو اسطوري أخاذ فبين المدعوين بتواضع كان :

ــ الملك اليوناني قسطنطين وزوجته صوفيا.

ــ دون خوان ولي عهد اسبانيا « في حينه ».

ــ بريجيت باردو، فاتنة السينما الفرنسية.

ــ ميلين دومنجو، ملكة الإغراء السينمائي.

ــ إيرا فوستنبرغ. وغيرهم من أهل الشهرة من العظماء والأمراء.

لقد صمم انطوان أن تكون ليلة من ليالي العمر : فأحضر الطعام بطائرة خاصة من مطعم « مكسيم » في باريس « لقد تجرأت عندما كنت في بعثة إعلامية في باريس ودخلت هذا المطعم المشهور وليكن ما يكن، فطلبت غداءً متواضعاً (اسكالوب وكأس نبيذ) فقط لا غير وأتت الفاتورة المرعبة بـ ٥٠٠ فرنك » فكيف ببطلنا أنطوان يجلب الطعام لأكثر من ٤٠ مدعواً من هذا المطعم وبالطائرة الخاصة ؟! أما الجمبري الذي تناثر على جوانب المائدة العامرة فكان من ألاسكا، والفواكه أتى بها

خصيصاً ووفاءً من بلده لبنان « يوم كان ملء السمع والبصر وسيعود إن شاء الله »، والحلويات من اسطنبول، أما الراقصات السبع الساحرات القد والعيون فكّن من غجر منغوليا، والصوت العذب الذي شق عنان السماء تلك الليلة فقد كان صوت المطربة « ماريانا فلانكلي » منشدة أو فيروز اسبانيا. في هذا الجو من العظمة همس صحفي قدير في اذن صاحب الدعوة ورائحة الخمرة تفوح مع كل حرف يتفوه به:

ــ مسيو أنطوان كم تبلغ تكاليف هذه الوليمة .؟

ــ أجابه أنطوان : ٤٠٠ أربعماية ألف دولار .. بما فيها الهدايا.

ــ قال الصحفي الجريء : ألا ترى معي .. أن هذا المبلغ يعيل على الأقل أربعماية يتيم من أيتام لبنان عاماً كاملاً؟

تأثر المليونير أنطوان لملاحظة الصحفي الجريئة، ونادى مدير المالية والمحاسب العام لديه السيد هنرك لوك حالاً وقال له : جهز شيكاً بمبلغ ٤٠٠ ألف دولار وأرسله غداً صباحاً إلى « الوازيس » أي الى « واحة الأيتام » في قرية بحرصاف بلبنان ؟ وهكذا كان.

أما الهبات الوطنية فكانت واجباً ولها كشوفات شهرية. كانت تذهب بشكل دوري الى المنابع متداركة السقطات والعثرات من مصادفات القدر.

كان يريد أن يفهم الجميع أن « حيطه ليس واطياً »، وان الواجب المطلوب منه كعربي يؤديه على مختلف المستويات والظروف وهو « محمي الظهر » كما يقال عن عنتر، كان مقرباً من أبطال المسرحية. ابنهم المدلل مادام اتخذ الوفاء بالالتزامات الوطنية مبدأ له وشعاراً. وكان يصرح بأعلى صوته : « الشعب الفلسطيني المقهور يجب أن يعود إلى ترابه الوطني بلده، وسوف أساعد كل قضية تحررية في العالم. أفّ من الأميركان كنت وراء القرار البريطاني بمنع مدّ الاسرائيليين بقطع الغيار

والسلاح في حرب تشرين. وكان يردد : أنا رهن اشارة القضية العربية ».

كان أنطوان محدثاً لبقاً، وثرثاراً عجيباً يحب أن يدلي بدلوه في كل قضية تثار، وكل موضوع يطرح كان يحيط نفسه بهالة اسطورية محببة الا أن هالته هذه ما حجبته عن العيش كيفما كان وبروح الشرقي المغامر المحب للحياة، الباحث عن اللذات والشهوات حيث لم تشكل المرأة أي امرأة عقدة في حياته، فوسامته حاضرة ناضرة. وكذلك اللسان الحلو، والشعر الكثيف المكثف، وعيناه الخضراوان تضيفان مسحة شاعرية على الرجل القادم من جبل المتن في لبنان الأشم فتميّزه عن أصحاب الكروش « الوجيهة » والجيوب المليئة، والأوداج المنتفخة العارمة، لم تكن عقدته في الدنيا سوى عدة سنتمترات ضلت طريقها إليه، فاستنجد بباعة الأحذية يوصي على الحذاء ذي الكعب العالي سبعة سنتمترات لتؤلف معه قامة تستوي بقامة آلان ديلون الطبيعية وايف سان لوران وعمر الشريف.

الاستاذ الياس سابا وزير دفاع سابق في لبنان تحدث عن لفتة قاموعية صادفته في خريف عام ١٩٧١، حيث فوجئ وهو يهبط من الطائرة في مطار أورلي بباريس لملاحقة موضوع صواريخ كروتال، بسيارة رولز رويس صفراء هي أحدث صرعة في حينه في عالم صناعة السيارات مشرعة الأبواب، السائق الأشقر اللبناني يرحب به ويدعوه ليتفضل : سيدي الوزير الياس بك. تفضلوا، تراجع الوزير خطوتين للوراء وقال للسائق : لعلك أخطأت. أجابه السائق : أبداً أنا جاي مخصوص لخدمتك الياس بك، وهذه سيارة ابن بلدكم « اللورد اكسلانس » أنطوان بك قاموع معلمي.

عدة حوادث مماثلة صادفت شخصيات لبنانية كانت في زيارة لباريس منهم صحافي كبير فوجئ بحساب إقامته في فندق « لاكريون » مسدَّداً بكامله. فاتورة أخرى لرجل إعلامي آخر .. سددت سلفاً في ملهى « راسبوتين ». وكم كان شهماً وسريعاً في نجدة حاكم أو وزير، أو

مقتدر .. أذله القمار كم كان عقله الكترونياً في معرفة المعوزين والمتورطين فيسرع لنجدتهم ومن ثم تترجم هذه الفواتير النجدات إلى صفقات لاحقة ترفع من حجم أرصدته المالية الموزعة بين بنوك سويسرا ولندن وبيروت.

كانت شخصيته تحدد بثلاث كلمات : « قوي بقوة ملايينه » ومن الخطأ أن نقول إنه كان من صنف المهربين الدوليين. أبداً لم يكن قط مهرباً. إنه الوسيط الكفوء بين مصانع الأسلحة في أوربا .. وبلاد الخليج وليبيا والمغرب وإيران، فقد سمي بـ « تاجر الموت » من قبل مدير شركة « بريتش إير كرافت » المستر سامسون، إذ أغرق البلاد العربية والأفريقية بصفقات هائلة من أسلحة الموت والدمار بدءاً من الرشاش إلى الطائرة النفاثة.

لقد كان خلف صفقة طائرات الميراج إلى ليبيا، وخلف صفقة صواريخ كروتال إلى بلده لبنان بمشاركة المقدم غابي لحود مدير المخابرات اللبنانية، وله في المغرب حكاية طويلة مع أوفقير « قاتل المهدي بن بركة » والذي انتحر أو نُحر فيما بعد على مبدأ بشِّر القاتل بالقتل. بعد حين، كانت لأنطوان قواعد ثابتة في إيران الشاه مع شركاء، أما في المملكة العربية السعودية فلم يستطيع الاقتراب نظراً لوجود الملياردير عدنان الخاشقجي هناك « نرجو لعدنان الآن الفرج والانعتاق من بين يدي العم سام ».

كان أنطوان قاموع يعرف من الأسرار ما يطيح برؤوس كبيرة، كان يأكل ويطعم على مبدأ رحم الله من ربحَ وربَّح، كان يتاجر بالموت ويخشى من الموت، إن أهديت له قطعة سلاح فاخرة سارع الى حاكم مرموق يهديها له، كان يتجنب اقتناء السلاح ويكرهه. وقد ذكرنا أنه قطع المسافة الزمنية إلى الشهرة والمال متكلاً على صداقات جمّة بعضها جاءته بالحيلة وبعضها بالمال والبعض الآخر بالواسطة.

كان يلتهم الأخضر واليابس دون مراعاة الأحوال الجنتلمانية أكول إلى حد الفجع هوايته الاستيلاء على « كومبينات » السلاح في الشرق وبعض دول أفريقيا مهما كانت النتائج. في أفريقيا مدّ ثوار بيافرا بالسلاح الخفيف. وكانت أول صفقة سلاح يعقدها. ومن صفقة الى صفقة وصل الى الملك ادريس في ليبيا « في حينه » فانحنى يقبل يده ويقدم له التعظيم والتبخير والتفخيم. وكان الوزير السابق للخارجية اللبنانية « خليل ابو حمد » هو الجسر الذي مهّد له بما كان يملك من نفوذ وصداقات مع حكومة السنوسي، حيث كانت النتيجة صفقة السلاح الجبارة الى ليبيا كما ذكرنا في أول القصة. ولكننا لم نذكر أن عمولته كانت ٢٠٪ يذهب نصفها الى الوزراء الليبيين « أيام الملك ادريس ». ولكن حدوث ثورة الفاتح ومجيء العقيد معمر القذافي الى الحكم قلب اتفاق الأسلحة رأساً على عقب، حيث أدخل القذافي الوزراء المفاوضين إلى السجن، فاكتفى أنطوان بالنسبة المئوية من الحصة الأولى التي قبضها فور توقيع العقد بالحروف الأولى.

وبعد مدة سافر قاموع الى ليبيا الثورة وقابل العقيد القذافي وأقنعه بمتابعة العقد، فاقتنع القذافي وكسب أنطوان الجولة مرة ثانية.

مما يقال عنه انه دعا مرة أصدقاء من فرنسا لتمضية ٢٠ يوماً في ربوع لبنان، وأنزلهم في فندق الفاندوم. وقد تكلفت اقامتهم كضيوف عليه مبلغ ١١٧ مائة وسبعة عشر ألف ليرة لبنانية « في حينه » وقد تبين فيما بعد أن هدفه من هذه الدعوة « إبعادهم » عن صفقة سلاح تمت لصالحه من وراء ظهورهم. كان يقول : « لم أتعاطَ بتجارة السلاح بشكل مستمر مع بلدي لبنان لأن حجم التسلح فيه أصغر من طموحاتي وعملياتي ».

ومن صفاته العملية بعد أن وصل الى قمة المليارديرية أنه كان لا يحمل مالاً في جيبه، ولا بطاقات رصيد، ولا مفكرة، بل كان يعتمد على الذاكرة والفواتير التي يصرفها محاسبو مكتبه فيما بعد.

وكان حبه لوالدته « نزهة » لا يوازيه حب في العالم حيث كان لا يوقع أي اتفاقية ما لم تباركها. لذا كان يرسل في طلبها حيث يكون وفي أي بلد من بلدان العالم لتبارك الاتفاقية بينما يمضي في صلاة خاشعة قبل الإقدام على أي صفقة.

إلى جانب ذلك، كان كتوماً في عمله. ويعيش محاطاً بالسرية والغموض، لكنه كان يتباهى في الأوساط الاجتماعية بثروته الضخمة وبصداقاته العديدة مع أصحاب النفوذ من عرب وأجانب.

كانت حياته في البذخ والترف تعادل حياة أصحاب الملايين، بل فاقتهم. وهو يعتبر من كبار المساهمين في فندق « كريتون » في باريس؛ كما اشترى قصراً في « فونتين بلو » بخمسة عشر مليون دولار؛ ويملك منزلاً آخر في جادة فلوكيه في باريس قرب برج إيفل، وهذا المنزل مليء بالتحف النادرة، وأهم ما فيه مكتبة نادرة لا يوجد مثلها سوى في قصر الأليزيه الرئاسي في باريس، وهو بالاضافة الى ذلك يملك عدة فيلات على « الكوت دازور » وخاصة في « سان تروبيز ».

أما مشاريعة التي حققها في بلده لبنان وباريس فهي كما يلي :

١ ــ بناية سكن ضخمة في بيروت.
٢ ــ ٨٠٪ من أسهم بنك البحر المتوسط.
٣ ــ غالبية أسهم صحيفة « الصفا » الصادرة في بيروت بالفرنسية.
٤ ــ مدينة سكنية في مدريد ــ اسبانيا وهي من أضخم الالتزامات.
٥ ــ مشاركته في الكثير من أندية ومطاعم باريس الفخمة.
٦ ــ مشاركته في حصص في بعض نوادي القمار مع الكورسيكيين.
٧ ــ شراء لوحات زيتية عالمية نادرة سبق أن تعامل في رهنها.

○ وكان لا بد لرجل مثله من أن ينمي صداقات عديدة مع رؤساء جمهوريات ووزراء وضباط وأصحاب نفوذ ومسؤولين في العديد من

الدول. ويقال إنه كان على علاقة وطيدة مع الرئيس اللبناني السابق شارل الحلو والرئيس سليمان فرنجيه « أبو طوني ». حتى الرئيس الراحل الجنرال ديغول تعرف عليه بطرقه الخاصة وهداياه الشرقية. أما محاميه الخاص فهو الأستاذ خليل أبو حمد وزير الخارجية اللبنانية السابق الذي ذكرنا أنه كان « صلة » الوصل بينه وبين وزراء العهد الملكي في ليبيا. أما علاقته مع المقدم غابي لحود رئيس المخابرات اللبنانية سابقاً فتعود الى صداقة قديمة من أيام الدراسة معاً في مدرسة الحكمة والسكن في بناية واحدة.

وكان لا بد من منغصات في حياته، فقد اعتقل مرة حين حضوره الى بيروت لزيارة الأهل وفقاً لحكم غيابي صادر بحقه، ولكن أخرج عنه في اليوم نفسه بعد تدخل غابي لحود رئيس المخابرات اللبنانية في حينه وترافع وكيله المحامي الاستاذ خليل أبوحمد حين برّأته المحكمة على أساس أن المتهم المطلوب إلقاء القبض عليه هو « انطوان كمون » وليس « أنطوان قاموع ».

ولدينا « خبرية » عن صرعات أنطوان التي كان يكسب من ورائها الكثير مادياً ومعنوياً ومنها أن الرئيس السابق الاستاذ سليمان فرنجيه « أبو طوني » سافر الى باريس على رأس وفد رسمي لبناني باسم « الجمهورية اللبنانية » ليقدم التعازي ويحضر جنازة ومأتم الرئيس الراحل الجنرال ديغول، وأثناء استراحة الرئيس فرنجية في مقر رؤساء الدول فوجئ مرافقوه بسيارة رولز رويس محملة بأطباق عديدة من الكبة والملوخية، ولما سألوا السائق عن مصدر الطعام اللبناني الشهي، أفاد أنها من منزل أنطوان بك قاموع مواطنكم المقيم في باريس، وهذا الطعام هو من اعداد طباخة انطوان الخاصة وهي زغرتاوية « نسبة لبلدة زغرتا بلد الرئيس سليمان فرنجيه » مع أطيب التمنيات.

أما حياة أنطوان العاطفية مع النساء اللواتي دخلن حياته وعايشنه فترة طويلة وأبرزهن جيسلان سكرتيرة يوسف بيدس « صاحب بنك انترا

سابقاً » ويقال إنه أنجب منها أو تبنى طفلتها من زوجها السابق. أما علاقته وحبه الأول فهو للسيدة كوليت التي أحبها كثيراً حيث رافقته مشوار العمر حتى احتفائه في باريس كما سنذكر لاحقاً. وكان باراً بها استمر في مساعدتها رغم تقدُّمها بالسن وانقطاع علاقته بها، ويقال إن جيسلان هي السبب في ٦٠٪ من نجاحه وغناه بهذه السرعة، اذ كان قد حصل بواسطتها على أحد ملفات « معلمها السابق » يوسف بيدس وسبقه الى عقد صفقات تجارية حملته الى عالم الثراء والغنى.

أما عن تصرفاته، فها هو جورج زيادة الموظف في فندق الفاندوم في بيروت يقول عنه : « الخواجه أنطوان بك كان يحب الحياة الحلوة، لطيف المعشر، مراوغ محنك لكنه طيب، كان يستأجر أجمل شقق الفاندوم ويتصرف كأمير، خاصة مع أصدقائه. لكنه لم يكن كريماً بالبخشيش « الإكرامية » رغم غناه ». ورغم ثروته لم يكن لديه ما يفضله من أنواع المأكولات. فقط كان يحب البقلاوة الشامية، ولم تكن لديه رغبات المليونير المهووس. فحين يستقبل ضيوفاً يقدم لهم أفخر أنواع الطعام وأغلاها، إلى جانب الشمبانيا والنبيذ المعتق، وعندما كان يعود ليلاً الى منزله ينزلق إلى المطبخ لوحده ويقوم بقلي بيضتين دون أن يوقظ احدى الخادمات الثلاث، أو خادمه الخاص، أما الذين عرفوه بشكل سطحي فلا يحفظون عنه سوى ولعه بالكذب الأبيض، اذ يقولون إنه « يتعمد أن يظهر للآخرين أنه أصبح شيئاً ما » لكنه في الحقيقة ليس هذا فقط. فهو يتمتع بقلب محب وعاطفة ظاهرة بالنسبة إلى كل عائلته، ورغم نضوجه، فهو يعيش مراهقة دائمة، ويؤكد جميع من عرفوه أنه منذ طفولته وفي أوقاته العصيبة، أنه عاطفي يصعب عليه اخفاء أحاسيسه. وكان يهتم بصحته كثيراً، وكان له طبيب خاص يفحصه دائماً فهو مصاب بالوسواس خوفاً من الذبحة القلبية التي يقال لها بالعامية « السكتة القلبية » على أنه لم يصب بأي مرض وإن عائلته بالأصل عائلة أصحاء.

وأخيراً الاختفاء .. أو التصفية :

○ بعد سرّد وترتيب وعرض كل ما سمعنا أو علمنا أو قرأنا عن المليونير اللبناني أنطوان قاموع حتى وصوله للمليونيرية، حيث أصبح من المشاهير الذين تسلّط عليهم الأضواء أينما توجهوا، نراه وهو في عز عطائه وشبابه قد اختفى. نعم بكل معنى الكلمة اختفى من باريس، كما يقول المثل العامي « ملح وذاب ». فكيف اختفى أنطوان قاموع شاغل الدنيا بالطول والعرض ؟

لنبدأ بتسلسل الأحداث حتى لحظات الاختفاء يشرحها لنا خاله السيد نعيم أبو رحال الذي كان برفقته في باريس يوم اختفائه. يقول :

« أنطوان عبقري. كان طموحه بلا حدود. تداعب مخيلته المشاريع العظيمة، ولكنها مشاريع خيالية، كنت أؤنبه على تسرُّعه فيجيبني : « اسمع يا خالي أريد أن أحيا حياة جيدة، لا أستطيع الانتظار عدة سنوات للحصول على الأشياء الجميلة التي أرغب بالحصول عليها. وكنت أسايره وأراقب نجاحه يوماً بيوم وساعة بساعة. حتى كان يوم ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ [كان يوم أربعاء] وفي الساعة الثالثة والربع كنا معاً، خرجنا من منزله الكائن في شارع فلوكيه، رقم ٥، حيث صعدنا في سيارته الرولز رويس الزرقاء التي يقودها ميشال السائق والمدلّك الرياضي بنفس الوقت لأنطوان. اتجهنا ناحية أوتيل « بريستول » حيث كان على موعد مع حلاقه. توجهت مع السائق ميشال الى احد مقاهي الرصيف حيث تناولنا كوبين من الليموناضة « عصير الليمون »، ثم تركني السائق ليوصلَ رسالة من أنطوان الى الخياط اليهودي « سيلفان دايان » وهو صديق وشريك لمعلمه أنطوان.

« في الساعة الرابعة وصلت مع ميشال السائق الى فندق بريستول، وشاهدت أنطوان يغادر المبنى مع الخياط اليهودي سيلفان فقال لي :

خالي. اذهب الى البيت وسألاقيك هناك. الآن سأذهب مع دايان في سيارته (سيارة الخياط دايان كانت من نوع فيراري ايطالية ـــ ذات لون بني) لأننا على موعد مع أحد المحامين » وبعد حوالي الساعتين (في الساعة السادسة و ٤٥ دقيقة) اتصل أنطوان هاتفياً بالمنزل، وتكلم مع الميتر دوتيل قائلاً : « انا عند دايان « الخياط وليس وزير دفاع سابق في اسرائيل » هل اتصل أحدٌ بي ؟ أجابه الميتر دوتيل : كلا، يا سيدي، لا رسالة » شكره أنطوان دون أن يضيف شيئاً. وفي المساء نفسه أعلمنا « أنا خاله وأمه » أنه مدعو للعشاء في أوتيل « برانس دي غال » وبدعوة من دايان ؟ أيضاً، لكن ؟ في الساعة الحادية عشرة مساءً كان دايان يتصل هاتفياً يسأل عنه « عن أنطوان ».

ـــ أجابه الخال : من المفروض أن يكون معك.

ـــ أجاب دايان : طبعاً، لكن بعدما اتصل بالمحامي هاتفياً من المكان الذي كنّا به ثلاث مرات، تركني في الساعة السابعة قائلاً أنه يخرج « لموعد مهم » وأنه سيلتقيني في « البرانس دي غال » حيث ما زلت أنتظره ؟ .

○ قال الخال بعد ذلك ـــ ربما كان أنطوان مشغولاً ـــ لأنه لم يكن في اكثر الأحيان دقيقاً في مواعيده. وبدون أن ينشغل بالنا ذهبنا للنوم.

وفي اليوم التالي (الخميس ١٩٧٣/١١/١٥) أعطيناه نفس العذر حتى مساء الجمعة ١٩٧٣/١١/١٦ لم يظهر له أثر، فاضطررنا لإبلاغ الشرطة، واعتبرناه « مخطوفاً » منذ تاريخه. وأخذنا نخمّن وندقق عن الأماكن المحتمل وجوده فيها أو الجهة التي قامت بخطفه أو لها مصلحة في اختطافه وهي :

١ ـــ منذ ستة أشهر (أي قبل ١٩٧٣/١١/١٦) بستة أشهر تسلم رسالة تهديد غير موقعة تقول : إذا كنت تهتم بحياتك فيجب أن تدفع

٥٠ مليون فرنك فرنسي وسنعيّن لك أين تضع المال ومتى. ولدى سؤاله قال انها دعابة. ولكن اذا ظهر هؤلاء فسوف أدفع لهم.

٢ ــ في عام ١٩٧٣ خرج الوزراء الليبيون الذين ساعدوه في الحصول على صفقة الأسلحة أيام الملك السنوسي من السجن، فانطلقوا مجتمعين يبحثون عنه فوجدوه غارقاً في ملذاته، بصحبة سكرتيرة يوسف بيدس سابقاً فقالوا له : ادفع لنا حصتنا بعد أن دفعنا الثمن سجناً، فتلكأ في الجواب. فعادوا، فتلكأ اكثر، فهدّدوه بالهاتف، ومرات بالوسائل المعنوية بالعظمة والجمجمة. ثم زادوا التهديد بالتصفية قبل اسبوعين من اختفائه، فاشتروا تابوتاً وكتبوا عليه اسمه ووضعوه في ليلة ظلماء أمام باب شقته في باريس.

كانت امرأة غريبة اللكنة تتولّى مطالبته برصيد الوزراء الليبيين، أوفدوها مرتين مرة طلبته بالتلفون ودعته الى لقاء يتم بينها وبينه .. رأساً برأس. ومرة ثانية تم لقاءه بها في زاوية مفضلة بمطعمه « أرز لبنان » أكلت سمكاً مشوياً وشربت نبيذاً نابوليونياً وكانت حلوة .. حلوة .. كما قال نفسه عنها وقالت له وهي تودعه : حاول .. ولدى سؤال شقيقه سامي عنها وعن شخصيته وهويتها قال له : لا تهتم جاءت موفدة من قبل الوزراء الليبيين من العهد البائد في ليبيا كي أدفع لهم ٧ ملايين جنيه استرليني. ولكني أنطوان قاموع يا أخي، لن أكون عرضة لأي ابتزاز فليفهموا. وقد سارع بعد ذهابها الى تعميم رسالة الى البنوك التي يتعامل بها يطلب منها عدم دفع أي مبلغ بموجب أي شيك ولو كان موقعاً عليه يتعدّى المائة ألف فرنك.

ومن يومها لازمته الهموم. وأخذ القلق يلتهم مساحة كبيرة من وجهه المستطيل واختفى البرق من عينيه الساحرتين. تنهد بحسرة وقال لصديقته كوليت التي قاسمته الأفراح والأتراح : اف .. من الناس. ولم تعرف سكرتيرته ممن تأفف.

٣ ــ المخابرات الاسرائيلية « الموساد » ولها وجود في باريس يظهر في مناهضة المجاهدين والمناضلين في باريس واحتمال قيامها باختطاف أنطوان قاموع وارد جداً بسبب تعاطفها مع خياط أنطوان اليهودي سيلفان دايان الذي اقترض من أنطوان مبلغ مليون ونصف المليون فرنك لتعويم مؤسسته. وهكذا أصبح تحت رحمة أنطوان الذي هدده بالاستيلاء على مؤسسته بكاملها لأنها كانت مهددة بالإفلاس، وكان أنطوان أصلاً قد توجَّه مع الخياط المذكور للقاء وكيل تفليسه ومحام وأمير الماني من سلالة « هوهنزولارن » بقصد حل المشاكل المالية المتعلقة بدايان. وإضافة لتعاطف الموساد مع دايان، بسبب يهوديته، فقد ظهر سببان آخران يدعيان أو يجعلان المخابرات الاسرائيلية تقوم باختطاف انطوان وهما :

آ ــ قام الخياط اليهودي سيلفان دايان، وهو خياط خاص لأنطوان قاموع كما ذكرنا، بتحويل محله في باريس أثناء حرب رمضان التحريرية ضد اسرائيل الى مركز تبرُّع لانقاذ اسرائيل بعد أن وصلت الأنباء الأولى عن احتياح سوريا ومصر للكيان الصهيوني في حينه. وهذه العملية دين كبير في عنق السلطات الحاكمة في اسرائيل.

ب ــ كان أنطوان قاموع كثير الحماس للقضية العربية، وكان يدفع، كما ذكرنا، ما يترتب عليه من تبرعات للقضية الفلسطينية، ويساند كل قضية تحررية في العالم. وهذا ما يزعج المخابرات الاسرائيلية أيضاً.

٤ ــ مافيا السلاح ــ أو تجار الأسلحة العالميون، وهم من القوة بحيث شاركوا المافيا والمخابرات الأميركية في التخلص من الرئيس جون كندي حيث اغتالوه للتخلص منه، لأنه عارضهم في تجارتهم وضيّق على المافيا وعاند المخابرات الأميركية « مخابراته »[١]

---

(١) للاطلاع على أدق المعلومات عن مصرع الرئيس كندي رئيس الولايات المتحدة =

٥ ــ رسالة تهديدية وصلته في العاشر من تشرين الثاني ١٩٧٣ بتوقيع « أيلول الأسود »؛ ونحن نقول إن هذا الأسلوب ليس من أساليب منظمة أيلول الأسود.

٦ ــ الرواية السادسة تتهم سلطات دولة عربية بخطفه. وتقول الرواية إن هذه الدولة لم تكن راضية عن قبضه مبلغاً من المال مقابل صفقة سلاح لم تصل.

٧ ــ أن يكون قد اختار الاختفاء بدهائه وعن قصد وتعمُّد. فهو يحب الهروب. لكن هذا الاحتمال « غير وارد » لأنه لم يظهر حتى الآن، أي بعد (١٥) سنة على اختفائه.

الاجراءآت المتخذة عقب الاختفاء الغامض :

○ اهتمت وزارة الداخلية الفرنسية بقضية اختفاء أنطوان قاموع أثر الاعلام الذي تقدم به أشقاؤه وعائلته، وهو ادعاء « ضد مجهول » بخطف وإخفاء « عميدهم » المليونير أنطوان قاموع. وكلفت النيابة العامة الفرنسية في باريس العقيد بوابلان رئيس المباحث الجنائية بالتحقيق بموضوع الاختفاء وإعلام النيابة أولاً بأول عما يستجد من معلومات عن هذه القضية. بسبب متابعة السفارة اللبنانية في باريس لهذه القضية بتكليف شخصي من رئيس الحكومة اللبنانية تقي الدين الصلح؛ كما اهتم بالقضية أصدقاء الرجل وأبرزهم محاميه الاستاذ خليل أبو حمد الذي حضر الى باريس شخصياً لمتابعة الموضوع.

= الأميركية عليكم قراءة القصة الكاملة التي تنشر لأول مرة في الجزء الثاني من سلسلة كتب المخابرات والعالم ــ من تأليف مؤلف كتب المخابرات والموضوع في الصفحات من ٢٧٧ الى ٣٠٠ بعنوان « الجريمة التي لا تنسى »...

وقد احتل موضوع اختفاء قاموع معظم الصحف العالمية وخاصة اللبنانية والفرنسية وكان نفس الموضوع الشغل الشاغل للبوليس الفرنسي وشعبة الأنتربول الفرنسي في باريس خصوصاً بعد ما أعلنت عائلته عن مكافأة سخية لكل من يقدم معلومات هامة تنير الطريق أمام العقيد بوابلان الذي صرح في حينه أن التحقيق يدور في حلقة مفرغة تكتنفها ألغاز وأسرار مبهمة.

وقد حاولت سلطات التحقيق الفرنسية الربط بين الاحتمالات التي ذكرناها سابقاً لتؤلف منها عقداً « كامل الأوصاف » ولن يصبح العقد كامل الأوصاف ما لم تحضر السيدة الجميلة التي ذكرناها في الفقرة الثانية من احتمالات الاختفاء. تلك السيدة المفتاح، الحلوة الخارقة، التي كانت تقول لأنطوان بعد كل لقاء : حاول.

وما أن همّ « ليحاول » تحضير المبلغ حسب طلب السيدة الحلوة لصالح الليبيين، وبناء لإلحاح والدته « نزهة » ورغبتها بتصفية القضايا المعلقة خشية حدوث ما لا تحمد عقباه، وخشية لأي ذيول مفجعة « كما حصل » حتى .. اختفى !!

ليلة الاختفاء من محل خياطة سيلفان، وما إن جلس حتى رن جرس التلفون وإذا بالصوت الأنثوي الحار يطلبه .. فيجيب ويعتذر فتتكرر المخابرة ثلاث مرات، والصوت هو نفسه، والمطلوب هو نفسه، فيعتذر أنطوان من سيلفان والأمير الألماني ويعدهم بلقاء ليلي في التاسعة مساء من نفس اليوم ؟!

ــ لم يأت الى الموعد.
ــ لم يعتذر كعادته.
ــ لم يعد يظهر في الدنيا كلها.

○ الصمت المطبق يحوم حول اختفاء أنطوان قاموع، شقيقه سامي

يقول في حينه للعقيد بوابلان : سر اختفاء أخي انطوان في قلب تلك المرأة المتآمرة مع مَنْ أرسلها. عند ذلك طلب منه العقيد بوابلان أن يعطي أوصافها الخارقة كما يقول إلى « رسام فرانس سوار » ليرسمها من الخيال ويضيف عليها بعض اللمسات الالكترونية، ولكن هذا لم ينفع لأنها كانت قد تركت باريس ومعها .. المليونير اللبناني أنطوان قاموع، أو معها همومه وأتعابه، إذا لم تكن هي، ومَنْ وراءها الخاطفين، فمن يكون ؟؟؟

خلفيات هامة عن اختفاء أنطوان قاموع :

○ كما تحدثنا عن انطوان قاموع بتجرُّد، وشرحنا ما له وما عليه، بقي أن نقدِّم هذه المعلومات عن خلفيات الاختفاء الغامض. ولعلها « أغرب » المعلومات، وأغرب ما سمعته من أحد الذين تعاملوا مع انطوان قاموع في بعض الصفقات قوله : ليست هناك جهة معنية يحتمل أن تكون قد قامت باختطافه وتصفيته، أو ينسب إليها هذا الاختطاف دون غيرها من عشرات الجهات وعشرات الأشخاص الذين تعامل معهم، إذ أنه لم يكن في جميع هذه المعاملات بعيداً عن ترك الأثر السيِّئ عنه وعن معاملته الرزيئة، وأضاف هذا « المتعامل » أنه في حياته كلها لم يعرف شخصاً استطاع أن يلعب عليه ويأكل حقه « على عينك يا تاجر » سوى أنطوان قاموع. وهذا الادعاء « عكس » ما كان يشاع عنه من أنه كان مثالياً في دفع الحقوق التي يتوقف دفعها على « كلمة الشرف » فقط.

وهناك خبر مثير آخر نقلته صحيفة « لورور » الفرنسية، هو أن قاموع قد قتل بعد اختفائه قبل عشرة أشهر، وإن خاطفيه قاموا بدفن جثته في مكان ما في فرنسا، وقال كاتب الخبر الصحفي فيليب بيرنر : أستطيع الكشف بأن قاموع « ميت » وأنه كان ضحية « قضية بن بركة جديد » ونوع من الخطف أصبح كلاسيكياً. وذكر هذا الصحفي أن قاموع الذي

اختطف من أحد شوارع باريس بعد استدراجه صعب عليه الوضع الذي آل إليه كمختطف ومهدَّد فتوقف قلبه عن الخفقان ومات بنوبة قلبية كان يخشاها منذ سنين عديدة، فقام خاطفوه بدفنه تخلُّصاً من جثته.

في نيسان (أبريل) ١٩٧٤ عرض شقيقه سامي وصديقته كوليت مبلغ مليون دولار لمن يعثر عليه حياً أو ميتاً، وهذا العرض كان لصالح اسرة قاموع التي كانت تنتظر الإثبات للحصول على ثروته. وعندما علم الخاطفون بذلك « رفعوا » الفدية إلى « مليوني » دولار، رغم أن قاموع أصبح جثة وهي أغلى جثة، بالعالم، ولكنها ستبقى « مخبئة » مدة طويلة، وحتى نهاية الحياة.

وقد تحرك شقيقه سامي قاموع فتوجه إلى بيروت. وفور وصوله توجه الى منزل وزير الخارجية السابق المحامي خليل أبو حمد وقد ذكرنا أنه محامي أنطوان وصديقه، ومن منزل أبو حمد انتقل الاثنان الى قصر الرئيس السابق شارل حلو حيث استمع إليهما وطلب منهما حسب معرفته الاتصال بالمحامي الأستاذ محسن سليم (سبق لهذا المحامي القدير أن اشترك في عملية البحث عن سامي الخوري الملقب بملك التهريب الذي فقد بطريقة أغرب من فقدان وخطف أنطوان، ولا يزال مختفياً بعض مضي ربع قرن على اختفائه عام ١٩٦٥ ــ وقصته كاملة في هذا الكتاب). وفي مكتب المحامي محسن سليم ناقش سامي قاموع كل ما يعرفه بالنسبة لموضوع اختفاء شقيقه أنطوان، ولم يستقر الرأي على شيء معيّن، حيث أن اتصالاً عاجلاً قد تلقاه سامي من العاصمة الفرنسية حمله على ترك كل شيء معلقاً في بيروت.

ولما وصل الى باريس فوجئ بمعلومات شبه رسمية تقول إن شقيقه أنطوان مازال حياً يرزق ... وأن هناك من يؤكد وجوده في مكان أمين وبعيد عن الأذى. فانقلبت التحقيقات في باريس رأساً على عقب، وعاش ذوو انطوان قاموع على أعصابهم وهم يستمعون الى بصيص الأمل عن

وجوده حياً يرزق، واعتبر الأهل أن قصة الاختفاء أو الخطف في طريق النهاية، وأن عودة المختفي قد تحدث بين لحظة وأخرى، رغم تأكيد صحيفة « لورور » بأنه قتل أو أصابته نوبة قلبية. وقد ذكرنا في هذا الفصل أنه من المحتمل أن يكون أنطوان قد اختفى بمحض إرادته، وذلك لأسباب مادية تتعلق بالتهديد ومطالبات العصابات وشركائه الليبيين السابقين. ويسود الاعتقاد أنه هو نفسه وراء عملية « الخطف » للتهرب، أولاً، من دفع رسومات مترتبة عليه وتقدر بالملايين.

ثانياً : في حال التأكد من وجوده حياً فإن النيابة العامة الفرنسية سوف توجِّه اليه تهمة خَطْف نفسه وإشغال السلطات، وعقوبتها تصل الى السجن الفعلي خمس سنوات.

ثالثاً : لم تسحب باسمه أية مبالغ حتى قبل اختفائه باسبوع. ذلك أنه شخصياً سحب مبلغاً كبيراً من رصيده في فترة اسبوع من اختفائه عندما ذهب بنفسه الى احد المصارف الفرنسية، في باريس. وهذه الفقرة تثبت لنا وللتحقيق أنه « كان يتحرك خلال اسبوع بعد اختفائه »، ويمكن أن يكون تحرُّكه هذا « تحت التهديد »، وحتى عملية سحب المبالغ من المصرف يمكن أن تكون تحت تهديد خاطفيه الذين فوجئوا بعد ذلك بوفاته بنوبة قلبية، مما اضطرهم لدفن جثته في مكان بعيد عن باريس كما أكدت صحيفة لورور.

رابعاً : في حال عدم ظهوره حياً أو ميتاً فإن المشكلة التي ستعترض آل قاموع هي عدم استطاعتهم الحصول على ثروته المودعة في المصارف السويسرية والفرنسية؛ ذلك لأن هذه المصارف لا تمنح أرث أيّ مودع لديها إذا لم تظهر جثته أو يعرف مصيره قانونياً، إلّا « بعد ثلاثين سنة » من تاريخ الإخبار عن الاختفاء. وهذه عقد مستعصية بالنسبة لورثة أنطوان وهم يكدُّون في سبيل ايجاد مخرج لها.

وبعد ...

نحن في منتصف عام ١٩٨٩ وقد اختفى أنطوان قاموع عام ١٩٧٣ وحتى الآن لم يرشح أي خبر عن مصيره، مثلما لم يرشح حتى الآن أي خبر عن اختفاء سامي الخوري. فهل هناك عصابات أو اشخاص محترفون لتنفيذ مثل هذه العمليات تفوق مقدرتهم جميع وسائل البحث والاستقصاء لدى الدول التي يتم فيها الخطف أو الاختفاء ؟ لا ندري.

وسيبقى موضوع الخطف والاختفاء الغامض لبعض الأشخاص المهمين « لغزاً » مثل لغز مثلث الرعب في برمودا.



في هذا البناء بالأشرفية عاش انطوان طفولته وأيام دراسته.

ماري الأخرس..؟

"سورية من دمشق"
شاهدت العذراء وكلّمتها



متزوّجة: ظهرت عليها السيّدة العذراء.

زحف الآلاف إليها وبعضهم شُفِيَ على يديها.

إدّعت أنّ السيّدة العذراء ... كلّمتها.

بطريركيّة الرّوم الأرثوذكس نفت ما أشيع عن قدرتها.

ماري الأخرس السيدة الدمشقية تظهر عليها السيدة العذراء :

○ منذ سنوات ادعت الصحف المصرية أن « السيدة العذراء » قد ظهرت فوق أحد المنازل في حي الزيتونة. ومن يومها أصبح ذلك المنزل مقصداً لمئات الذين يطلبون البركة والشفاء. وقد تكرَّرت القصة في مدينة دمشق في عام ١٩٨٣ حيث قيل إن « السيدة العذراء » ظهرت وكلمت السيدة الدمشقية « ماري قربة الأخرس » المتزوجة من السيد نيكولا نظور، وذلك في منزل الزوجية الكائن في منطقة « باب توما الأثرية بدمشق »، وإن زيت الميرون المقدس قد رشح من صورة السيدة العذراء ومن أصابع السيدة ماري الأخرس نفسها.

ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا المنزل يستقبل الزوار بالعشرات والمئات، وهم يصلون من مختلف المحافظات السورية ليلاً نهاراً، منهم مَنْ جاء بدافع الرغبة في الاطلاع، ومنهم مَنْ جاء بطلب الشفاء له أو لمريض يقربه عجز الطب، كما يقولون، عن شفائه. والبعض الآخر جاء للتبرك والحصول على فرصة لمشاهدة هذه المعجزة « كما يقولون ». ومنهم مَنْ جاء طالباً المعونة من السيدة العذراء صاحبة الكرامات بواسطة ماري الأخرس لانقاذ أقرباء لهم في بلاد الغربة وفي المستشفيات حيث يجرون العمليات الجراحية الدقيقة.

ولما كنت من سكان مدينة دمشق الخالدة فقد قررت بدافع الفضول الصحفي، حيث كنت في حينه « مراسلاً لجريدة الشعب اللبنانية في سوريا »، أن أستطلع الحقيقة وأنقلها إلى قراء جريدة الشعب، فتوجهت صحبة الكاميرا الى حي باب توما الدمشقي الأثري.

لمحة عن حي باب توما بدمشق :

○ يعتبر حي باب توما الأثري في دمشق من أقدم أحيائها، وهو يقع في الجهة الشرقية من مدينة دمشق في منطقة تسمى عقاريًّا « القطاع ». ويوجد في هذا الحي جزء كبير من سور دمشق القديم الذي يعود تاريخه الى ٥٠٠ سنة، وفيه أحد أبواب دمشق السبعة الأثرية التي تغلق مساءً وتفتح صباحاً. وهو « باب شرقي »، وقد سميت المنطقة باسم هذا الباب فأصبحت منطقة باب شرقي. وضمن هذا الحي يوجد منزل « آل نظور » الذي ظهرت فيه السيدة العذراء. وهذا المنزل المبني على الطراز القديم كان مقراً لجمعية « مار اليان الحمصي الخيرية ـــ ١٩٢٧ حتى ١٩٨١ ». لهذه العائلة ابن يدعى « نيكولا نظور » شاءت له الصدف السعيدة أن يتزوج الآنسة ماري قربة الأخرس في ربيع عام ١٩٨٢ التي أصبحت السيدة نيكولا نظور.

من هي ماري الأخرس التي ظهرت عليها السيدة العذراء :

○ ولدت ماري الأخرس في منطقة برج حمود ـــ بيروت من عائلة متواضعة، والدها يعمل في مرفأ بيروت بالأعمال الإدارية. وحينما بلغت سن الدراسة أدخلها والدها في مدرسة البطريركية بمعرفة ومعونة الاب « انطوان المعلم ». وقد اضطر والدها للانتقال الى دمشق للعمل فيها عام

١٩٧١، فتابعت ماري تعليمها في مدرسة يوحنا الدمشقي بدمشق. وكانت أثناء دراستها تحب الصلاة، والاشتراك في إنشاء التراتيل الدينية وجميع أجواء الايمان والخشوع كافة حتى انقطعت عن الدراسة وتزوجت من الصائغ الجوهرجي نيكولا نظور كما ذكرنا.

توجهت الى حي باب شرقي وأمام منزل آل نظور شاهدت الازدحام الشديد حتى أن رئيس قسم القطاع، وعلى مبدأ « الشرطة في خدمة الشعب »، استأذن رؤساءه ووضع دورية من الشرطة بجانب المنزل خشية حدوث أية مشاكل بين المواطنين الوافدين بسبب « الدور » أي الطابور باللهجة المصرية المحببة، كما منعت السيارات من دخول الجادة التي يقع فيها المنزل لكثرتها.

اقتربت من المنزل رويداً رويداً مع العشرات من الذين وجدوا، وكانت أمامي سيدة في الأربعين من عمرها ومعها طفلها الذي تشير له باليد دلالة على أنه لا ينطق « أخرس »، رغم أن عمره سبع سنين. قالت لي إنه عندما سمعت بهذه المعجزة جاءت بطفلها الأخرس من مدينة حمص « لعل وعسى » يكون الشفاء والنطق على يديها. فلم تستطع هذه السيدة من الوصول الى باب المنزل لكثرة الازدحام العفوي، وأنا أراقبها؛ حتى توصلت الى أحد أقرباء السيدة ماري المبروكة ورجته بأن يساعدها، فقال لها : احضري غداً باكراً.

وقد لاحظت أن بعض الشباب من أقرباء السيدة ماري قد نصّبوا أنفسهم حرساً ومستشارين لها ومن ثم وجدت أن ماري وأهلها وحتى الجيران قد أنهكتهم الصحافة حيث أصبح الجميع يعدون للعشرة قبل الموافقة لأي صحفي يريد أن يسلط الضوء على الموضوع. فقدمت نفسي لأول « حارس » من حراس المنزل، واستعملت السلاح الصحفي لأخذ الإذن من أولي الأمر لإجراء مقابلة مع « الست المباركة » أي التي باركتها العذراء حسب الأقوال. فاعتذر هذا الحارس الطويل العريض مني

قائلاً : إن الست المباركة قد تعبت من كثرة المقابلات الصحفية، ومن المقابلات الخاصة، والمباركة والمسح لجميع مَنْ يطلب ويشكو ويتوجع من المرضى والعجزة الذين تعدُّوا المائتين حسب رواية الحارس. وقد أيده بذلك بعض الجيران الذين كانوا يرابطون حول المنزل المبارك.

وبالرغم من هذا الموقف الرافض استطعت الوصول الى الزوج السيد نيكولا نظور الذي شكا لي أيضاً « تعب زوجته السيدة المباركة » وارهاقها، فاستنفذت آخر سهم من أسهم صاحبة الجلالة الصحافة، فادعيت له « مع الأسف » أني قدمت من بيروت خصيصاً لهذه المقابلة، عند ذلك رق قلبه وأدخلني الى غرفة الضيوف، ويقال لها « الصالون »، وأخبرني أنه سوف يجعلها تترك زوارها لمدة ربع ساعة فقط لمقابلتي. فشكرته كثيراً حيث تركني وانصرف وأغلق باب الغرفة وراءه.

وللصدق أقول إني رغم العقد الخامس من العمر والتجارب الصاعقة التي مرت علي في سنيّ حياتي براً وبحراً وجواً، فقد شعرت ببعض الخوف ممزوجاً بالخشوع وأنا موجود في المنزل الذي قيل إن السيدة العذراء ظهرت فيه. بعد دقائق فتح الباب بحركة عفوية من قبل الزوج نيكولا فوقفت من الرهبة التي كانت لا تزال تخالجني، واذا بالسيدة المباركة تدخل وراءه مباشرة وقد ارتدت فستاناً مزركشاً، وبدت شاحبة الوجه رغم المسحة الملائكية فعلاً مع ظهور بعض السواد الذي يدلّ على السهر والارهاق حول عينيها. وقد حيَّتني ورحبت بي وسألتني عن الزملاء الصحفيين الأساتذة خليل التقي مدير مكتب صحيفة القبس الكويتية بدمشق، والاستاذ عوني الكعكي مدير تحرير صحيفة الشرق اللبنانية، ولكن « بدون مصافحة ».

جَلَسَتْ على كنبة، وجلستُ بجانب زوجها أمامها وأنا استجمع شجاعتي لطرح الأسئلة عليها بعد ما شاهدته على الطبيعة، فسبقتني هي بقولها : استاذ سعيد، هل تريد أن تعرف سيرة حياتي منذ الصغر ؟ أم

تريد أن نبدأ من حين حدوث المعجزة ؟ فأجبتها : أريد أن أسمع منك شخصياً كيف حدثت المعجزة ؟ فأجابت برقة وتهذيب : حاضر.

بدأت الكلام وكان بعضه همساً :

« كنت كلما تعرضت لضيق نفسٍ أو خوف، كنت ألجأ الى الصلاة والخشوع، كما كنت مشاركة في فرق الإنشاد الكنائسي، وبذلك كنت أجد الطمأنينة والهدوء النفسي، لأن الصلاة تنقذ من الخوف والضيق. وفعلاً كنت كلما انتهيت من أي صلاة أشعر بالراحة والاطمئنان بالإضافة الى شعوري برعشة من الإيمان تهزّ كياني وجسمي مثل رعشة الكهرباء، فأعود للصلاة والخشوع حتى تذهب الرعشة عني وأعود الى حالتي الطبيعية.

ومن كثرة صلاتي وغيبوبتي ورعشتي أثناء الصلاة أصبحت معروفة بين الأهل بالبركة أو « المباركة »، وأصبح الجميع يطلبون مني البركة والدعاء لهم لقضاء أعمالهم وأنا أزداد خشوعاً وصلاةً. حتى حدثت المعجزة ورشح الزيت من يدي منذ أيام فذهلت لذلك وأصابني الهلع. فشرحت الأمر لشقيقة زوجي وهي مريضة بالتهاب الكلى فرجتني أن أصلي على نيتها أو لها صلاة خاصة كما يقال « على نية الشفاء ». فصلَّيْت وصلَّت معي بخشوع تام، وكم كانت دهشتي عظيمةٍ ومفرحة عندما رشح الزيت من يدي مرة ثانية. فقمت بمسح جسدها بالزيت الذي رشح من يدي فشفيت من جميع آلام الكلى.

عدتُ للصلاة المتواصلة والخشوع حتى صادف يوم (سبت النور) فانتابتني رعشة قوية وخشوع وأنا في غرفتي، فأمسكت صورة السيدة العذراء التي كنت أضعها أمام المرآة وقبّلتها طالبةً منها منحي القوة والبركة، فإذا بالصورة والزيت يرشح وينقّط من جوانبها حتى سال على الطاولة والأرض. فأسرعت لاحضار أوعية لتعبئة هذا الزيت المبارك لأنه

من صورة السيدة العذراء، ووقعت على الأرض ولكني لم أصب بأي أذى أو ضرر. وهنا حضر نيكولا زوجي فطلبت منه أن يحضر أي وعاء، فأحضر عدة زجاجات كبيرة جمعنا بها الزيت الذي استعملته في المسح على الذين زاروني خلال الأيام الماضية. وقد أخفى زوجي إحدى هذه الزجاجات « لوقت الحاجة » حسب قوله ولكننا وجدناها فارغة. عند ذلك عرفنا أن هذا الزيت المبارك يجب أن لا نمنعه عن أحد.

ثم طلبت من زوجي في ليلة سبت إحضار قطعة من البخور لحرقها أمام صورة السيدة العذراء احتراماً لها، ولكن زوجي لم يجد في المنزل كله البخور فخرج ليبحث عنه، وعدت أنا للصلاة وتأمل صورة السيدة العذراء. وكم كانت دهشتي عندما وجدت قطعة من البخور فيها نقط بيضاء تفوح منها رائحة طيبة جداً كرائحة المسك، فأشعلتها حالاً أمام الصورة. ولما عاد زوجي فوجئ برائحة البخور. وأشرت إليه أن لا يتكلم لأن روح ونسيم السيدة العذراء لا يزال في الغرفة، فخرج احتراماً لذلك الموقف.

كان الوقت قد أصبح ليلاً فقطع التيار الكهربائي واصبحت الغرفة في ظلام دامس، خفت وأخذت أبحث عن شمعة أضيئها أمام الصورة فرأيت نوراً وضاءً قد أخذ يشعّ حول الصورة، وسمعت صوتها الملائكي يقول لي : لا تخافي يا ماري أنا معك اذهبي واشعلي شمعة في ناس راح يحضروا. فأجبتها بخشوع : دخيل اسمك يا عذرا تكرم عينك راح أشعل الشمعة. وصرخت على نيكولا فعاد الى الغرفة وقلت له : بدي شمع حالاً. فذهب وأحضر الشمع من مشغل الذهب وقد اشعلت الشموع ووضعتها أمام صورتها، فدهشت لأنني وجدت كمية كبيرة جداً من الشموع وتجرأت ــ والحديث لا يزال لماري ــ وكلمتها خلال الروح والصورة قائلة : أرجعي لنا الكهرباء اكراماً للناس الذين قلت انهم

سيحضرون. وعادت الكهرباء تنير المنزل حسب قول ماري التي سكتت عند هذا الحدّ، وقد بدا عليها الاجهاد فعلاً.

اعتذرت واعتذر زوجها وأخذها الى خارج الغرفة وعاد ليقول لي : « هي هكذا مثلما رأيتها تجهد نفسها وهي لم ترض أن تستريح حتى بعد مقابلتك، بل ذهبت إلى غرفة الزوار وطالبي البركة لمتابعة استقبال مَنْ يقصدها من المرضى والمقعدين، قلت لزوجها : ألا تخشى أن يصيبها مكروه أو مرض عصبي نتيجة قضائها ليال عديدة بدون نوم كما تقول ؟ فأجاب : نحن طلبنا منها الاستراحة، ونحن أصبحنا نعتذر لكثير من الزوار ونحاول أن نجعل حضورهم منظماً، ولكنها رفضت وقالت إنها بنعمة وبركة السيدة العذراء تشعر بأنها قوية.

عدت لسؤاله : هل تذكر لي بعض الحالات التي تم فيها الشفاء على يديها وببركة السيدة العذراء فأجاب : اذكر منهم شقيقة المطرب الفنان موفق بهجت التي كانت تشكو من تشنّج كولوني شديد وقد زارتها مع زوجها المهندس الاستاذ سهيل الأسطة، فمسحت لها ماري بالزيت المقدس حتى شفيت. وقد أعاد زوجها تصويرها بالأشعة بعد ذلك فلم يظهر أي أثر للتشنج الكولوني، وشفت ماري أحد الفدائيين واسمه (عيد) الذي حضر متكئاً على زميله وهو يشكو الشلل النصفي، فخرج من عندها وهو يسير على قدميه؛ وأذكر صديقة لنا تدعى مدام سمعان كانت مصابة بالديسك ــ مسحت لها ماري بالزيت المقدس فزال عنها الألم نهائياً، وسائقاً في إحدى السفارات أخذ بعد رجاء والحاح عدة نقاط من زيت الميرون ومسح به لابنته المصابة بمرضى في الكلى فشفيت تماماً؛ وقال أيضاً زوجها : بإمكانك أن تسأل عن شخص اسمه ــ ماجد نادر ــ حضر إلينا وهو فاقد السمع « أطرش » وبقي في حضرتها وضيافتنا ثلاثة أيام وهي تصلي وتمسح له أذنيه بالزيت حتى عاد إليه سمعه في اليوم الثالث.

وتابع زوجها : إن أغلب الحالات التي شفيت على يديها كانت حالات شلل نصفي أو جزئي وإن ماري كان تختم المسح بالزيت بجملة : « بقوة العذراء سوف تمشي بقوة العذراء سوف تنطق أو تسمع.. » ألخ. ومن هذه الحالات والكلام لا يزال لزوجها أن رجلاً عجوزاً عمره ٧٠ سنة أحضره أولاده وهم يحملونه على كرسي نقال للشلل فقال لها : إنه رأى في الحلم السيدة العذراء قادمة إليه على فرس حمراء، وطلبت منه أن يزور ماري، فجاء إليها وحدثها بما رأى؛ فصلّت لأجله ومسحت له مكان الشلل بالزيت فخرج من عندها على قدميه « لم يذكر لي الاسم ». وسيدة حضرت اليها وهي تتألم من خلع في الكتف اسمها « شمس شويري »، كانت قد عولجت لدى أطباء ومجبّرين، وما إن مسحت لها ماري بالزيت المقدس حتى شفيت وأصبحت تحرِّك يدها بدون ألم، وقد اتصلت فيما بعد بالسيدة شويري فأكدت لي ذلك. ومريض آخر يدعى « نعيم دحدل » كان يشكو الشلل في رجليه ويسير على عكازين منذ سنوات، سمع بها فحضر لزيارتها وكان نصيبه الشفاء، ويظهر في الصورة وهو واقف على رجليه وقد حمل العكازين اللذين كانا يحملانه بعد أن استغنى عنهما بعد شفائه على يدها.

استنفذ زوجها ما عنده من الاثبات على كلامه، فودعته وخرجت أسأل الجوار عما سمعوه وعرفوه عن تلك « المعجزة » كما يدّعون. وكان الجميع فخورين ومبهورين بجارتهم الست المبروكة التي ظهرت عليها السيدة العذراء، ما عدا شخصاً واحداً.

انتحى بي جانباً ورفض أن يفصح عن اسمه حيث قال لي : أنا عرفت أنك صحفي وأقول لك لا تصدق شيئاً هذه « سحبة » ومعنى سحبة بقاموس اللغة العامية « الاحتيال ». واضاف : إن ماري وزوجها جلبا معهما كمية من زيت يشبه في مواصفاته زيت الميترون « هذا الزيت الذي استعمله السيد المسيح عليه السلام في المعمودية » من أحد الأديرة

التي زاروها في اسبانيا أثناء قيامهم بشهر العسل، وعندما عادا إلى دمشق « وضعا قليلاً من هذا الزيت على صورة السيدة العذراء وعلى يدي ماري وطلعوا بهذه القصة. وأضاف هذا المجهول قوله : اذا كان صحيحاً قد شفي البعض على يديها فأنت تعرف أن أي مريض وخاصة مرضى الأمراض العصبية والنفسية يكون لديهم استعداد وقناعة بالشفاء « تساعد » في الشفاء لدى عرضهم في مثل هذه الحالات على ماري أو جورج. لأن قناعتهم الداخلية هي سبب شقائهم صدفةً بعد زيارتهم للسيدة ماري الأخرس.



الصورة التي رشح زيت الميرون منها.



ماري الأخرس .. المبروكة



جموع الوافدين للتبرك وطلب
الشفاء من السيدة المبروكة



نعيم دخان وقد حمل عكازيه

قلت لمحدثي : لماذا تعتقد أنهم يقدمون على هذا العمل واثارة هذه الضجّة وقد تأكدت من الجميع أنهم لم يقبضوا قرشاً واحداً من أي قادم أو زائر، أجابني المجهول : الله أعلم ما هو قصدهم من هذه العملية. وانسحب مندساً بين جموع المؤمنين الذين كانوا ينتظرون الإذن للدخول عليها، وقد ترك هذا الانسان إشارة استفهام ولكن ضعيفة لا سيما وقد زارها بعض رجال الدين المسيحي الأجلاء ومنهم : الأب أتاناس، الذي خرج بدراسة وافية عنها، والأب بولس بندلي، والأب يوسف زحلاوي، كما علمت في حينه أن كمية من « زيت الميترون » قد أرسلت الى مختبرات محلية وعالمية لفحصها وقد استبق بعض الجيران نتيجة التحاليل المخبرية لزيت الميترون بقولهم : إن هذا الزيت الذي رشح من يدي السيدة المباركة ومن صورة السيدة العذراء هو نفس نوعية زيت الميترون الذي استعمله السيد المسيح عليه السلام، ولكني حينما ألححت عليهم بالسؤال عن الجهة أو المخبر الذي قام بعمل التحاليل المخبرية على الزيت تهرّبوا من الجواب بقولهم : هم قالوا ذلك، أي أهل ماري الأخرس.

ولكي أقطع الشك باليقين قمت بالاتصال بالسيدة شمس شويري أولاً فأكدت لي شفاءها على يدي ماري كما ذكرت، وقمت بالاتصال بالفنان المعروف موفق بهجت وسألته عن رأيه في معاناة وشفاء شقيقته على يد ماري، فأحالني إلى صهره المهندس سهيل الاسطة زوج السيدة « وفاء الاسطة » شقيقته، والذي أجابني مؤكداً أن زوجته كانت تعاني فعلاً من مرض تشنج كولوني شديد ــ وليس كما ذكرت بعض الصحف أن مرض زوجتي كان فالجاً في فمها ــ وقد ذهبت وفاء تحمل مرضها وهي « مؤمنة نفسياً بمقدرة ماري على شفائها لكثرة ما سمعته عنها ». وقد أكّد المهندس الاسطه « مرة ثانية » على موضوع إيمان زوجته بمقدرة ماري المستمدة من قدرة سيدة النجاة « العذراء » على الشفاء، حيث

مسحت لها على مكان الألم وباركتها بإيمان وخشوع، فعادت إلى المنزل وهي لا تشعر بأي ألم. وأضاف المهندس سهيل أنه للتأكد من الشفاء توجهوا الى عيادة الدكتور وحيد الصواف للأشعة الحديثة في منطقة فيكتوريا، وأعادوا تصوير مكان التشنج على الأشعة. وكانوا سابقاً صوروا السيدة وفاء فظهر التشنج، ولدى إعادة التصوير بعد زيارة ماري « ظهرت الصورة الجديدة ولم يظهر بها أي أثر للتشنج » أي أنهم تأكدوا طبياً وشعاعياً من شفائها على يد السيدة المباركة ماري الأخرس..

ولكن .. ما هو رأي الكنيسة :

○ أثر ذلك كله وبعد حضور المئات من المحافظات المختلفة ومن لبنان أدلت بطريركية الروم الأرثوذكس بتصريح رسمي إلى وكالة الأنباء العربية السورية « سانا » بتاريخ ١٩٨٣/١/١٥ وقد نشرته جريدة الثورة الصادرة بنفس التاريخ وقد جاء بالتصريح :

بطريركية الروم الأرثوذكس « تنفي » الشائعات عن وجود العجائب

○ نفت بطريركية الروم الأرثوذكس الأقاويل والشائعات التي سرت مؤخراً عن وجود عجائب وأمور غير طبيعية تتم على يد إحدى الاسر في شفاء المرضى.

وأوضحت البطريركية في بيانها هذا : هذه الأمور والعجائب لا يقوى عليها سوى الطب، والعلم، والله تعالى.

ودعت البطريركية في بيانها الاخوة المواطنين الى الكف والتوقف عن

أية مبالغة في القول أو التهوّر أو التصرّف حول العجائب والأمور غير العادية التي انتشرت بين الناس مؤخراً.

وهذا يعني قصة ظهور السيدة العذراء عليها السلام على السيدة ماري الأخرس وعدم المبالغة أو الاعتراف بما جاء في هذه القصة من قبل الجهات الدينية الرسمية الموقرة.

مشاهير العالم

علاء البحري..؟

"ملياردير سوري"



مكاتب الشركة

مَنَحهُ الرئيس سُليمان فرنجيّة الجنسيّة اللبنانيّة.

إرتفع إلى دَرجَة المليارديرمِنْ وراء صَفقات البترول.

سُمِّيَ بالسندباد البحريّ.

إختفت طائرتة بين جدّة والقاهِرَة واختفى مَعهَا.

سَامي الخوري وأنطوان قاموع وَالآن علاء البحري.

الملياردير السوري علاء البحري الذي اختفى بين السماء والأرض قصة حقيقية أغرب من القصص السينمائية.

○ قصة أحد مشاهير العالم هذه أشبه ما تكون بقصة السندباد البحري قديماً، لكن الفارق أن السندباد حسب الاسطورة اختفى بين البر والبحر، بينما بطل قصتنا الحقيقية هذه الملياردير علاء الدين بن حسن البحري اختفى بين السماء والأرض وهذه القصة من أولها :

○ علاء الدين البحري مواليد دمشق ١٩٤١ والده حسن البحري كان يملك عدة بواخر لنقل الحجاج الى بيت الله الحرام يوم كان النقل البحري هو الوسيلة الوحيدة لنقل الحجاج من الأماكن البعيدة الى الديار المقدسة. وربما من هذه المهنة البحرية « اشتق اسم البحري لقب العائلة ».

ورث علاء عن أبيه مهنة البحر هذه وظل يتعاطى تجارة نقل الحجاج بعد وفاة والده الى بداية القفزة النفطية في مطلع السبعينات، فانتقل علاء من مهنة نقل الحجاج الى مهنة نقل النفط بحراً. وقد كان حلول النفط محل الحجيج مُدِرّاً للربح العظيم حيث أصبح لعلاء البحري اسم عالمي.

في عالم النفط الذي دخله علاء البحري من أوسع أبوابه رأى الخير

على وجه صديقه وشريكه بهاء الدين البساتنة وهو من عائلة البساتنة المعروفة في القطر السوري بالغناء والتجارة وامتهان الصرافة سابقاً. هذا الشريك المقتدر الذي تشارك وتفاسخ معه علاء مرتين منذ عام ١٩٧٠. حيث حقق الشريكان « ب ـــ ب » من أول عملية نفطية مبلغ المليون دولار الأولى. (والمعروف في لغة أهل المال والصاعدين على سلم المليونيرية والمليارديرية أن المليون الأول هو الأهم) وربح الشريكان مليونين في التجربة الثانية، ثم ١٤ مليون دولار خلال ثلاثة أشهر وأخيراً وصلت الأرباح الى ٦٠ مليون من شحنات نفط كركوك العراقي وسيكون هنا تتمة لفصول شراكتهما في هذه الفصل الهام عن اختفاء علاء البحري.

الإختفاء

بتاريخ ١١ آب (أغسطس) ١٩٧٩، ودّع علاء البحري زوجته « السيدة ميادة بنت محمد أديب الحلواني » وأولاده « أربعة صبيان وبنت » في شقته السكنية في أثينا وتوجّه الى المطار حيث كانت تنتظره طائرته الخاصة وهي من نوع « ليرجت » (LEARGET-35 A) مسجلة في الولايات المتحدة تحت رقم (N 711 U.A.F.) وذلك للاتجاه الى المملكة العربية السعودية لعقد اتفاق تجاري هام، كان يقود الطائرة كابتن فرنسي يساعده مهندس فرنسي أيضاً. وكان بصحبة علاء مدير عمليات استئجار البواخر في شركته وهو النرويجي « بيتر سيمر » ومضيفة بريطانية. ولكن الطائرة لم تصل الى مدينة « جدة في السعودية » حيث كانت وجهتها وأعلن رسمياً عن اختفائها. وبدأ البحث عنها وعن الملياردير علاء البحري وطاقم الطائرة ومرافقه، وجرى البحث أولاً بالطرق الرسمية وذلك بتتبع خط سير الطائرة المنكوبة وسؤال المسؤولين في مطارات الدول المحتمل

مرور الطائرة فوق أجوائهم. وقبل الغوص في تفاصيل البحث المضني ظهرت رواية تقول إن علاء البحري قد اختطف على الطريق بين أثينا ومطار أثينا، وأجبر على اعطاء الأمر للطائرة بالاقلاع الى المكان المقصود على أن يوافيها بوقت لاحق ولكن هذه الرواية لم تثبت، لأن التحقيق أثبت أن علاء كان في الطائرة عندما أقلعت وأن أحداً لم يخطفه في طريق المطار.

والسؤال : **كيف وأين اختفت طائرة علاء البحري الخاصة. ؟**

○ المعلومات التي أعلنت تفيد أنه لا يمكن أن تكون الطائرة قد تعرضت الى عطل فني لأنها وقبل أن يستقلها البحري من أثينا كانت قد عادت لتوّها من العمرة « الصيانة » في المانيا الغربية حيث أجريت عليها فحوص دقيقة وأضيفت لها قطع جديدة بحيث أصبحت صالحة للطيران المأمون مئة بالمئة.

الشيء الوحيد غير المأمون بالنسبة لهذا النوع من الطائرات الحديثة جداً أنها تستطيع التحليق على علو يصل الى ٤٥ الف قدم. فإذا كانت الطائرة محلّقة على هذا الارتفاع ومرّت فوق منطقة من التيارات والجيوب الهوائية، فإن تياراً هوائياً قوياً يمكن أن يقذف بها الى أعلى مسافة ألف قدم ثانية الأمر الذي يقطع عنها الأوكسيجين مما يؤدي الى اصابة الطيار والركاب بحالة إغماء، فتبقى الطائرة في الجو الى أن ينفذ وقودها فتسقط. وسبق أن وقع حادث من هذا النوع لطائرة مماثلة.

وقد أجرى المهتمون بالأمر من ورثة علاء البحري وشركائه وشركات التأمين التي لها علاقة مباشرة بالحادث، وصانعي الطائرة، تحقيقات بشأن احتمال تعرض الطائرة لتيار هوائي يكون قد رفعها وأسقطها فاستبعد هذا الاحتمال. وعاد التحقيق بحساب كمية الوقود التي حملتها الطائرة من أثينا، وكمية الوقود التي بقيت فيها عند اختفائها الذي ثبت بالتحقيق الفني

أنها « اختفت » أو « سقطت » فوق منطقة (الضبعة) في صعيد مصر على الخط التجاري الدولي بين مصر وجدة. ثم استأجر المحققون وبتمويل من آل البحري طائرة من نوع (سي. ١٣٠) وجعلوها تحلق على علو منخفض حيث طافت وبحثت في كامل المنطقة التي يمكن أن تكون سقطت فيها الطائرة في دائرة مساحية مركزها « الضبعة » وشعاعها « نصف قطر الدائرة » لكامل المسافة التي يمكن أن تقطعها الطائرة بما لديها من وقود الى آخر نقطة. وقد جرى البحث الجوي هذا في جميع الاتجاهات حتى آخر الحدود السودانية وبتعاون تام من السلطات السودانية التي يصل مدى الطيران بكمية الوقود المتبقية الى داخل أراضيها. هذا التفتيش العملي والحسابي الدقيق لم يكشف عن أيّ أثر للطائرة أو لشيء من حطامها أو بقايا جثث ركابها. هذا التفتيش أسقط من الحساب اكتشاف الطائرة المفقودة. ولهذا السبب امتنعت شركات التأمين عن دفع ما يترتب عليها لعدم ثبوت أدلة السقوط ووجود الجثث.

○ الاحتمال الثاني لسقوط طائرة علاء البحري هو أن يكون الطيران الحربي الليبي قد تصدّى للطائرة وأجبرها على الهبوط في الأراضي الليبية. ذلك أن منطقة الحدود بين مصر وليبيا كانت في حينه منطقة عسكرية، لأنه في تلك الفترة بالذات كان أنور السادات قد أمر بوضع قوات كبيرة على الحدود المصرية الليبية بعد الاشتباك الذي وقع بين البلدين في عام ١٩٧٥ صيفاً. ولكن ليس من المعقول أن تقوم طائرات الميغ ٢٣ الليبية بمطاردة طائرة مدنية فوق الأراضي المصرية، وعلى عمق كبير، من غير أن تتصدّى لها وسائل الدفاع الجوي المصري الموجودة بانتباه تام في ذلك القطاع العسكري الهام بشكل خاص. وقد ثبت فيما بعد بالتحقيق أن طائرة البحري أجرت اتصالاً مع أول برج مراقبة في المجال الجوي المصري لدى دخولها هذه الأجواء، كما أجرت اتصالاً روتينياً مع برج مراقبة مطار القاهرة الدولي.

○ إذا كانت طائرة البحري قد أجرت الاتصالات اللازمة مع السلطات الجوية في مصر، فهل شاهدتها الرادارات المصرية العسكرية ؟ الجواب مع الأسف : لم تشاهدها جميع أجهزة الرادار المصرية بحيث أثبت التحقيق الذي كانت نتيجته سجن الكثير وعقابهم أنه صادف « وقت مرور طائرة البحري فوق الأجواء المصرية كان وقت تناول طعام الأفطار لأن الدنيا رمضان .. وكل عام وأنتم بخير » وهذا يدل على اهمال موظفي الرادار المصريين لمراقبة أجوائهم، ولو حدث هذا الأمر بعد توقيع السادات على معاهدة الذل لسكتنا عن الأمر.

○ ما هو دور اسرائيل في إسقاط طائرة البحري :

من المعروف ان اسرائيل قد نصبت في سيناء عدداً من الرادارات الحديثة بحيث تغطي كامل العمق المصري في حينه، وقد طلب المحققون من واشنطون التدخُّل مع اسرائيل للاستفسار، فأجابت السلطات الاسرائيلية المخابرات الأميركية أنهم فعلاً شاهدوا طائرة البحري على راداراتهم، بل وسجلوا مكالماتهم مع الأبراج المصرية. والمعلومات التي أعطاها الاسرائيليون هي التي حددت مكان اختفاء الطائرة، أي حين اختفاء إشارتها الضوئية من على شاشات الرادار الاسرائيلية. وقال الاسرائيليون في اجابتهم للمخابرات الأميركية : إن طائرة البحري انفجرت في الجوّ !؟! لكن انفجارها ليس نتيجة انفجار قنبلةٍ مزروعة فيها قبل إقلاعها، كاحتمال من احتمالات لغز الاختفاء، بل هو ناجم عن إصابتها بصاروخ أرض ــ جو أطلق عليها من قبلهم خطأً. فكيف وقع الخطأ الاسرائيلي[1] وكيف يتم اطلاق صاروخ على طائرة مدنية ؟ وكيف

---

(١) قامت اسرائيل بعملية إسقاط طائرة ركاب مدنية ليبية بصورة طبق الأصل وذلك بتاريخ ١٩٧٣/٢/٢١ عندما طهرت هذه الطائرة على شاشات الرادار الاسرائيلي في سيناء أيضاً متخطية الأعراف الدولية. ولمعرفة أسرار هذه الحادثة المفجعة التي أودت بحياة أكثر من مائة انسان بريء عليكم بمراجعة الصفحات من ٤٦٤ الى =

يمكن التصدّي لها عسكرياً من غير مكالمتها والتأكد من هويتها ؟ لكن اسرائيل، وقد جُبلت على الغدر وعلى مقولة « خالف تُعرف »، لا يُستغرب منها هذا التصرف اللاإنساني واللامسؤول، أما لغز اختفاء طائرة علاء البحري وبالتالي اختفائها في منطقة الضبعة المصرية لا ينتهي حتى التأكد من مصيرهم. وقد أجمع بعض الخبراء العسكريين المختصين على أن طائرة صغيرة بهذا الحجم اذا أصيبت بصاروخ أرضي من الصواريخ الحديثة وعلى هذا الارتفاع الضخم فإنها « تذوب وتتناثر » بحيث لا يبقى منها أي أثر ملحوظ يصل الى الأرض بل تبقى القطع تسبح في الفضاء الخارجي مثل مئات الأقمار الصناعية التالفة وأجزائها المفككة.

○ بعد هذه التأكيدات قامت كل الحكومات التي لها رعايا في تلك الطائرة باجراء تحقيقات منفصلة عن الموضوع، لكن هذه التحقيقات جميعها لم تصل الى نتيجة قاطعة ولذلك فإن الحكومات المعنية أعلنت « وفاة » رعاياها المفقودين حسب قوانين بلادها « باستثناء الحكومة السورية التي لم تتأكد من وفاة علاء البحري » أولاً وثانياً استناداً الى الشرع الاسلامي الحنيف الذي ينص على عدم إعلان وفاة المفقود قبل ١٥ سنة أو الى أن يبلغ الثمانين اعتباراً من تاريخ ولادته أيهما أولاً ؟ وقد أرسلت الخارجية السورية تطلب من الخارجية اللبنانية استفساراً عنه في ١٩٨١/٣/٢٤.

أما الحكومة اللبنانية التي يحمل جنسيتها علاء البحري والتي منحه إياها الرئيس اللبناني السابق سليمان فرنجية إبان حكمه بموجب مرسوم جمهوري لكي يتسنى له، أي للبحري، تسجيل أملاكه الواسعة في لبنان باسمه، فلم تحرك ساكناً باعتباره يحمل هذه الجنسية أيضاً لدى اختفائه، كما أنه قد حصل على الجنسية الأميركية سابقاً استناداً لوجود شركات

= ٤٦٨ من كتاب المخابرات والعالم ــ لمؤلف هذه السلسلة من كتب المخابرات.

يملكها وحصصاً في شركات أميركية ثانية بلغ عددها ٤١ شركة. لذلك كانت واشنطون من الدول التي ساعدت في البحث عنه وسؤال الحكومة الاسرائيلية عن مصيره كما ذكرنا.

أعمال وشراكة وصفقات علاء البحري من البداية للنهاية :

○ كان لعلاء البحري إضافة لشراكته مع البساتنة « طموحات » تجارية كبيرة باتجاه السعودية. فقد كان له هناك الدكتور رشاد فرعون « ولي نعمته » وهو الذي أدخله للمملكة حيث شارك نجله مازن فرعون في عام ١٩٧٢ الى عام ١٩٧٤، مما أدى الى فسخ الشراكة بين علاء وبهاء البساتنة، لأن علاء قام بمشاركة مازن فرعون « من وراء ظهر شريكه بهاء الدين البساتنة » وكانت شراكته مع مازن فرعون تتعلق بإنشاء شركة للنقل البحري داخل السعودية تتولّى نَقْل النفط من شاطئ الى آخر في المملكة. ونقل النفط الى السودان تحت علم سعودي كما دخل البحري مع فرعون في عمليات عقارية في السعودية ولبنان فاشتريا خلالها أراضي ومباني كثيرة في البلدين. لكن هذه العلاقة العقارية كانت معقدة قانونياً نظراً لأن الشريك علاء البحري سوري الجنسية لا يحق له التملك في السعودية أو لبنان، مما اضطره قبل فسخ شراكته مع مازن فرعون الى طلب الجنسية التي منحها له الرئيس فرنجيه « أبو طوني » كما ذكرنا سابقاً. وهكذا تم « الفراق ـــ أو فسخ الشركة بينهما » على أن يأخذ فرعون الأراضي المسجلة في السعودية « باعتباره سعودي الجنسية »، وأن يأخذ علاء البحري الأراضي المسجلة في لبنان باعتباره أصبح لبنانياً. وقدرت العقارات التي انتقلت الى اسم علاء البحري في لبنان بـ ١٠٠ مليون ليرة لبنانية ـــ في حينه (عندما كانت الليرة اللبنانية تساوي الكثير ولعلها تعود إلى قيمتها بعد الوفاق والمصالحة الوطنية بين

اللبنانيين ويعودون الى الديموقراطية والوحدة الوطنية تحت الراية اللبنانية إن شاء الله).

وعاد علاء الى الشراكة مجدداً مع السيد بهاء الدين البساتنة رغم أنهما مختلفان في الشخصية وفي العقلية، لكنهما اتفقا بالعمل لا سيما وإن اتفاقهما هذا « درّ » عليهما الربح الوفير في مرحلة من المراحل بالرغم من أن سوق النفط ونقله سوق حساسة جداً. والدنيا وجوه وأعتاب وكل منهما رأى الخير على وجه الآخر فلم يكن شيء يجمع بينهما في التكوين الشخصي أو الثقافة سوى هذا الاحساس الداخلي الذي يؤمن الشرقيون عموماً به، وهو أن الخير له مراقد متجسدة في الوجوه.

وكما ورث علاء البحري عن والده تجارة نقل الحجاج بحراً، فقد ورث بهاء البساتنة شريكه عن والده تجارة الحبوب من قمح وطحين، وبمعنى آخر واحد ورث البحر وواحد ورث البرّ، وشتان بين البر والبحر. كان علاء في حياته نمطاً آخر فهو أقرب الى الرجل « الشامي » العادي، بينما بهاء أقرب الى صورة الرجل الأوربي، لم يكن علاء متعلّماً الى درجة عالية ولا يتقن أي لغة أجنبية سوى قليل من الانكليزية التي تكفيه للأعمال اليومية، فكان علاء كما يقال « على قد الحال ويمشّي الحال » حيث عوّض بالذكاء الفطري والحنكة والدراية عن العلم والثقافة؛ أما بهاء البساتنة فهو جامعي من البداية يتقن اللغة الانكليزية وحتى الفرنسية اتقانه للغة العربية وأكثر، وله اطلاع واسع على طريقة الحياة الأوربية منذ نعومة أظفاره. وكان التقاؤهما له أساس قبل الشراكة حيث كان علاء البحري قد عمل لدى والد بهاء في السبعينات بتجارة الحبوب، وكان قد ألمّ بمداخل ومخارج هذه التجارة. وعندما قرر بهاء أن ينفض عنه غبار الطحين بعدما انتشرت رائحة البترول في الشرق الأوسط في أواسط الستينات، انتقل الى بيروت ليبدأ مع علاء البحري شركة متخصصة في تجارة المحروقات باسم « بابا نفط » حيث كانت تجارتهما في هذه المرحلة التي سبقت

انفصالهما الأول مع بداية الحرب الأهلية اللبنانية على نطاق ضيق لم تتعد لبنان وسوريا ومصر. ثم أصبحت عالمية النطاق بعد « عودتهما » للمشاركة في المرحلة الثانية.

والواقع أن تجديد الشركة بينهما كانت موضوعية الى حد كبير نظراً لارتياح كل منهما للآخر واعتقاده بأنه يرى الخير على وجهه. فالبحري خبير بقضايا الشحن، والبساتنة خبير بقضايا التجارة والحصول على العقود. والبواخر لا نفع منها إذا لم تكن محمَّلة. وعقود التحميل لا نفع منها إذا لم تجد بواخر لنقل الحمولة. وقد جاء الخبر من اجتماع عقود بهاء وبواخر علاء. استناداً لأغنية الفنان موفق بهجت التي كان يرددها علاء البحري : بابوري رايح، بابوري جاي، بابوري محمّل (نفط) عوضاً عن السكر والشاي.

من العقود التي جلبها معه البساتنة الى الشركة : عقود مع لبنان وسوريا ومصر للمنتجات البترولية؛ وعقد بنصف مليون طن من النفط الليبي الخام (آمنا)؛ وعقد آخر بنصف مليون طن من النفط الليبي الخام (آير)؛ وعقد لنقل ٤٥٠ ألف طن نفط خام للسويد و ٤٦٠ ألف طن نفط مصري خام، فضلاً عن عقد هام بمليون طن نفط خام كركوك العراقي. ونظراً لارتفاع سعر النفط الخام في تلك المرحلة التي شهدت انطلاق الثورة الايرانية مما حقق لهما أرباحاً وصلت الى ٧٠ مليون دولار، كان نصيب البحري منها ٢٥ مليون دولار حسّن بها أوضاعه المالية، قبضها وأودع معظمها في بنك العالم العربي للاستثمار في باريس (BAII).

وبهذه الأرباح استطاع علاء أن يشتري المزيد من البواخر التي بلغ عددها ١١ باخرة، مما رتب عليه بعض الديون وأصبحت شركة البحري بساتنة (B-B) عالمية النطاق؛ كما أسس البحري في هذه الأثناء شركة خاصة به فقط هي شركة « فادي للشحن » وشعر البساتنة بذلك فدعا

البحري لفسخ الشركة بينهما وأسس البساتنة أيضاً لنفسه شركة خاصة سماها « بتروشيب أنترناشنال » وكان مركز الشركتين في أثينا، وتوقف العمل في شركة « بابا نفط » التي انطلقا بها من بيروت.

إلى هنا انتهى العمل بمراحل الشركة الأولى.

* * *

○ بتاريخ الأول من نيسان (ابريل) ١٩٧٨ بدأت مرحلة ثانية من الشركة بين علاء وبهاء. ومن الشراكة الجديدة تأسست شركة تحت اسم « بابا نفط أنترناشينال » وافق الطرفان على دمج عملياتهما : فقدم علاء بواخره، وقدم بهاء عقوده الطويلة المدى، اتفق الطرفان على أن موجودات علاء تساوي ٦,٩ مليون دولار « سبحان العاطي »، وموجودات بهاء تساوي ٥,٨ مليون دولار، فكان الفرق مبلغ ١,١ مليون دولار رغم الاتفاق على أن يدفعها بهاء البساتنة على دفعتين :

ــ دفعة فورية بمبلغ ٥٥٠ ألف دولار في رأسمال الشركة.

ــ دفعة ثانية بمبلغ ٤٥٠ ألف دولار تدفع بعد شهرين، أي بتاريخ ١٩٧٨/٦/١ على اعتبار المبلغ النقدي المدفوع من بهاء مبلغاً مقطوعاً بقيمة مليون دولار فقط تيمناً بالشركة الأولى، ولمساواة الرأسمال. وبعد سنة من إعادة الشركة حدثت إعادة نظر قبل ثلاثة اشهر من « اختفاء علاء »، بموجب ذلك تم الاتفاق بين علاء وبهاء على أن يفصلا الشحن عن تجارة البترول فاستردّ كلٌّ منهما رأسماله واستردَّ بهاء المليون دولار. وبعد اختفاء علاء البحري وبالتحكيم استردَّ البساتنة شركة « بتروشيب أنترناشينال » باعتبار أن الاسم كان لشركته قبل التعاقد مع علاء.

* * *

○ باختفاء علاء البحري في ١١ آب (اغسطس) ١٩٧٩ كما ذكرنا دخل الوضع في مرحلة حرجة. وهذا أمر طبيعي سواء من حيث

غياب صاحب العلاقة المباشرة أو من حيث تهافت الورثة وخلافاتهم مع بعضهم البعض. هذه الخلافات لم تظهر فور اختفاء البحري لأن تلك السنة كانت مربحة، ولكن بدأت الخلافات تظهر عند أول خسارة كبيرة في النصف الثاني من عام ١٩٨٠، وهي نتيجة شحنة من النفط الخام العربي حمّلت على الناقلة العملاقة « غراند كوركو ندانس ». اشترى الشركاء « أرملة علاء البحري » وبهاء البساتنة النفط بسعر ٤٠ دولار للبرميل، وبسبب إغراق السوق بالنفط في تلك الفترة لم يتيسر بيعها إلّا بسعر ٣٠ دولار للبرميل الواحد أي بخسارة ١٠ دولار للبرميل. وبقي ما يخص علاء البحري من شركاتٍ وحصصٍ شركاتٍ بإدارة السيدة ميادة الحلواني بصفتها « قيّمة على أموال الغائب » يساعدها اثنان من أشقائه كمدراء وفي هذه الشركات والحصص وهما ابراهيم بحري وحسان بحري اللذان وقعا على لائحة توزيع الأرباح بين الشركاء وتوزيع الأكراميات للموظفين والمستحقين.

التحكيم الشرعي في وراثة علاء البحري :

○ عند وقوع الخسارة الكبيرة طالب بهاء البساتنة القيمين على أموال البحري وهم زوجته ميادة واخوته ابراهيم وحسان بدفع حصتهم منها، فرفضوا الدفع فرفض الدفع عنهم. لكن البنوك لا تنام على كفالاتها ومستحقاتها. فقرر بهاء مواجهتهم لإنهاء الشراكة بينهم إما بالمحاكم أو « التحكيم ». فاختارت ميادة الحلواني الاستاذ عبد الهادي قنديل وهو حقوقي ورئيس سابق لمؤسسة البترول المصرية وتربطه صداقة مع الطرفين ولكنه حيادي وموثوق، فتمّ عرض جميع المستندات عليه بحضور الطرفين، وقد جرى التحكيم بالقاهرة وصدر قرار التحكيم مشتملاً على ما يلي :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

○ حيث أن الفريقين قد اختلفا من مدة وجيزة حول تنفيذ الاتفاقية الباقية بينهما، وحيث أن الفريقين قبلا تعيين محكمين وفقاً للفصل الخامس من الاتفاقية، وحيث أن الفريق الثاني « السيد بهاء البساتنة » قد تقدم باستدعاء لاتخاذ تدابير وفاقية بتاريخ ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٨٠ بحق الفريق الأول (آل البحري) أمام محكمة أثينا، وحيث اتفق الفريقان الآن على التحكيم لحل خلافاتهما المذكورة أعلاه بواسطة المحكم السيد عبد الهادي قنديل الذي يكنّ له الفريقان كل تقدير واحترام، لذلك تم الاتفاق بالرضى المتبادل بين الفريقين على ما يلي :

١ ــ إن أي وجميع الخلافات بين الفريقين والمتعلقة بمجموعة شركات بابا نفط وبتفسير / أو تنفيذ الاتفاقية التي ترفع بموجبه للتحكيم بواسطة السيد عبد الهادي قنديل المقيم في القاهرة « مصر » الذي يعيّن بموجبه بصفة الحكم المطلق. ويتم التحكيم في القاهرة « مصر »، وإن قرار التحكيم الصادر عن السيد قنديل يكون نهائياً وملزماً بحق الفريقين « بمثابة وقوة قرار صادر عن المحكمة ».

٢ ــ فور توقيع الاتفاقية الحاضرة يصار الى تعديل الفصل الخامس من الاتفاقية وإن تعيين الحكمين السابقين من قبل الفرقاء يعتبر لاغياً.

٣ ــ لدى توقيع الاتفاقية الحاضرة يعتبر استدعاء الفريق الثاني لاغياً ودون أيّ مفعول، ويقوم الفريق الثاني باعطاء التعليمات إلى محاميه للقيام بالغاء هذا الاستدعاء أمام المحكمة في أثينا.

٤ ــ يوقع الفريقان أدناه إشعاراً بقبول جميع ما جاء في هذا القرار.

○ شهادة بذلك نظمت اتفاقية التحكيم هذه على ثلاث نسخ موقعة من الفريقين المتعاقدين بالتاريخ المذكور في بدايتها وسلمت نسخة لكلٍّ من الفريقين، كما احتفظ المحكّم عبد الهادي قنديل بالنسخة الثالثة.

(الموقعون)

الفريق الأول : ميادة محمد أديب الحلواني ممثلة بشخص وكيلها « شقيق زوجها » السيد حسان حسن البحري.

الفريق الثاني : بهاء الدين البساتنة ممثلاً بشخص وكيله « وليد البساتنة ».

○ هذا التحكيم لم يشمل القضايا العالقة في المحاكم عدا محكمة أثينا. لكن آل البحري تعهدوا للمصارف بتنفيذ قرار التحكيم، وهذا لم يتم. وبموجب هذا التحكيم دفع بهاء البساتنة مبلغ مليون دولار لاسترداد ١٩ شركة من أصل ٢٤ شركة مع علاء، وتحمّل كافة الالتزامات المترتبة على تلك الشركات. وكان الخيار الآخر أن يدفع آل البحري مبلغ المليون دولار ويتحملوا تلك المسؤوليات « لكنهم » آثروا الخيار الثاني المعمول به بعد ذلك.

○ فواز البحري شقيق علاء الكبير تضايق من إقدام زوجة أخيه وموافقة شقيقيه معها على القبول بالتحكيم على أساس أن مبلغ المليون دولار « قليل » إزاء الشركات الـ ١٩ التي عادت للبساتنة بموجب التحكيم.

عزل زوجة علاء البحري ميادة الحلواني عن الوصاية :

○ بعد اختفاء علاء البحري باختفاء طائرته الخاصة، وعدم الحصول على أي دليل مادي على الاختفاء الغامض، تبين أنه ترك ثروة طائلة وغامضة منتشرة في جميع أنحاء العالم، أملاكه في بيروت كما ذكرنا تساوي ١٠٠ مليون ليرة لبنانية بسعرها القديم، عدا الأموال النقدية الكبرى المودعة في البنوك المختلفة، والأسهم، والسندات، والشركات، والبواخر،

وما إلى ذلك. وقد نشأت المشاكل والخلافات بين أفراد العائلة بعد تعيين السيدة ميادة الحلواني « قيّماً شرعياً » على أعمال وأموال الغائب لتقوم بإدارة شؤونه، والمحافظة على أمواله الى حين ظهوره؛ وقد تصرفت ميادة بالمال وتخالصت مع شركاء زوجها (البساتنة) بموجب التحكيم كما ذكرنا. لكنها لم تتصرف وحدها بل أشركت معها اثنين من اشقاء زوجها الغائب هما ابراهيم، وقد عينته مديراً عاماً لأعمال وتجارة زوجها في أثينا براتب قدره عشرة آلف دولار في الشهر، والثاني حسان الذي أدار معها الشركة المعروفة باسم « فادي للشحن ». وقد ارتكبت ميادة عدداً من الأخطاء بينها شراء فيللا أنيقة في أثينا بمبلغ أربعة ملايين دولار « سجلتها باسمها » بينما في أيام زواجها كانت تقيم في شقة مستأجرة في أثينا؛ كما قامت ببيع عدد من بواخر زوجها القديمة، واشترت جديدة عوضاً عنها. أما أشقاء زوجها فقد اعتبروا ذلك هدراً للمال لأن البيع والشراء تمّا في حال هبوط السوق. وهذه بعض المشاكل :

أ ــ مما زاد من مشكلة ميادة أن أولادها الكبار (باستثناء الصغار) يقفون ضدها، وقد أقاموا عليها دعوى في أثينا وحجزوا الفيلا واليخت الخاص لأبيهم. وكانت ميادة قد وضعت يدها على كل أوراق ومستندات زوجها من أسهم وسندات وحسابات وعقود وما إلى ذلك، وأنها نقلت ما كان لزوجها من أموال نقدية في بنك « رويال بنك أوف كندا » في بيروت إذ كان زوجها يتعامل مع مديره خليل قيقانو الى بنك « باري با » في جنيف باسمها. وقد استفسر الأولاد عن المبلغ لكن البنك السويسري رفض اعطاء أية معلومات بهذا الخصوص حسب قانون سرية المصارف بسويسرا.

الشخص الذي جلب لميادة وجع الرأس وتسبب في عزلها من القيمومة والوصاية هو فواز حسن البحري شقيق الغائب الذي أبرز وكالة عامة من شقيقه علاء صادرة عن الكاتب العدل في بيروت تحت رقم ٢٤٠٢ /

٧٥ تاريخ ١٩٧٥/٤/١١ أمام المحكمة المختصة في بيروت واتهمها مدعياً أنها :

١ ـــ لم تقدم بيان بموجودات المفقود وميزانية نفقاته كل عام.

٢ ـــ تسجيل العقار ١٠٨٨ ـــ رأس بيروت باسمها بموجب العقد المصدق بالسفارة اللبنانية في أثينا بتاريخ ١٩٧٩/٨/٢٧.

٣ ـــ قبض مبلغ ٧٠٠ ألف ليرة لبنانية سنوياً عن اجرة العقار رقم ٢٨٧٦ في رأس بيروت أيضاً والمؤجر الى الجامعة اللبنانية.

٤ ـــ المخالصة مع شركاء الغائب مدعياً أن هذه الشركات المشتركة حققت ربحاً بلغ ٥٠ مليون دولار (ردّت ميادة بوجود خسارة وليس هناك من ربح).

○ كانت نتيجة هذه الدعوى أن قررت المحكمة كف يد ميادة عن الوصاية، كما قررت المحكمة تعيين شقيقه محمد محسن بن حسن البحري والمحامي أنور عرار « قيمين وصيين » متحدين وغير منفردين في مكان ميادة، وقد اعترضت ميادة حسب الاصول ولكن كانت نتيجة الاعتراض والطعن :

« تثبيت كف يد ميادة عن القيمومة والوصاية، وتعيين ولدها حسن البحري ومحيي الدين علايا محاسب دائرة الأيتام لدى محكمة بيروت الشرعية وصيين قيمين مؤقتين الى حين البت بكامل الدعوى « كان تعيين الأخير بدلاً من المحامي أنور عرار ». استنكف محيي الدين علايا فعينت المحكمة عوضاً عنه الابن الثاني لعلاء البحري وهو حسين، فأصبح هو القيّم والوصي الآخر الى جانب شقيقه حسن. ولم يعد هناك أحد من خارج العائلة؛ أما حسام الدين فقد عينته المحكمة الشرعية لإدارة الشركة والأعمال بالتضامن مع شقيقيه. وهكذا استردت ميادة بعض الاعتبار

والتصرف لأن ابنها حسام الدين يقف بجانبها بينما الشقيقان حسن وحسين يقفان ضدها.

ب ـــ المشكلة الأخرى التي كانت موضع أخذ وردّ هي مشكلة « بوالص التأمين » على حياة الغائب والبالغة قيمتها ٥٠ مليون دولار. شركات التأمين « رفضت » الدفع. القيمون الجدد من أولاد البحري قالوا إن والدتهم قصّرت في ملاحقة شركات التأمين. لكن الثابت أن ميادة تقدمت بدعوى بتاريخ ١٩٨١/٨/١٠ بعد سنتين تماماً من اختفاء زوجها ضد شركة بحري للطيران وشركة فيدرال كومباني ادّعت أنها تثبت موت زوجها ومن حقها بالتالي أن تقبض بوالص التأمين البالغة خمسين مليون دولار. وبقي كل شيء متوقفاً على إثبات الوفاة وقد بقي من الآن خمس سنوات للمدة القانونية وأنه من المستبعد أن يطعن به أحد لانتفاء المصلحة في مثل هذا الطعن.

وتتمة لهذا الحدث الجلل نعرض أن والدة علاء البحري وبنصيحة من المحامين نشرت في الصحف اللبنانية واليونانية إعلاناً عن تقديمها لمبلغ سبعة ملايين دولار لكل من يقدم دليلاً ثابتاً على مكان وجود علاء البحري « ولدها » حياً أو ميتاً، ثم تبعه اعلان آخر بقيمة عشرة ملايين دولار لنفس الغرض. وقد قيل للزوجة إن هناك فتوى شرعية تبرر إعلان وفاة زوجها، على أساس أنه لو كان حياً أو مخطوفاً لأي جهة « ما عدا الحكومات » فإن هذا المبلغ كفيل بإطلاقه أينما كان لأن هذا المبلغ الكبير لم يدفع حتى الآن في جميع أنحاء العالم لفك أي مخطوف أو رهينة. أما وان ذلك لم يحصل فتكون الوفاة قد ثبتت فيصار الى حصر الأرث شرعاً وتوزيعه على الورثة.

النهاية : لقد انضم المرحوم علاء حسن البحري الى قافلة المختفين، ومنهم من ذكرناه في هذا الكتاب الوثائقي كسامي بن سليم الخوري وأنطوان قاموع، ومنهم من اختفوا أيضاً بطرق أغرب من الخيال وستعرض قصصهم لاحقاً. وهكذا تستمر الحياة.


Accompagné de :
رافقه
Pays pour lesquels ce passeport est valable
البلاد التي يستعمل فيها هذا الجواز
La validité de ce passeport expire
ينتهي العمل بهذا الجواز
— 2 —
صورة حامل الجواز الشمسية
PHOTOGRAPHIE DU PORTEUR
— 3 —

مشاهير العالم

مَن هوَ (كارلوس)

(الإرهابي الدولي)



أصبح فدائيًا وعمره ١٤ سنة.

قام بأوّل عمليّة في لبنان.

كان يَعيش في منازل صَديقاته للهروب مِن المخابرات العالميّة.

كان يحترم وَالدته فقط.

أصبح الهدف المفضّل للـ (C.I.A).

خطف وزراء النفط لمنظّمة الأوبيك.

من هو كارلوس الإرهابي الدولي :

○ من هو كارلوس الذي شغل اسمه العالم بأسره أثر قيامه بتاريخ ٢١/ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٥ بعملية خطف وزراء النفط في الدّول المصدّرة للنفط في مدينة فيينا عاصمة النمسا، وقام بعشرات العمليات الإرهابية في مختلف أنحاء العالم .. ؟

○ كارلوس : لقبه (الارهابي الدولي) أما اسمه الأصلي فهو :
○ إيليتش راميريز سانشيز.
○ من مواليد : ١٠ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٩ في فنزويللا.
○ والده : جوزي التاغراسا أميريز مافاز.

وقد عاش ايليتش حياة خجولة بين أشقائه هادئاً أقل وثوقاً بنفسه، ولكنه كان يؤكد لمن حوله بأن العالم سوف يتحدث عنه يوماً ما (وقد أكّد هذه الحادثة الدكتور جاك لوتيه مدير مؤسسة الاجرام في باريس : أن كارلوس فيما لديه من رغبة بلفت الانتباه إليه في إعطاء نفسه قيمةً عبر العنف والقتل إنما هو نتيجة للإذلال الذي عاناه في صباه المبكر) وقد غادر كارلوس المدرسة عام ١٩٦٦ فأرسله والده جوزي خارج فنزويللا لانهاء دراسته، فزار الأنتيل ثم المكسيك وكوبا حيث تدرَّب في مخيم

« المنتزه » بدلاً من إتمام دراسته. وهذا المخيم هو أحد المخيمات الثلاثة التي تقع في ضواهي هافانا والتي أنشأتها المخابرات الكوبية لتدريب أبناء أمريكا اللاتينية على الأعمال العسكرية والفدائية، كان كارلوس واحداً من مئات الفنزويليين الذين تدرّبوا على أعمال التخريب، استاذهم في التدريب كان الجنرال (فيكتور سيمونوف) الموفد من المخابرات السوفياتية (K.G.B.). وكان من المدربين الآخرين (أنطونيو داجيز بوفييه) من الأكوادور الخبير في حرب[1] العصابات. التدريب الشاق والشديد قوى التجارب التي حصل عليها خلال الاضطرابات في كراكاس التي كانت عمليته الأولى حيث كانت كوبا تقوم بارسال فرق صغيرة من الثائرين الى شواطئ فنزويللا، وفي أيام ١٩٦٨ أرسل الكوبيون « كارلوس » مع أربعة من الثوار إلى فنزويللا، فاعتقله الجيش الفنزويلي، وتم استجوابه مطولاً بدون أن يحصلوا منه على أية معلومات هامة. فسمح له بالعودة الى كوبا بعد إخلاء سبيله؛ ومع ذلك أصرّ الكوبيون على إعادة كارلوس بالذات الى كاركاس لإثارة الاضطرابات. ولكنه اعتقل للمرة الثانية وأُخضع لاستجواب دقيق مدة ١٢ ساعة ولم يطلق سراحه هذه المرة إلّا بعد تدخل والده.

○ قرر كارلوس متابعة الدراسة فسجل نفسه في جامعة « باتريس لومومبا » في موسكو. وحسب وعد والده له أخذ يرسل له معونات مالية ضخمة فنعم بحياة سعيدة حتى أصبح يلاحق الفتيات فاعتقل في مركز البوليس السوفياتي وأعلم والده البورجوازي الثوري بأن يقلل من الأموال المرسلة الى كارلوس فأجاب : « سوف لا أدع أولادي ينقصهم شيء ».

كان الطلبة في موسكو يستعملون أقلام الحبر القديمة، ولا يوجد لهذه

---

(١) فترة تدريب كارلوس في مخيم المنتزه الكوبي كانت السبب في كشفه للمخابرات الأميركية (C.I.A.) بعدما ترك (كاسترو هيدالجو) مركزه في السفارة الكوبية في باريس والتجأ الى هذه المخابرات وأعلمها عن عمله السابق كمدرب في معسكر المنتزه ...

الاقلام سوى حبر لونه ليلكي غامق جداً، كما أن معظم السفارات هناك كانت مطلية باللون الأصفر أو الأخضر. وفي عام ١٩٦٩ سار الطلبة الليبيون في جامعة لومومبا الى سفارة « المملكة في حينه » للاحتجاج على رفض الحكومة الليبية تجديد تأشيرات الدخول، فانضم إليهم (كارلوس) بمبادرة منه شخصياً؛ أوقف البوليس السياسي الطلبة الليبيين السمر، ولكنه سمح لـ (الأبيض — وهو كارلوس) بالمرور، فاستغل كارلوس ذلك وقذف زجاجة حبر ليلكية باتجاه السفارة، ولكنه أخطأ فدخلت الزجاجة نافذة أحد البيوت المجاورة فاعتقل كارلوس للمرة الثانية وعنّفه البوليس بشدّة، وأعلمت وزارة الداخلية السوفياتية إدارة الجامعة بعمله المسيء فجرى إبعاده من الجامعة لهذه الأسباب :

١ — قيامه بتحريض معادٍ لروسيا.
٢ — نشاطه الغامض وهجومه على السفارة الليبية.
٣ — حياته المستهترة بسبب ضخامة الأموال التي كان يتلقاها من والده.

خرج كارلوس من موسكو لفترة، ولكنه عاد إليها مع فريق لإحدى المنظمات الفدائية العربية لمتابعة تدريب خاص في معسكر خاص للـ ((K.G.B.))، وذلك لأنه عندما أبعد من موسكو توجه الى المانيا الشرقية التي كانت محطة انتظار للفدائيين الذين ينوون القيام بعمليات في أوربا، أو العائدين من عملية ما، ثم سافر الى لندن وبقي بجانب والدته التي كان يعيرها اهتمامه الشديد ويبدو في شكله مشابهاً لها، ثم توجه الى الشرق الأوسط، وانضم وقاتل مع منظمة « وديع حداد ».

وعندما هدأت الأحوال في الشرق الأوسط ظهر كارلوس في لندن بمظهر البلاي بوي اللامبالي، وسجلته والدته التي كانت تجهل انغماسه في الأعمال العسكرية وحياته المزدوجة، في معهد العلوم الاقتصادية حيث لم يداوم على الاطلاق، وسجل نفسه في معهد « لنغهام للسكرتاريا »

لغرض في نفسه بسبب وجود عشرات الطالبات الجميلات في معهد السكرتاريا « وهذا يذكرني بصديق كان منتسباً لمعهد السكرتاريا في دمشق لنفس السبب ». وقد ترك كارلوس فعلاً ذكريات كثيرة عنه بأن دون جوان ومطارد نساء مدع. بالاضافة الى ذلك كان يرافق امه الى الحفلات الديبلوماسية وبرز نجمه بين الجالية الأميركية اللاتينية في لندن، وكان يلعب البوكر، ويغني برفقة غيتار، وينفق ببذخ ظاهر من مخصصات الوالدة، ويحيا ظاهرياً حياة بدون هموم. وفي هذه الأثناء وصل الى لندن (أنطونيو بوفييه) أحد مدرسيه السابقين في مدرسة المخابرات والقتال في كوبا، فأقاما مركزاً في شقة استأجراها في (كنسنجتون) وكان كارلوس آنذاك محتاجاً للمال رغم أن مخصصاته من والده كانت تتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ جنيه استرليني شهرياً. إلا أنه أصبحت لديه إيرادات مالية جديدة وهي السحب من حسابات بوفييه المفتوحة .. ؟

أول عملية لكارلوس في لندن :

○ هاجم كارلوس شخصياً (جوزيف ادوارد تيدي سييف) بتاريخ الأحد ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٣ والمهاجم هو رئيس مؤسسة (مارك أند سبنسر) .. العملية أعدت بعناية تامة ونفذت ببرودة .. وهي نموذج درج عليه كارلوس في عملياته فيما بعد .. قرع باب شقة سييف في السابعة مساءً، فتح له الباب مدير منزل سييف فوجد مسدساً عيار ٩ مم موجهاً الى وجهه وأمره بأن يقوده الى صاحب المنزل، فقاده وهو يرتجف من الخوف إلى الصالون ثم الى الطابق الأول، حيث واجه سييف في فمه ولكن أسنانه القوية أنقذته، فالرصاصة فقدت زخمها لدى اصطدامها بأنيابه الصامدة واستقرت في مؤخرة العنق بدلاً من اختراقه وتمزيقه.. لقد تمكن سييف من النجاة وتمكن كارلوس من الإفلات، ولم يتعرف أحد في تلك الأثناء عليه.

أسباب مهاجمة سيف لتصفيته :

○ كان جوزيف سييف رئيس مؤسسة مارك أند سبنسر من الصهيونيين المغالين في صهيونيتهم وكان مع عائلته « مبجلين ومحترمين لا يردّ لهم طلب لدى الكيان الصهيوني »، بسبب مساعداتهم المالية الضخمة التي تتمثل سنوياً بملايين الجنيهات التي يقدمها الملياردير الصهيوني سييف باسم العائلة إلى اسرائيل لتقوية آلتها الحربية. وقد أصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد مدة وجيزة بياناً أعلنت فيه مسؤوليتها عن هذه الحادثة، مما يدل على أن كارلوس نفذ العملية باسمها أو بتخطيط مع بوفييه الذي حضر من كوبا لتنفيذ مثل هذه العمليات، وبعد مدة أيضاً اكتشفت لائحة معدّة من قبل كارلوس لتصفية بعض المتعاونين مع الكيان الصهيوني، وكان اسم « سييف » في رأس القائمة، كما اكتشف المسدس الذي أطلق منه النار على سييف بعد عامين من وقوع الحادثة.

بعد شهر واحد من تنفيذ عملية سييف فتح شاب باب فرع بنك (ها بوأليم) الاسرائيلي في لندن وألقى قنبلة موضوعة في صندوق أحذية فاصطدمت القنبلة قبل انفجارها بالباب مما أدى الى جرح إحدى العاملات على الآلة الكاتبة وجرح عاملة أخرى. وبعد التحقيق طابقت الأوصاف التي أعطيت أوصاف « كارلوس ». وأيضاً هذه المرة أعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن الحادث.

وفي هذه الفترة التي وجد فيها كارلوس بجانب والدته في لندن وبدأ بتنفيذ بعض عملياته، التقى بالسيدة « أنجيلا أوتاولا » وكان عمرها ٢٣ سنة في أحد المطاعم الذي يقدم الأطباق الاسبانية وكانت قد وصلت عام ١٩٧٣ إلى لندن لتعلم اللغة الانكليزية والعمل في المطاعم والأندية في منطقة البيكاديلي. وبالرغم أنها من أصل « باسكي » لكنها لم يكن لديها أي علاقة مع المنظمات الثورية. وهي جميلة وحيوية وقد اعتبرها

« كارلوس » مثالاً طيباً لنموذج الفتاة التي يمكن استخدامها كغطاء لعمله.

اعترفت أنجيلا، في وقت لاحق، بأنها أخذت بسحره، وأصبحت خليلته الرسمية بعد أن أقام في شقتها العادية، وأصبح يغدق عليها الأموال وكان يحتفظ بحقيبة جلدية سوداء كان يبقيها مغلقة بشكل دائم. استمرت هذه العلاقة ١٨ شهراً وكان كارلوس يفسر لها غيابه المتواصل بأن عمله كخبير اقتصادي يستدعي القيام برحلات إلى أوربا لملاحقة المشاريع التي يجري عليها دراسته.

ملاحظة : كان كارلوس يسافر من لندن إلى أوربا فعلاً، ولكن المشاريع التي كان يهتم بها أو يجري عليها دراسات لم يكن لها أية علاقة بالشؤون الاقتصادية.

لم تكتشف أنجيلا ذلك إلّا في وقت لاحق حيث كلّفها هذا الاكتشاف « عاماً في السجن » لأن الحقيبة السوداء التابعة لحبيبها لم تكن تحوي سوى العديد من المسدسات ذات كاتم الصوت وقنابل يدوية ودخانية، ولائحة بأسماء الأشخاص المقرر تصفيتهم.

اكتشاف جوانب غامضة من حياته :

○ بدأت بعض الجوانب الغامضة من حياته تتكشف في لندن؛ فلم يعد كارلوس ذلك الابن المحترم لتلك السيدة الجذابة بينما مركزه الحقيقي لدى بوفييه وغطاؤه صديقته أنجيلا. وبنفس الوقت كان يستخدم خمسة جوازات سفر في رحلاته وعملياته. وهذه الجوازات كانت على التوالي :

ــ جواز سفر « أميركي » باسم : سينون كلارك.

ــ جواز سفر « أميركي » باسم : غلين جبهارد.

ـــ جواز سفر « بريطاني » باسم : هكتور هوغوارين « فرنسي الأصل ».
ـــ جواز سفر « تشيلي » باسم : أدولف برنار.
ـــ جواز سفر « من بيرو » باسم : كارلوس مارتيز.

○ وبهذه الجوازات المزّورة كان يتنقل دون أن يشك أحد بأنه ارهابي محترف.

○ ومن الشخصيات النسائية التي أقام معها كارلوس صداقة وعلاقة هامة جداً هي السيدة « ماريا نيديادي » في التاسعة والثلاثين في حينه، قانونية من كولومبيا. وقد بدأت صداقتهما في الوسط الكولومبي في لندن حيث تعمل. ولكن هذه العلاقة كانت أقل براءة من علاقته السابقة مع أنجيلا التي تسبب بسجنها عاماً نتيجة علاقته معها وإبقائه حقيبة الأسلحة لديها، لأن « ماريا نيديادي كوبون » كانت عضوة في الأمانة العامة للحزب الشيوعي الكولومبي، وبنفس الوقت تموّل وتزوّد كارلوس وحتى بوفييه « بالمستندات المزيّفة ». وأيضاً ألقي القبض عليها بعد عملية كارلوس وأعلنت أمام المخابرات البريطانية أنها تشترك بالأفكار السياسية مع كارلوس، ولكنها نفت أن يكون لديها علم بأن كارلوس إرهابي محترف لأنها تعتقد بأنه كان يساعد لاجئين سياسيين.

كارلوس عوضاً عن الشهيد بوضيّا :

○ عاش كارلوس في لندن بشخصية مزدوجة : فهو من جهة ارهابي أو مكافح أو فدائي مع منظمة وديع حداد، ومن جهة ثانية كشاب بلاي بوي وبورجوازي نوعاً ما يعيش بجانب والدته الغنية الجذابة. وكان في قرارة نفسه كمن ينتظر لدعوته لحمل السلاح رسمياً عندما اغتيل « محمد بوضيّا » في باريس من قبل المخابرات الاسرائيلية، فتم تعيين كارلوس

خلفاً له حيث كانت لديه كل المواصفات، فقد تدرب في أحسن معاهد التدريب على أعمال المخابرات والعمليات في هافانا وموسكو وبعض البلاد العربية، ولديه علاقات مع الوسط المخملي والدبلوماسي، ويتقن عدة لغات، وبإمكانه التنقل بسهولة تامة في أوربا والشرق الأوسط. وقررت منظمة وديع حداد « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » أن يكون كارلوس رئيساً للعمليات لكونه رجلاً ضارباً، بينما عهدت بالشؤون الادارية إلى شاب لبناني يدعى « ميشال مكربل » ــ والكلمة الأخيرة وهي اللقب تعني باللغة العربية « مغربل » كان يعمل مهندساً للديكور وخبيراً بالمحاسبة والموسيقى، وكان « بوضيّا » قد استخدمه في نقل البريد بين باريس ومقر وديع حداد في بغداد.

كارلوس ومكربل أقاما اتصالاً مع مجموعة من جيش التحرير التركي التي اتخذت مقراً لها في فيللا تقع في منطقة « فيليه مور ــ مارن » وهذه الفيلا شكلت مخبأ جيداً لكارلوس، أودع فيها الأسلحة والذخائر وجعل منها مركز اتصالات، ولكن المخابرات الاسرائيلية « الموساد » أعطت المخابرات الفرنسية علماً للاهتمام بسيارة فرنسية نوع دودج لونها أحمر، فأوقفت السيارة في مودان عند الحدود الفرنسية ــ الايطالية، وتأكد للمخابرات الفرنسية أن ركابها يحملون شحنة من المتفجرات وهم في طريقهم الى الفيلّا قادمين من بلغاريا، قامت المخابرات الفرنسية بالمداهمة في ٢٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٣، وأطلقت النار على الفيلّا وكان بها عشرة أتراك وفلسطينيين وجزائري وسوري، ولكن كارلوس لم يكن بينهم بطبيعة الحال.

○ في شهر حزيران (يونيو) ١٩٧٤ بدأ كارلوس عملياته الفعلية في باريس ففي ليلة ٢ آب (أغسطس) دوّت ثلاثة انفجارات في قلب المدينة، واحدة في (الأرش) وهي صحيفة يهودية، والاثنتان في

الصحيفتين اليمينيتين (لورور) و (مينوت) وكلاهما ذات ميول مؤيدة لاسرائيل.

○ أيضاً عاش كارلوس في باريس عيشة ظاهرها « العاشق الولهان » كما كان في لندن، وأصبحت له عشيقة فنزويلية تدعى (نانسي سانشرز) تدرس علم السلالات في جامعة السوربون، وكانت تملك شقة على الضفة الشمالية من الحي اللاتيني في باريس، وكما هي عادته بحيث لم يكتف بواحدة، فتعرف على انجليزية أخرى ولدت في جنوب افريقيا العنصرية وعمرها اثنان وعشرون عاماً في حينه، واسمها أنجيلا أرمسترونغ (يظهر أنه يحب صاحبات اسم أنجيلا). وقد تعرّف على صديقتها (ماريا تريزا) التي كانت تقيم بنفس الشقة، فأصبحت ماريا هي الحلقة النسائية الوحيدة في شبكة كارلوس التي تعلم حقيقة أمره، أما باقي العشيقات اللواتي أقمن علاقة معه فلم تدري أي منهن عن أعماله شيئاً، وكان لحياته الغرامية جانبها العملي، لأن كل صديقة كانت تؤمن له مخبأ اضافياً.

○ يسكن قرب المخابرات الفرنسية : وقد أمنت له « أمبيرو سيلفا ماسميلا » وهي صديقة كولومبية كانت تعمل في بنك « لليولد » في باريس سكناً طيباً في شقتها الكائنة في شارع « الأنفاليد » في الضفة الشمالية وعلى بعد خطوتين من مبنى « المخابرات الفرنسية » فرع مكافحة التجسس ((.S.D.C.E)).

هل هناك اكثر من كارلوس ؟

○ أصبح من المتفق عليه كما ذكرنا في أول هذا الفصل الوثائقي عن كارلوس بأنه المدعو : إيلتش راميزيز سانشيز، وأنه رجل متعلم ومثقف ويجيد عدة لغات، وقد نجح في تنفيذ عدة عمليات ضد أهداف صهيونية

وغربية، حيث أصبح مطلوباً من جميع قوى « الأنتربول » في دول العالم حتى قام بعمليته الشهيرة لحجز واختطاف وزراء النفط في دول الأوبك التي سنشير إليها لاحقاً، هل يعقل أن يعمد إلى كشف نفسه وإظهار حقيقته وهويته باعطائه رسالة موجهة الى والدته المقيمة في كاركاس الى وزير النفط الفنزويلي « بعد عملية فيينا »، والذي اختار بدوره أن يعلن ذلك في باريس، وأن يسمح للمخابرات الفرنسية بتصوير خط كارلوس للتأكد من شخصيته حسب الملف الموجود لديهم ؟؟

لماذا يكشف كارلوس عن «عنوان عائلته في كاركاس » ؟ ... هل هو بحاجة إلى حامل بريد لإيصال رسالته إلى أمه التي أفشى الوزير الفنزويلي نصفها حيث سمح للمخابرات الفرنسية والمباحث بتصوير « مغلف الرسالة » فقط ورفض طلبهم الاطلاع على الرسالة ؟ بعض النقاد والخبراء في عالم الإرهاب والتجسُّس اكدوا أن هناك الآن كارلوس فلسطينياً، وكارلوس سورياً، وكارلوس لبنانياً، حيث يمكن عملياً استعمال اسم (كارلوس) لكل من يقوم بتنفيذ عملية معيّنة في مختلف أنحاء العالم. ولذلك « صرح » كارلوس الفنزويلي بعنوانه عن عمد وباصرار الى وزير النفط الفنزويلي ليجعل جميع قوى الأنتربول تتبع خطاه التي أصبحت معلنة بينما يكون كارلوس آخر يهيِّئ لضربة جديدة بعيداً عن الأنظار والمراقبة.

أدق التفاصيل عن احتجاز كارلوس لوزراء النفط في فيينا :

○ في يوم من أيام الشتاء في فيينا عاصمة النمسا وهو يوم ١٩٧٥/١٢/٢١ بالتحديد، وهو من أيام الاستعداد لإحياء احتفالات أعياد الميلاد المجيد، والمدينة مكتظة بالآلاف الذين يحضّرون لهذه الليلة العظيمة، وفي غمرة هذه الاستعدادات دخلت الحدود النمساوية الايطالية سيارة تحمل ستة ركاب ومعهم أسلحة مؤلفة من « مسدسات بريتا إيطالية

١٢ ــ مسدسات ماكارف أوتوماتيكية ــ متفجرات بلاستيكية ». لم يبحث هؤلاء الركاب عن أيّ فندق، فقد توجهوا في الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٣٦ إلى البناية المؤلفة من سبعة طوابق والتي تستعمل مقراً لمنظمة الأوبيك « الدول المصدرة للنفط »، وصعدوا الى سطح هذه البناية من مدخل الطوارئ وليبدأوا حصار هذا المبنى الذي يعقد فيه وزراء النفط (في حينه) مؤتمرهم.

○ قفز الرجال الستة بسرعة الى الممرات شاهرين أسلحتهم الأوتوماتيكية وأرغموا الحراس على الاختباء في إحدى الصالات. سقط من الحراس ثلاثة قتلى عندما حاولوا المقاومة :

ــ مفتش البوليس النمساوي أنطوان بتشلر.
ــ موظف أمن عراقي اسمه : علي حسن صالح القفاري.
ــ موظف أمن ليبي اسمه : يوسف أسمرلي.

○ أما المهاجمون الستة فهم :

ــ قائدهم إيليش « كارلوس ».
ــ الألماني الغربي « هانس كلاين ». الذي سقط جريحاً في حالة الخطر الشديد، وهو عضو من جماعة « بادر ــ ماينهوف » الإرهابية في ألمانيا، وهانس نفسه كان سائق لجان بول سارتر الفيلسوف الفرنسي المعروف عندما زار « بادر » رئيس المنظمة الارهابية في سجنه بشتوتغارت لكي يطلع على الشروط الانسانية والصحية التي يعيش فيها.

ــ فتاة ألمانية غربية « لم يكشف عن اسمها حماية لها ».
ــ عربيان « لم يكشف عن اسميهما حماية لهما ».
ــ شاب من أمريكا الجنوبية « لم يكشف عن اسمه أيضاً حماية له ».

○ المعركة بالرصاص في بناية الأوبيك بينهم وبين الحراس استغرقت عشرين دقيقة منها عشر دقائق فقط لاحتلال المبنى.

○ فوجئ وزراء النفط ومساعدوهم بالرصاص ينهمر فوق رؤوسهم فانبطحوا أرضا[1]. اثنان منهما حوصرا بشكل شديد وهما :

ــ الشيخ احمد زكي اليماني ــ وزير النفط السعودي.
ــ جمشيد أموزيغار ــ وزير الداخلية الايراني.

○ في خارج المبنى حضرت قوات كبيرة من شرطة مكافحة الشغب النمساوية وهي مزوّدة بالأسلحة الأوتوماتيكية وقنابل الغاز. لم يستطيعوا القيام بأي تحرك خشية إصابة المحاصرين بسوء.

○ اتضح بعد إحصاء دقيق أن كارلوس وجماعته بين أيديهم « سبعون رهينة » هم ١٢ وزيراً من البلدان الغنية المنتجة للبترول، ومعهم رجال من أغنى أغنياء العالم كانوا يجلسون حول طاولة مستديرة حسب الترتيب الأبجدي ووسط الأعلام الوطنية لدولهم ليناقشوا أسعار البترول .. المادة الرئيسية التي تحرك العالم.

○ كارلوس، قسّم الرهائن الى أربعة أقسام :
١ ــ المملكة العربية السعودية، ايران، أبو ظبي، قطر،
٢ ــ ليبيا، الجزائر، العراق، الكويت.
٣ ــ الغابون، نيجيريا، الاكوادور، فنزويلا، أندونيسيا،
٤ ــ النمسا.

○ المستشار النمساوي « برونو كرايسكي » عندما علم بالعملية اضطر أن يعود حالاً من المانيا الغربية حيث كان يقوم بزيارتها لتمضية

---

(١) تذكرني كلمتي « انبطحوا أرضاً » بحادثة جرت معي في بيروت في أوائل ابتداء الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ حيث اضطرني إطلاق النار أمام محطة بنزين « عز » في منطقة البربير عندما كنت انتظر بالطابور للحصول على خمس ليترات من البنزين للهرب بسيارتي الفيات التي « سرق » منها البنزين، الى دمشق معقل العروبة للانبطاح أرضاً والزحف خوفاً حوالي عشرة أمتار حتى تمكنت من الفرار بسيارة تكسي الى دمشق مخلفاً ورائي ثروة العمر في بيروت.

عطلة عيد الميلاد مع عائلته، ووضع أمام عينيه « هدفاً » هو تجنُّب وقوع ضحايا آخرين وخاصة من الوزراء الضيوف والخروج من هذا المأزق بسلام، وتجنب أية كارثة.

○ هدأت النفوس قليلاً وبدأت المفاوضات لمعرفة طلبات كارلوس، كان السفير العراقي في فيينا واسطة بين المستشار النمساوي « رئيس الدولة » وكارلوس،

○ ٣٦ ساعة من المفاوضات ٢٤ منها في فيينا و ١٢ ساعة في الجزائر.

مطالب كارلوس لاطلاق وزراء النفط أغنى الرهائن في العالم :

○ على أثر المفاوضات مع كارلوس كانت مطالبه الثانية تنحصر في ثلاث نقاط :

○ **أولاً** : قراءة اعلان سياسي باللغة الفرنسية يبث من راديو فيينا يتضمن ما يلي :

١ ــ عدم الاعتراف بالدولة المعتدية الصهيونية « اسرائيل ».

٢ ــ إدانة أي صلح أو معاهدة معها.

٣ ــ إدانة اتفاقية سيناء وادانة فتح قناة السويس للسفن الاسرائيلية.

٤ ــ إدانة مؤتمر جنيف.

٥ ــ تشكيل « الجبهة الشرقية » من دول عربية والمقاومة الفلسطينية لتصعيد حرب التحرير الشاملة.

٦ ــ العمل على تحقيق الوحدة العربية المنشودة.

٧ ــ السيادة الكاملة المطلقة على الثروات المالية والبترولية، وتأميمها ووضعها في خدمة الشعوب العربية.

٨ ــ اتخاذ موقف واضح من الحرب الأهلية في لبنان.

○ **ثانياً** : حصولهم على حبال نايلون ومقصات.

○ **ثالثاً** : طائرة تنقلهم الى الجزائر « جرى اتصال مع الحكومة الجزائرية ».

○ **رابعاً** : أوتوبيس أرضي. لنقلهم للمطار مع الضمانات الأمنية.

○ نهار ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) اتصل الرئيس النمساوي المستشار كرايسكي بالرئيس الجزائري « الراحل » هواري بومدين، وأعلمه قبوله طلبات كارلوس حرفياً، وأنه أمر بإذاعة بيانه « المذكور أعلاه » من الراديو النمساوي.

وعلى طائرة خاصة « دي ــ سي ــ ٩ » أخذ كارلوس ٤٢ رهينة بعدما أفرج عن ثلاثين رهينة في فيينا، وبعد ساعتين ونصف وصلت الطائرة الى الجزائر العاصمة وهناك أفرج كارلوس عن الرهائن المحايدين وأبقى على ١٥ محتجزاً تحت التهديد بنقلهم الى طرابلس أو دمشق أو بغداد في حال تعثُّر المفاوضات.

○ لم يستطع المفاوضون الجزائريون حسم موضوع طلب كارلوس مبلغ خمسين مليون دولار فدية، فأقلعت الطائرة بأمر من كارلوس شخصياً ومع بقية الرهائن ومنهم الوزراء الى طرابلس / ليبيا. وهناك عاد للتفاوض من أجل الحصول على الفدية لتقديمها للمقاومة الفلسطينية، ومن طرابلس أعطيت الأوامر بدفع الفدية لهم، فعادت الطائرة إلى الجزائر وقبض كارلوس الفدية وأطلق الرهائن مساء ونام مع رفاقه ملء جفونه في فندق مطار الجزائر الدولي وهو آمن وبحراسة رجال الأمن الجزائريون الذين عومل وزيرهم معاملة خاصة أثناء العملية، وفي صباح ٢٣ كانون الأول تناول « إيليش » كارلوس مع رفاقه طعام الفطور « الترويقة » في مطعم مطار الجزائر الدولي.

بعد أن استراح عامين. قنابل إلى وزير الداخلية الألماني :

○ بعد عملية وزراء النفط استراح كارلوس حوالي العامين « استراحة المحارب »، لاسيما وقد قبض فدية بالملايين. ولا نعلم ما دفعه منها للمنظمات الفدائية وما احتفظ به لنفسه باعتباره صاحب القرار في هذه الأمور. وقد عاد اسمه إلى التألق والظهور، عندها أعلنت دوائر المخابرات الألمانية الغربية أن كارلوس الذي تعتبره « أخطر إرهابي في العالم كله » أرسل الى المجلس التنفيذي الحاكم لمدينة برلين الغربية رسالة باللغتين العربية والفرنسية موقعة باسم « منظمة الكفاح العربي » تشير إلى أن المنظمة سوف تنتقم للجريمة التي ارتكبتها شرطة برلين الغربية في ليلة عيد الميلاد عندما تسببت بمقتل ستة من الموقوفين الأجانب، بينهم ثلاثة من العرب وهم فلسطينيان وشاب من تونس، حيث تركوا يحترقون داخل زنزانتهم التي شبّت فيها النيران بدون أن تمدّ لهم يد العون والمساعدة، رغم ما لديها من أجهزة فنية لمكافحة الحريق. أما كاتب الرسالة حسب معلومات المباحث والمخابرات الألمانية الغربية فهو « كارلوس » الذي أرسل الرسالة من برلين الشرقية عندما مرّ بها. وقد خمّنت المخابرات والمباحث الألمانية بعد ذلك أن كارلوس يخطط للقيام بالعديد من العمليات داخل المانيا الغربية وقد نفذ منها بعد ذلك :

ــ وضع قنبلة موقوتة انفجرت داخل القنصلية الفرنسية في شارع « كور فورستين دام » ببرلين الغربية أدت الى مقتل وجرح العديد من المراجعين من قبل كارلوس. وقد ظنت السلطات لفترة من الوقت أن هذه العملية من تدبير الجيش الأرمني السري، ولكن كارلوس أراد كما يبدو أن يوقف البحث الخاطئ للمباحث والمخابرات عن الرجل الوهمي الذي كانت تبحث عنه معلناً مسئوليته عن الحادثة.

○ والرسالة الثانية التي أعلنت المخابرات عن وصولها قد جرى

إرسالها من مدينة جدّة بالمملكة العربية السعودية وجاء فيها : « باسم قيادتنا المركزية نعلن أن هذه العملية هي جزء من كفاحنا المسلح الذي أرغمتنا تصرفاتكم على خوضه ضدّكم » وقد أضاف كارلوس الى رسالته « خارطة » للعملية مع بضع التوضيحات الأخرى المتعلقة بالعملية من أجل إزالة أي شك في كونه الرجل المسؤول عن ذلك كله.

وعلى الرغم من أن كارلوس لم يذكر اسمه، إلا أن المحققين أكّدوا صحة الخط والمعلومات، وهذه الرسالة كانت موجهة الى وزير الداخلية الألماني الغربي شخصياً عبر السفارة الألمانية في جدة. وهذا نص الرسالة : « معالي الوزير فريدريش تزيرمان المحترم ... إن عملية برلين الغربية كانت تحذيراً لكم للابتعاد عن الأعمال التي قام بها سلفكم ضد منظمتنا. ونحذر بنفس الوقت من مواصلة محاكمة « غابرييلا تيدمان » بتهمة اشتراكها مع جماعتنا في مهاجمة مؤتمر وزراء النفط في فيينا، لأنها لم تكن معنا في تلك العملية مطلقاً ». وكانت عملية خطف وزراء النفط من أهم العمليات التي قام بها كارلوس حتى الآن كما ذكرنا. وتتهم دوائر المخابرات والمباحث والتحقيق غابرييلا المعروفة باسم « نادا » باشتراكها مع كارلوس بالعملية، وأنها هي التي أطلقت النار على اثنين من حراس مبنى الأوبيك وقتلتهما.

وعلى أية حال فإن سلطات الأمن في ألمانيا الغربية نظرت بكثير من الجد الى الانذار الذي وجهه كارلوس والذي قال فيه إنه يمثل « ذراع الثورة العربية » حيث أصبحت المخابرات الغربية في حيرة من أمرها ازاء هذا الرجل الذي اعتبرته « اسطورة » فتتناقل هذه المخابرات الاخبار والتقارير عنه، فتارة تشير الى مشاهدته في بيروت، وأخرى في القاهرة، ومرة في برلين، ثم يشاهد في المكسيك أو في ليبيا. وقد انطلقت إشاعة أنه يقيم في جزيرة سوقطرة التابعة لليمن الديموقراطية يتدرب ويحضر عملية كبيرة، ولكن إرساله الرسالة المعروفة لوزير داخلية ألمانيا الغربية من

جدة أكد أنه موجود بالمملكة العربية السعودية، ولكن المعلومات التي تمتلكها المخابرات تقول أن كارلوس لا يزال يخطط لجميع عملياته من باريس حيث يقيم فيها حاملاً مختلف الأسماء وجوازات السفر.

والدليل على وجوده في باريس هو قيامه مع الألماني يوهانس فاينريش (اسمه الحركي : ستيف) بمهاجمة إحدى طائرات « العال » الاسرائيلية بالصواريخ في مطار أورلي، وبعد ذلك قامت الشرطة الفرنسية باعتقال المصوّرة الفوتوغرافية الألمانية « ماجدولينا كوب » والنمساوي « برونو بريفويه » بعد مطاردة طويلة. وكدليل آخر على وجود كارلوس في باريس، فقد وجه الانذار الآتي إلى الحكومة الفرنسية من عقر دارها ــ (مع الاعتذار من الفنانة القديرة شويكار). « ما لم يتم اطلاق سراح المعتقلين خلال شهر واحد فإنه سوف ينتقم لهما ». ولكن الحكومة الفرنسية قدمتهما إلى القضاء. وقبل دقائق من بدء المحاكمة انفجرت قنبلة أمامها أدت الى مقتل شرطي واحد وجرح ٦٣ آخرين « وضعها كارلوس بالطبع ».

ويبدو أن المخابرات الغربية لم تتوصل إلى معرفة الدوافع الحقيقية التي كان يقوم بها كارلوس رغم أنها ذات دوافع سياسية موجهة، وهو أمر لا يشك أحد به مهما كان الموقف الذي يتخذه من كارلوس والنشاط الذي يقوم به. ومع ذلك فإن حكومة بون لم تستطع التنازل أمام تهديد كارلوس « رغم تخوفها من الانذارات الموجهة لها ». أما غابرييلا تيدمان التي كانت تقبع في أحد السجون النمساوية فقد التزمت الصمت، فتمّ تسفيرها الى كولون في المانيا الغربية حيث مثلت أمام المحكمة. أي أن رسالة التهديد من كارلوس لم تترك أي أثر على القضية.

وهذا هو نص رسالة كارلوس الموجهة الى وزير داخلية المانيا الغربية « الثانية » : « معالي السيد وزير الداخلية ــ بون ــ إن السيدة غابرييلا كروشر تيدمان، التي لم تكن في يوم من الأيام عضواً في منظمتنا، سوف

يتم تسفيرها بطلب من جمهورية المانيا الاتحادية للشك في مشاركتها في عملية الهجوم على مقر الأوبك في فيينا بتاريخ ١٩٧٥/١٢/٢١، كل اجراء قضائي أو إجراء من قبل الشرطة ضد السيدة تيدمان (أو أي شخص آخر) بتهمة وجود علاقة مفترضة أو فعلية بنشاطات منظمتنا سوف يعتبر عملاً عدائياً ويؤدي بالتالي الى تقديم الردود المناسبة عليه ».

هل كانت هذه الرسالة في صالح السيدة تيدمان؟ أبداً. فقد صرح محامو الدفاع أن تدخُّل كارلوس في هذه القضية أدى الى اثارة المزيد من الشكوك حول حقيقة اشتراك غابرييلا في عملية الأوبك. المحاكمة جرت في وقتها المحدد ولكن القضاة كانوا خائفين، وقد أمرت رئاسة المحكمة باستبدال زجاج المحكمة بزجاج آخر ضد الرصاص.

أما كارلوس، من جهته، فلم يقم هذه المرة بمهاجمة المحكمة، وهذا يعني أن على حكومة المانيا الغربية أن تنتظر الرد في أيّ مكان آخر.

نشاط كارلوس وبعض صفاته وأعماله :

○ لجأ كارلوس الى استراحة ثانية حتى شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧٥ حيث أشرف بنفسه دون أن يشارك على عملية احتلال السفارة الفرنسية في لاهاي، فقام ثلاثة يابانيين أعضاء في الجيش الأحمر الياباني باحتجاز السفير الفرنسي وعشرة أشخاص آخرين رهائن في السفارة، واقتصرت مطالبهم على افراج السلطات الفرنسية عن الياباني « ياكاتو فوياكا » الذي كانت المخابرات الفرنسية قد اعتقلته من مطار أورلي قبل شهر من تاريخه. طالت المفاوضات، فتخوف كارلوس من فشل العملية فقرر تحريك القضية، وعاد الى باريس فوراً حيث ألقى قنبلتين يدويتين في أحد مقاهي بولفارسان جرمان، مما أدى الى مقتل شخصين. وأرسل بعدها رسائل الى المسؤولين الفرنسيين يهددهم بالقيام بعمليات أخرى ما

لم يتم الإفراج عن رفاقه في لاهاي، استجابت الحكومة الفرنسية وأطلقت المخابرات الفرنسية سراح الياباني ياكاتا في فرنسا وأُطلق الباقون في لاهاي مع الرهائن.

○ المرة الوحيدة التي تعرض فيها كارلوس للاعتقال حين اعتقلت المخابرات الفرنسية اللبناني ميشال مكربل /مغربل / بتهمة المشاركة في احدى العمليات الارهابية. ونتيجة التحقيقات معه حيث اشتركت عناصر عديدة من المخابرات والمباحث والأمن في تعذيبه بمختلف أنواع أدوات التعذيب التي بطلت منذ العصور الوسطى. فاضطر الى الاعتراف تحت التعذيب عن عنوان الشقة التي يقيم فيها كارلوس.

وفي صباح ٢٧ حزيران (يونيه) ١٩٧٥ كادت المخابرات الفرنسية أن تقبض على كارلوس لولا حنكته وخبرته وسرعته في اطلاق النار. توجهت مفرزة من المخابرات الفرنسية ومعها ميشال مكربل. طرق ميشال باب شقة كارلوس فشاهده الأخير من منظار الباب المكبّر ولم يشاهد عناصر المخابرات التي دفعت ميشال ليظهر أمام منظار المنزل. فتح كارلوس الباب فدخل ثلاثة عناصر الى المنزل بينهم ميشال ولم يعرف عنصرا المخابرات الفرنسيان أن كارلوس نفسه هو الذي فتح لهم الباب، وبعد حوار قصير سحب كارلوس مسدسه « بسرعة فائقة » حسبما تدرَّب مع دورات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فقتل الثلاثة باعتبارهم مهاجمين ودخلوا منزله بما فيهم ميشال مكربل رفيقه وصديقه حيث اعتبره « خائناً » قبل أن يعلم الأسباب القاهرة والتعذيب المبرح الذي تعرض له.

○ حين ركب الطائرة من فيينا إلى الجزائر برفقة ١١ وزيراً للنفط أخذهم كرهائن وكان منهم وقتئذٍ وزير النفط السعودي أحمد زكي اليماني المعروف برصانته الذي قال عن كارلوس : « إن كارلوس شاب يتمتع بذكاء فائق، ولديه قدرات هائلة تسمح له بالتحرك بسرعة ومواجهة

كل ما هو غير منتظر، واتخاذ المبادرات التي تنتشله من المآزق التي تواجهه ».

○ عام ١٩٧٦ اكثر الحديث عن نشوب خلاف بينه وبين وديع حداد المسؤول في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. حين كانت هذه الخلافات قد بدأت بالظهور أيضاً بين حداد والأمين العام للجبهة د. جورج حبش. وقيل يومها ان كارلوس قد تقاعد عن العمل وقرر وقف أعماله. لكن الوقائع أثبتت العكس تماماً. لأن كارلوس لم يظهر أي نية في وقف أعماله الارهابية المتواصلة. إضافة الى ذلك ظهر تحوّل في مواقفه من الاتحاد السوفياتي؛ فقد صرح في حديث صحفي وحيد مع الصحفي السوري عاصم الجندي أجراه معه عام ١٩٧٩ قال له ضمن الحديث : « لم يعد في نظري أي فارق بين الدولتين الجبارتين، رأسمالية كانت أم شيوعية، وابتداء من اليوم « أي حين اجراء الحديث » لم يعد هناك سوى صراع واحد هو الصراع بين المضطهدين والامبرياليين. أنا ماركسي ثوري وواجبي يفرض عليّ تقديم الدعم لكل الثورات. وهذا ما يبرر نشاطي ونضالي ».

○ بعد هذه الفترة حصلت عدة عمليات اعترف كارلوس بمسؤوليته عن عملية البيت الفرنسي في برلين الغربية، وعملية نسف محطة سان شارل في مرسيليا وعملية نسف أحد القطارات السريعة داخل فرنسا عشية عيد رأس السنة.

○ وأخيراً أين أصبح كارلوس « إيليتيش راميريز سانشيز » الشاب الفنزويلي المغامر النشيط ؟ هل توجه من باريس الى الشرق الأوسط ؟ هل عمل على اجراء عملية تجميلية في وجهه غيّرت في تقاسيمه ؟

○ الشيء الأكيد أن « كارلوس » مازال طليقاً، وقادراً على الانتقال من بلد لآخر وبسهولة تامة ويستطيع القيام بالعمليات الخارقة ضد

المصالح الصهيونية والأمبريالية ومساعدة جميع الثورات كما صرح في حديثه الصحفي. وهو كعادته قد يفاجئ الجميع بعملية جديدة « تحيِّر » المخابرات الغربية وتربكها.



كارلوس في الجزائر ١٩٧٦

كارلوس مع والدته على اليسار وصديقته في لندن.



قناص ايطالي بانتظار كارلوس.





مشاهير العالم

المهرّب الكبير

سامي الخوري..؟

«؟؟؟»



ساحر النساء.

عميد المهرّبين.

مُغامراته.

إختفاؤه الغامض.

هل يظهر في فنزويلا.

من هو سامي الخوري الاسطورة وشاغل الدنيا :

○ بهذا العنوان نبدأ عرض قصة سامي الخوري اللبناني الطيب الذي يحق له أن يكون في كتابنا هذا أول المشاهير في العالم، وليس لبنان فقط لولا اعتبارات للقصة فقط. ونعود لنتساءل مع القارئ ...

من هو سامي الخوري الذي شغل الشرق الأوسط بقصصه وغرامياته ومغامراته سنوات عديدة حتى أصبح الشغل الشاغل لمنظمة الأنتربول العالمية « البوليس الجنائي الدولي » في حينه ؟

من هو هذا الشاب اللبناني المغامر « أغلب اللبنانيين يحبون المغامرة وتجدهم أمامك في جميع دول العالم » ؟.

من هو هذا المغامر الذي له في كل سفارة من سفارات دول العالم ملف ضخم يتحدث عن العمليات التي قام بها ويمارسها ؟

من هو الذي أطلقت عليه الصحافة المحلية والعالمية لقب « ملك المخدرات » و « المهرب الكبير »، ورجال البوليس والجمارك والأمن العام يلاحقون أخباره وتحركاته في كل بلد يدخل إليه، وأحاديث وقصص تُروى عنه حتى شكلت اسطورة عن مغامر من الشرق قام بعمليات تهريب يعجز الخيال عن وصفها، حتى علمنا أنه دخل أو قام بزيارة لجميع أو

أغلب سجون العالم وكان يخرج في كل مرة بريئاً، وسجله العدلي يؤكد حقيقة ناصعة بأنه « غير محكوم » رغم مغامراته الكبرى.

ويستمر السؤال : ما هو سر هذا الشاب اللبناني الأسمر الهادئ، الذي لم يترك بلداً زاره إلّا وأحدث فيه عاصفة من الأسئلة الغامضة.

والجواب يأتي في قصتنا هذه عن المشاهير تقريبياً وحسبما استطعنا الحصول عليه من مختلف المصادر القانونية والادارية والصحفية. فسامي الخوري الذي شكل كما ذكرنا اسطورة في عالم التهريب يظهر للوهلة الأولى بريئاً متواضعاً ذكياً لبقاً خصوصاً مع النساء حيث كان يدخل القلب رأساً كما سنرى من قصته هذه.

إن مظهره لا يدل على أنه مهرب .. فهو بريء في حديثه، وكان في ساعات معينة من فراغه يلهو كالأطفال. يمازح سائق سيارته .. ويلهو على التلفون مع أصدقائه ويدبّر لهم المقالب الصبيانية شكله العام معتدل القامة .. يتلعثم في الكلام أحياناً .. أنيق إلى درجة الافراط. كان يملك أكبر مجموعة من ربطات العنق .. ويغيّر ملابسه ثلاث مرات في اليوم .. ويأكل قليلاً من الطعام وبسرعة على الطريقة العسكرية. ولا يتناول طعامه في مطعم أو دعوة إلّا إذا اشرف سائقه ومرافقه الخاص ميشال مدوّر على إعداد الطعام بنفسه له .. كان يقتني عدة سيارات دفعة واحدة. وأحياناً كان لا يتمكن من شراء سيارة واحدة. وهو إلى جانب ذلك جريء هادئ الطبع لا يميل الى العنف، ولم يحمل مسدساً إلا في آخر أيامه وللضرورة فقط. وإن كان له العديد من الأنصار والمرافقين المسلحين.

كان سامي الخوري مؤمناً، يذهب كل نهار أحد الى الكنيسة، ويحترم إرادة والديه كثيراً. وقد نقل ملكية بنايته في بيروت وأرضه وأرزاقه في زحلة لاسم والده ووالدته بالتساوي لأنه كان باراً بهما، وله صداقات عديدة في لبنان وأوربا، وهو يختار أصدقاؤه من الطبقة الراقية، ويتقن اللغتين الفرنسية والانكليزية، وقليلاً من اللغة الايطالية.

كان يميل في حياته الى المرح واللهو، فهو يحب النكتة، ويهوى معاشرة النساء الجميلات، ويفضل أن تكون مَنْ يعاشرها من الطبقة والأوساط العليا. ولكنه لم يحب بالفعل « سوى المغنية الفرنسية ماريا فانسان » التي تزوّجها فيما بعد ورزق منها بابنة سماها « وديعة » تيمناً باسم والدته. في أحسن حالاته وفي عز عمليات التهريب كان مصروفه اليومي بين الألف والخمسة آلاف ليرة لبنانية يوم كانت الليرة اللبنانية لها قيمتها الشرائية في حينه. وعلم أنه كان في أوج عطائه في عمليات التهريب كان يقدم المساعدة والمصروف إلى ١٥٠ عائلة في زحلة وضواحيها.

وكان سامي الخوري يهوى المطالعة، وفي الأيام العادية يقرأ ثلاث ساعات في النهار، ويطالع جميع الصحف العربية والفرنسية، ويهوى قراءة كتب المغامرات البوليسية، وقد خصص في مكتبته زاوية خاص للكتب التي تعني بعلم النفس. اكتسب ثقافته من الحياة والمطالعة، لأنه ترك المدرسة من الصفوف الابتدائية، كما أتم التحدُّث باللغة الفرنسية « تأسس بدراستها من مدرسة صربا » من معاشرته للناس المثقفين، ومثلها اللغة الانكليزية، وأخيراً المامه ببعض اللغة الايطالية. وكان يقول ان مدرسة الحياة هي الجامعة الكبرى التي تبلور شخصية الانسان وتصقل مواهبه وتنميها.

هذه لمحة موجزة عن سامي الخوري الاسطورة الذي اعتبرناه حسب موسوعة المشاهير في العالم بالدرجة الثانية لأن الدرجة الأولى اكتسبها الملياردير عدنان الخاشقجي عن جدارة كما قرأتم في قصته السابقة.

ولادة سامي الخوري وبدايته الجريئة :

○ ولد سامي الخوري عام ١٩٢٩ في زحلة من أب يدعى سليم الخوري ووالدة تدعى وديعة في منزل قرميدي يطل على السهول الخضراء

التي تتدلّى فيها ومنها أغصان قصب الحشيش. ونشأ سامي في منزل جعل منه والده مركزاً لتجار المخدرات وزرّاعها .. وما إن أبصر النور حتى بدأ يشاهد وجوهاً غريبة عن منطقته تتحدث عن التهريب والمخدرات والمغامرات. حيث كانت زراعة الحشيش مباحة للجميع في تلك الأثناء بالبقاع .. وكان أهالي المنطقة يعتاشون من هذه الزراعة التي تعتبر المورد الرئيسي لهم. وكان سامي الصغير يستمع الى أحاديث المغامرات باهتمام ولذة.. كان يتسلل ليلاً من فراشه لكي يستمع إلى الأحاديث التي تجري بين والده وبين كبار المهربين. كان الأب يريد لابنه أن ينشأ مواطناً صالحاً وبعيداً عن عالم التهريب والمخدرات .. فأدخله الى المدرسة الابتدائية في زحلة، ولما بلغ من العمر ١٢ عاماً نقله الى مدرسة الفرير في صربا قرب جونيه حيث ودعه وقال له : يجب أن تتعلم حتى تصبح محامياً لامعاً.

شعر سامي أنه غريب عن جو المدرسة الداخلية .. وأنه بحاجة إلى مَنْ يتحدث إليه عن المغامرات والتهريب، كما كان يفعل في زحلة. فانزوى في غرفته وأخذ يفكر : ماذا يفعل ؟ هل يَهرب من المدرسة ويعود إلى زحلة ؟ وأخيراً اختمرت الفكرة في خياله، لكنه لم يستطع الهرب بفضل الحراسة الشديدة فطلع بفكرة جهنمية عوضاً عن الهرب، فأنشأ عصابة من طلاب المدرسة أمثاله سماها « عصابة الكف الأسود »، وتزعمها رغم صغر سنه وسمى نفسه بـ « الديك »، وعلّم أفراد العصابة أن يحييوه برفع الأيدي على الطريقة الهتلرية « هاي هتلر »، وكان يصيح برفاقه : « هتلر العظيم في ألمانيا .. ونحن هنا في لبنان » حتى استدعاه المدير وأنّبه، وطلب إليه الانتباه الى مستقبله قائلا : بدنا ياك تنجح وتبيِّض وجه البابا. ولكن سامي على العكس انتظر حتى انتصف الليل فقام بخلع باب المدرسة والحراس نيام، وركض مسرعاً على الطريق العام ودفع بعض الليرات الخرجية التي كان يحتفظ بها الى احد سائقي السيارات فنقله الى بيروت.

وفي اليوم التالي عاد الى زحلة ودخل منزله وقبّل يد والده بخشوع وقال له بصراحة وخوف : لقد هربت من المدرسة يا بابا. فنظر إليه والده بأسى وقال له : لماذا فعلت ذلك أيها الأحمق ؟ أجابه الفتى : إني أشعر بأني لن أتعلم ولن أفتح كتاباً. فصفعه والده على وجهه وأعاده في اليوم التالي الى المدرسة الداخلية في صربا. وفي نفس الليلة التي عاد بها لم يستطع النوم فخرج الى باحة المدرسة ثم قفز عن السور .. وراح يركض من جديد حيث تمكن من العودة الى زحلة، ووضع والده تحت الأمر الواقع بهروبه للمرة الثانية من المدرسة الداخلية في صربا فتركه والده مرغماً ليتيه في شوارع زحلة يستمع إلى قصص المهربين ومغامراتهم حتى بلغ من العمر ١٣ عاماً فبدأ يقلد كبار المهربين في أحاديثهم وطرق حياتهم، وكلما شاهد مجموعة من المهربين في مكان ما ينضم إليهم .. ويصغي إلى أحاديثهم بشغف واهتمام. وأحياناً كان يشترك معهم في وضع الخطط وكأنه خبير في عالم التهريب.

وأصبح له صداقات بينهم فينصتون إلى رأيه ولم يعد الفتى المراهق يتحدث سوى عن التهريب، حتى أصبح يشعر أنه أكبر من عمره بكثير حيث تجرأ في إحدى الأمسيات وقال لوالده : أبي أريد أن أتحدث معك .. فتعجب والده أشعل لفافة من التبغ وقال له : ماذا يشغل أفكارك يا سامي ؟ أجاب الولد الجريء وهو يتوسل إليه : هل تسمح لي أن أشترك معك في التهريب يا بابا. أجابه الوالد بتعجب : أنت ما تزال صغيراً يا سامي وأيضاً لا أريدك أن تختار هذه الطريق الشائكة الصعبة، لم يستسلم سامي ولم يهدأ وبقي الحلم يراود خياله.

كان لبنان في حينه تحت سيطرة الاستعمار والفرنسي، وكانت مدينة زحلة تعتبر مركزاً هاماً من مراكز التهريب وكان يعمل حوالي مائتي شاب زحلاوي في تهريب المخدرات إلى فلسطين التي كانت أيضاً تحت الانتداب البريطاني. وذات يوم كان سامي يجلس على ضفاف البردوني

فشاهده أحد المهربين وقال له : أسرع يا سامي وقل لأبيك ان رجال الدرك « كان رجال الدرك من اللبنانيين الموظفين لدى السلطات الفرنسية » صادروا له بغلاً محملاً بالمخدرات مع أحد أعوانه. نظر سامي الى المهرب وقال له : قل لي أين ضُبطت المخدرات ؟ قال له المهرب : في الجبل أسرع وقل لوالدك.

انطلق سامي الى الجبل عوضاً من أن يخبر أباه، حتى وصل إلى المكان الذي صودرت فيه المخدرات على البغل، فاقترب من رئيس الدورية، وقال له بجرأة متناهية : سيدي سيدي. هل تسمح لي بكلمة ..

نظر رئيس الدورية إلى الفتى ابن الـ ١٤ عاماً وقال له بلهجة ساخرة : ماذا تريد ؟ ومن أنت أيها الولد ؟

اقترب سامي من رئيس الدورية وقال له بصوت خافت : أنا سامي الخوري ابن صاحب المخدرات هذه.

نفخ رئيس الدورية صدره وقال له : اذن أنت مهرب صغير أيضاً ..

فسكت سامي واستجمع شجاعته وقال لرئيس الدورية : سيدي نحنا عائلة الخوري منعجبك فلماذا لا نتفاهم على خير :

ــ أجابه رئيس الدورية : على ماذا تريدني أن أتفاهم معك ؟

ــ همس سامي في اذنه كالكبار : ماذا ستستفيد لو صادرت المخدرات ؟

ــ أجابه رئيس الدورية : إنها مواد ممنوعة لأنها سامة ومدمرة للنفس.

ــ ابتسم سامي وقال لرئيس الدورية : أنت تعرف يا سيدي بأن تهريب المخدرات يجري علناً في جميع أنحاء المنطقة. عند ذلك رفع رئيس الدورية صوته قائلاً : لقد صادرنا المخدرات وانتهى الأمر.

نظر سامي بأسف ظاهر الى المخدرات المصادرة وقال لرئيس الدورية :

ـــ ما رأيك لو تركتنا نستفيد وأنت تستفيد؟

ـــ قال له رئيس الدورية : إنك تتكلم كالرجال رغم صغر سنك.

ـــ أجابه سامي الخوري : أنت يا سيدي انسان طيب، ولا شك بأنك رب عائلة، وراتبك لا يكفي حاجاتك الضرورية. فما رأيك لو قبضت منا مبلغاً محترماً من المال لتشتري به ما يلزم أطفالك لقاء الإفراج عن المخدرات.

ـــ ابتسم رئيس الدورية للفتى الجريء وسأله : ولكن من أين تأتي بالمال أيها الصغير ؟

ـــ أجابه سامي وهو لا يزال ينظر إلى المخدرات بأسى : الأمر بسيط سأتوجه إلى منزل الأهل في زحلة، وأحضر لك المال ولن أتأخر أكثر من نصف ساعة.

فكبرت ابتسامة القبول على فم رئيس الدورية وقال : اتفقنا .. اذهب بسرعة وأحضر المال .. لنرى ..

فعلاً لم يتغيب سامي كثيراً .. ولما دفع المال إلى رئيس الدورية حسب الاتفاق شعر بنشوة النصر حيث أفرج عن المخدرات وساق البغل المحمَّل بها أمامه قائلاً لرئيس الدورية : كل تهريبة وأنت بخير.

أما والده فكان فخوراً به كثيراً عندما وصل ومعه المخدرات، ولأول مرة قبّله بإعجاب وقال له : بالأول كنت أريد أن أقف في طريقك .. ولكني الآن أسمح لك بالعمل معي ومعاونتي حيث أثبتت جدارتك. فوقف بجانب أبيه قائلاً له : فعلاً أريد أن أبقى بجانبك يا أبي.

كان سليم الخوري يرسل المخدرات الى فلسطين التي كانت تحت الانتداب البريطاني، حيث قامت السلطات البريطانية بشن حملة عنيفة على التهريب الحاصل عن طريق لبنان ـــ فلسطين حتى قضت عليه تقريباً.

فكان سليم الخوري من جملة المهربين الذين انشلت حركتهم وتوقفت أعمالهم فظهر الحزن عليه.

عند ذلك علم سامي أن والده سبق أن أرسل إلى فلسطين مخدرات بقيمة ١٣ ألف ليرة لبنانية، ولكنه لم يتمكن من قبض ثمنها بعدما انقطع كل اتصال بينه وبين عملائه الذين استلموا البضاعة المحرمة « الحشيشة » فصمم أن ينقذ والده فطلب منه أن يوافق على سفره الى فلسطين لتحصيل المبلغ من العملاء.

ــ حدّق الوالد سليم الخوري في وجه ابنه وقال له : هل أنا مجنون كي أتركك تسافر الى فلسطين بدون جواز سفر.

ــ أجابه سامي بعزم وتصميم : أنا سوف أتسلل عبر الحدود الفلسطينية بدون جواز « خلسة».

ــ أجابه والده : مش معقول.. لن أخاطر بك مهما كانت الظروف.

ــ قال سامي : وهل تترك مالك مع الغرباء ؟

ــ قال الوالد : ماذا أفعل لو قضوا عليك ؟

ــ أجابه سامي : لا تخف يا والدي، فقد أصبحت رجلاً أعرف كيف أتدبّر أمري.

ــ اقتنع الوالد وقال لسامي : خير إن شاء الله. موفق. اني أدعو لك بالتوفيق.

أول سفرة إلى فلسطين وأول مهمة خارج لبنان :

○ في صباح اليوم التالي لموافقة والده استأجر سامي « دليلاً » لبنانياً اسمه « اسعد مطر » وتوجّه معه عبر الحدود مجتازاً الجبال والوديان انطلاقاً من بنت جبيل ولمدة أربع ساعات ونصف. وفي أثناء الاجتياز كان سامي « يتعرف » على مراكز الدوريات حتى وصلا الى قرية

المنصورة « الآن تحت الاحتلال الاسرائيلي » ثم انطلقا الى قرية « ترشيحا » ومنها استقلّا الباص بعد أن أودع الدليل حصانه في مركز خاص. ثم اتجها بالباص إلى عكا وحيفا ويافا. وبعد يافا رفض الدليل أسعد مطر متابعة السفر مع سامي إلى دير البلح التي تقع على حدود مصر بعد غزة فتركه وسافر وحده بدون جواز أو هوية تدل على شخصيته.

وفي دير البلح اجتمع المهرب الذي كان قد تسلم المخدرات من والده وروى له تفاصيل المغامرة فرحب به المهرب ودفع له ثمن المخدرات عداً ونقداً وشجعه كثيراً فقال له سامي : إنني سأستمر الى النهاية. ولم يقنع بمبلغ الثلاثة عشر ألف ليرة لبنانية التي حصّلها لوالده بالجنيهات المصرية بل « اتفق » معه على تهريب ٥٠٠ كيلو من الحشيش وقبض منه « رعبوناً » قدره خمسة آلاف جنيه مصري، وحوّل هذا المبلغ إلى بيروت بواسطة محمد. ف. الذي كان يعمل سائقاً على خط — فلسطين — بيروت. ثم عاد إلى لبنان مجتازاً الأحراج والجبال.

وفي مدينة زحلة قفز سامي درجات منزله القرميدي، ولما شاهده والده عانقه بحرارة وحمد الله على سلامته. عند ذلك أعلمه سامي بأنه قبض له الذمّة من تاجر المخدرات، وعقد معه صفقة جديدة أيضاً، وقد حوّل له المبلغ كاملاً من دير البلح. قبّله والده من جبينه وهو يقول له : سامي .. أنا فخور بك كثيراً لأنك عدت سالماً وأنقذتني للمرة الثانية من الإفلاس. وقد منحتك من الآن الحرية فافعل ما تشاء.

بدأ سامي يشتري ويجمع المخدرات التي اتفق على تهريبها الى فلسطين. ثم قام باخراج جواز سفر واستلم من والده مبلغاً جيداً من الحوالة التي حوّلها بنفسه من دير البلح ثم توجه إلى بيروت واشترى سيارة « جاكوار » من الوكالة واتجه بها إلى كاراج في بيروت وقال لصاحب الكراج : أريد أن تصنع لي في السيارة مخبأ سرياً لتهريب المخدرات به وأنا تحت أمرك.

نظر صاحب الكراج الى سامي وتأمل السيارة الأنيقة وقال : اتركها واحضر غداً وستكون جاهزة حسب طلبك.

وضع سامي المخدرات في المخبأ السري وانطلق بالسيارة الى الحدود اللبنانية الفلسطينية، وقد ملأ صندوق السيارة بالحلويات اللبنانية من محلات البحصلي المعروفة. ولدى وصوله الى مركز الحدود سأل عن رئيس المركز، وقدم له نفسه وأهداه علبة من الحلو اللبناني، ووطد الصداقة معه على أنه « تاجر لبناني » وأوصل المخدرات وعاد ظافراً. ولكنه تعلم درساً جديداً هو أن الطريق الوحيد للوصول الى قلوب الضباط والمباحث والجمارك هو « المال » وليس علب الحلو. وخلال عدة مغامرات تهريب مماثلة قام بها الى فلسطين كان يوزع المال بكثرة بالإضافة الى الهدايا .. حتى أصبحت سيارته « الجاكوار » المحملة بالمخدرات في مخبأها السري، تمرّ على الحدود بكل حرية وأمان، كأي سيارة دبلوماسية.

لقد تمكن سامي أن يسيطر على مراكز الحدود بكرمه ودبلوماسيته ودفعه الكثير. وكان الجميع بما فيهم الدوريات ينتظرون قدوم السيارة الجاكوار ليقبضوا نصيبهم. وعندما تمكّن سامي من نفسه وسيطر تقريباً على خط فلسطين بالنسبة لتهريب المخدرات، وكوّن صداقات حميمة مع الضباط البريطانيين فكر باحتكار عمليات التهريب والسيطرة عليها بصورة نهائية، وكان قد علم أو تعرف على محتكري التهريب في لبنان وهم :

ــ وديع عيد اللطيف ثغري ــ مهرب محترف.
ــ الحاج حسن زعرور ــ مهرب قدير.
ــ يوسف الدسوقي ــ مهرب هادئ.
ــ رشيد أبي خاطر ــ مهرب متمكن من مهنته.

وهؤلاء يؤلفون شبكة مع عدد من كبار المهربين في فلسطين، وعلى رأس المهربين الفلسطينيين في حينه :

ــ رزق زمو، مهرب جريء وخطر.
ــ الحاج محمد أبو سليم، وهو من أغنى المهربين وتجار المخدرات.

سيطرة سامي الخوري على عمليات التهريب الى فلسطين :

○ وحتى يتمكن من السيطرة على تجارة المخدرات إلى فلسطين وجعل تجار المخدرات هناك يثقون به، وحتى يتمكن من تنفيذ ما يصبو إليه أرسل ٥٠ كيلو غراماً من حشيشة الكيف إلى الحاج محمد أبو سليم في غزة بفلسطين دون أن يطلب منه ثمنها .. وبعد حوالي العشرة ايام تعَمَّد القيام بزيارته في منزله، فشكره الحاج كثيراً على ثقته، ومن ثم قبض منه سامي ثمن الكيلو الواحد مبلغ ٣٠ جنيهاً، بينما كان أفراد الشبكة اللبنانية يقبضون منه ٥٠ جنيهاً ثمن الكيلو.

عند ذلك شعر الحاج أبو سليم بالغبن الذي كان يلحق به فتأثر كثيراً واتفق مع سامي على العمل معاً وهذا ما قصده سامي.

كان لأفراد الشبكة اللبنانية مع الحاج ابو سليم قيمة مخدرات ٤٠٠ ألف ليرة، فجاء إلى زحلة وأقام في منزل سليم الخوري « أبو سامي ». وفي اليوم التالي أنهى الشراكة مع عملائه القدامى بعد أن اعتمد على سامي لتأمين متطلباته من المخدرات. وقبل عودته الى فلسطين سلم سامي الخوري شيكاً بقيمة ٤٠ ألف جنيه مصري يدفع من قبل « باركليس بنك » واعتمد عليه في كل عملياته.

وهكذا بدأ سامي الخوري قوياً في عمليات تهريب المخدرات حيث سيطر رغم صغر سنه على أغلب عمليات تجارة المخدرات في لبنان، وأصبح له عملاء في فلسطين من كبار تجار المخدرات يشترونها منه ويدفعون له أي مبلغ من المال ومقدماً أيضاً. لذلك جمع حوله مائة شاب من زحلة والفرزل وغيرها، وجميعهم من هواة التهريب والذين لا يعرف

الخوف طريقه الى قلوبهم، وكلف كل واحد منهم « بمهمة » : البعض لشراء المخدرات وكلف آخرين لمراقبة الدوريات وتوقيت انطلاقها، والآخرين لمعاونته في التهريب.

اشترى سامي أربع سيارات جاكوار من نفس الشركة، وصنع بداخل كل منها مخابئ سرية « مثل سيارته »، ووظف لها من أعوانه السائقين المهرة، وانطلق بقافلته الأولى ليسهل مرورها، فاستقبل من قبل رؤساء مراكز الحدود من الضباط البريطانيين بالأحضان « يظهر أن الرشوة ليست حكراً على نوع معيّن من البشر »، لأن الضباط البريطانيين هؤلاء ومعهم رجال الأمن العام الفلسطيني « في حينه » كانوا يسلمون عليه باليمين ويقبضون رشاويهم باليسار.

المخابرات البريطانية تستعلم عن سامي الخوري :

○ وصلت معلومات إلى المخابرات البريطانية « الأنتلجانس سرفيس » المرافقة للقوات البريطانية في فلسطين عن نشاط سامي الخوري وتردده كثيراً على الحدود الفلسطينية اللبنانية، ويمكن أن تكون هذه المعلومات مرسلة من أعدائه في « الكار »، فانتدبت هذه المخابرات أحد كبار رجال المباحث المدعو « نايف نمر » الملقب أبو رشيد ليستخبر لها عن سامي ويلاحقه ليكشف أسراره. وقد جاء في المذكرة التي سلمت الى نايف نمر ما يلي :

« مطلوب مراقبة لبناني يدعى سامي الخوري يقوم بأعمال مشبوهة من فلسطين ولبنان، حيث علمنا أن لهذا الشاب « علاقات وثيقة بين صفوف الضباط والموظفين في الأمن العام على الحدود. لمراقبة تصرفاته أولاً بأول واعلامنا ».

إلى هذا الحد أقلق سامي الخوري السلطات البريطانية في فلسطين..

توجه رجل المباحث إلى صديق له يعرف اللبنانيين يدعى « علي خالد »، وسأله عن سامي الخوري فأجابه إنه شاب ذكي وجريء، فطلب منه أن يعرفه عليه.

حصل اللقاء بين سامي الخوري وبين رجل المباحث الكبير في منزل صديقه علي خالد وبترتيب منه، فقال رجل المباحث الأردني الأصل : اني لا أصدق بأنك الذي دوّخت السلطات البريطانية ومخابراتها.

ـ سأله سامي بهدوء : ألهذه الدرجة يهتمون لأمري.

ـ أجاب رجل المباحث : أنت متهم بأنك لم تترك ضابطاً بريطانياً إلا ورشوته على الحدود لتدخل المخدرات الممنوعة الى فلسطين.

ـ ابتسم سامي وقال له : وأنت يا سيدي ما رأيك.

ـ أجاب رجل المباحث : أنا لا أصدق بأن فتى في سنك وبهذه الوداعة الظاهرة له مثل هذه الخطورة. وأخذ يشتم « المخبرين » الذين يكتبون التقارير الكاذبة بحق سامي الخوري الذي لمس فيه وشاهد الوداعة والأخلاق والتهذيب والانسانية وأضاف : أنا لا يمكنني أن أتصور أنك مهرب بعد أن شاهدتك. ثم انصرف بعد أن وعده بتكذيب ما ورد في ملفه لدى المخابرات البريطانية.

أول علاقاته الغرامية مع النساء :

○ عندما شعر سامي الخوري برجولته بعدما استوى عوده أقام أول تجربة عاطفية في حياته مع امرأة مستهترة « مومس » استأجر لها شقة مفروشة وأسكنها بها شهراً كاملاً، ثم ما لبث أن تخلى عنها ونسيها بنفس السرعة التي نعرف بها عليها .. وانطلق يبحث عن مغامرة عاطفية جديدة مع امرأة جديدة فالتقى باحداهن في سهرة بمنزل أحد أصدقائه :

شقراء الشعر ذات ابتسامة هادئة ومشية باريسية، وقد تجرأ في نهاية السهرة وهمس في اذنها بعد أن عرف اسمها :

ــ أمل .. أني أنتظرك خارج المنزل ..

ابتسمت أمل بدلع وأجابته :

ــ بهذه السرعة والجرأة ..

ــ أجابها سامي : أني أعجبت بجمالك الأخاذ سيدتي وسوف انتظرك في سيارتي « الكاديلاك » البيضاء (كانت سيارات الكاديلاك في حينه لا يركبها سوى الأخوة السعوديين والكويتيين وبعض الذين يفتح الله عليهم خزائن رزقه. وقد تمكنت في أيام العزّ والخير التي أمضيتها في الكويت أن أشتري لنفسي سيارة كاديلاك ولكن مستعملة سابقاً من قبل آل الدعيج المحترمين فهل يعود الزمان .. الله أعلم).

ــ ضحكت أمل وقال له : تعجبني ثقتك بنفسك وسأوافيك بعد عشر دقائق.

توجه سامي معها إلى « الكاف دي روا »[1]، حيث جلسا في زاوية مظلمة وراحا يشربان الويسكي ويتحدثان، ثم نهضا للرقص، وبقيا حتى ساعات الصباح الأولى. ولما طلعت الشمس كانت في شقته تغفو على صدره. شعر سامي بالحب والحنان معها فترك الشقة تحت تصرفها، ووضع إحدى سياراته أيضاً تحت تصرفها، كما كان يضع لها في حقيبة يدها بشكل دائم ما لا يقل بأي حال من الأحوال عن عشرة آلاف ليرة

---

(١) الكاف دي روا ــ ملهى ليلي يقع في الزيتونة بيروت كان ملتقى العائلات والجميع وفي الستينات. كنت في عزّ الشباب ومن رواده مع زوجتي الكويتية الغالية « ام طلال »، ولنا فيه ذكريات وصور غاليات فقدتها، في ما فقدت، في الهجمة الشرسة التي تعرضت لها بيروت، وقد كان مكتبي يقع في منطقة من العاصمة ذاقت مرّ الخراب وذل النار.

لبنانية لأن مدخوله السنوي كان قد بلغ في حينه سبعة ملايين ليرة لبنانية، عندما كانت الليرة اللبنانية في عزّها وسترجع إن شاء الله الى عزّها وتنتهي مأساة الشعب اللبناني العريق. إن غداً لناظره قريب.

قصة الحب هذه لم تدم طويلاً لأن أمل كانت قد أصبحت تغار عليه كثيراً وتحاول أن تحجز حريته بعد أن أخذت الغيرة تنهش قلبها، بينما كان سامي يتركها وحيدة في الشقة وقد غرق حتى أذنيه بين الأرتيستات الأجنبيات. فقرر التخلّص منها فأرسل لها مع سائقه الخاص ميشال مدوّر شيكاً بقيمة ٢٥ ألف ليرة لبنانية وطلب منه أن يسلمها الشيك ويعتذر منها ويعلن لها نهاية هذه العلاقة. ولما جاء السائق ميشال الى الشقة وسلم أمل الشيك فأعادته له وقالت بعصبية : قل « للريّس » إني احتقر دراهمه ولست أشترى بالمال وألقت لميشال بمفتاح الشقة، واستقلت تكسياً وذهبت الى حيث لم يعد يعرف سامي عنها شيئاً.

استمر سامي يرسل المخدرات إلى فلسطين حتى بلغ مدخوله السنوي ٢٠ مليون ليرة لبنانية، كان يدفع من أصلها خمسة ملايين ليرة لأنصاره، والذين يسهلون له عمليات التهريب ويدفع خمسة ملايين أخرى لوالده وأهله وأقربائه في زحلة ويتصرف بالمبلغ الباقي على ملذاته الخاصة. وكانت آخر مغامرة له على طريق لبنان ـــ فلسطين عام ١٩٤٨، حيث أدخل الى فلسطين « ثماني سيارات جاكوار » محمّلة بالمخدرات وكان هو بالسيارة الأخيرة مع أربعة شبان مسلحين من أنصاره، وعاد الى زحلة بعد بيع المخدرات التي أغرقت فلسطين، وانتقل الكثير منها إلى مصر فشعرت السلطات البريطانية بالخطر يتهدد المواطنين حيث صدرت الأوامر باغلاق الحدود اللبنانية ـــ الفلسطينية خاصة وقد اندلعت الحرب في حينه بين المجاهدين العرب والعصابات الصهيونية.

في منزله بزحلة جلس سامي يفكر وقد اسودّت الدنيا في عينيه نتيجة اعلاق سوق فلسطين، وقرر أن ينقل عمليات التهريب الى « القاهرة »،

فتوجه الى القنصلية المصرية في بيروت وطلب إذن سفر الى مصر، ولكن القنصل الفخري حينئذٍ رفض أن يمنحه الإذن « الفيزة » لأنه صغير السن. فعاد سامي الى زحلة واصطحب معه والده الى القنصلية المصرية فحصل على الفيزة وعاد مع والده الى زحلة، وجهز نفسه للسفر؛ فدعا أنصاره الى حفلة عشاء وأعلمهم بعزمه على السفر، وأن عليهم أن ينتظروا تعليماته. وفي الطائرة التي نقلته الى القاهرة وكان أول عهد الطيران بالمحركات بين البلدان، بدأ يخطط للمغامرة الجديدة.

في القاهرة أقام في فندق « هيلو بالاس » وأول عمل قام به هو أن توجه الى مقر معهد الطيران المدني للتدريب في أمبابه بسيارة تكسي، وقابل مدير المعهد وقال له : سيدي أريد أن أتعلم الطيران.

— نظر إليه مدير المعهد إليه وقال له : كم تبلغ من العمر ؟
— أجابه سامي : ١٨ عاماً يا سيدي.
— وهل تتقن اللغات الأجنبية.
— أتكلم الفرنسية وقليلاً من الانكليزية والإيطالية.
— أجابه مدير معهد الطيران في أمبابة : إن الادارة تأسف لأنها لن تتمكن من قبولك في المعهد بالوقت الحاضر لأنك ما تزال تحت السن القانونية لأن المطلوب قبوله للتدريب والحصول على شهادة طيران مدني معتمدة يجب أن يكون قد بلغ العشرين من العمر، كما أنك لا تجيد اللغة الانكليزية حسب طلبنا. ولكن سامي الخوري المصمم على دخول المعهد أقنع مدير المعهد بأنه « يتعهد » له بأنه يتحمل المسؤولية كاملة عن أي حادث يقع له أو أي ضرر مادي. فأحاله في الحال إلى لجنة طبية وافقت على قبوله فقُبل وسجل مع طلاب الدورة رقم (٣٦) للطيران.

بدأ الكابتن صادق لوقا يعلّمه أصول قيادة الطائرات، وبعد ثماني ساعات من التدريب ضرب رقماً قياسياً بين عشرين طالباً لتعلّم الطيران

وأبدى استعداده أن يحلق بطائرة تدريب لوحده وهو يتحمل المسؤولية، ربت الكابتن لوقا على كتفه وقال له :



ــ أنت شجاع أكثر من اللازم يا سامي.

ــ أجابه سامي : إن قيادة الطائرات هي حلم من أحلامي.

وطّد سامي علاقاته مع الضباط الطيارين العاملين في شركة مصر للطيران الذين يترددون الى معهد الطيران، وبعد فترة أصبح صديقاً للضابطين محمود منير وعبد الجليل سلام؛ والأخير كان يعمل معاون ضابط لاسلكي في شركة مصر للطيران.

ولكي يكسب ثقتهما أخذ يدعوهما الى السهرات الحمراء ويغدق عليهما الهدايا وأبدى استعداده لمساعدتهما في كل ما يحتاجون إليه. وفي احدى السهرات الصاخبة معهما التقى بالقومندان جوزف عكر « رتبة قومندان تعادل رتبة نقيب ثلاث نجوم » المشرف على مطار بيروت الدولي الذي كان يقضي رحلة استجمام في القاهرة والاسكندرية.

وبعد سهرتين معه عرف سامي الخوري نقطة الضعف لدى القومندان عكر، فهو مقامر ومن الذين يواظبون على السهر في الكباريهات، وأن حالته المادية ليست على ما يرام فطمأنه سامي بقوله : « إن الفرج قريب ».

تجرأ سامي كعادته وفاتح الضباط الثلاثة بموضوع عملية تهريب كبرى الى مصر بواسطة احدى الطائرات. وافقه الضباط مبدئياً على خطته التي تقضي بأن يستأجر طائرة ذات محركين من نوع « بيتش كرافت » على أن يسلمها للضباط الثلاثة، وبقي عليه أن يجمع الثلاثة في طائرة واحدة على خط بيروت القاهرة. فتعرف على منظم الرحلات الجوية في مطار القاهرة ودس في يده مائة جنيه وكلفه بترتيب العملية التي رسم لها سامي خطة مدروسة. فأرسل الطيار محمود منير في طائرة خاصة استأجرها له من المعهد إلى الصحراء في المنطقة المعروفة باسم « بلبيس » وطلب منه أن يجتمع بالمدعوّين حسن خلف وحافظ الشعار وهما من كبار مهربي المخدرات المصريين. سافر الطيار الى الصحراء

واجتمع بالمهربين الكبيرين ودرس معهما المكان والنقطة التي سيتم فيها انزال المخدرات من الطائرة.

أرسل سامي « برقية » بطريقة الألغاز والشيفرة الى أعوانه في زحلة فقاموا بشراء ٥٠٠ كيلو من الحشيش وهيأوها في اكياس من النايلون. استأجر سامي للقومندان عكر طائرة بيتش كرافت ذات المحركين المتفق عليها لنقل المخدرات وطلب منه التوجه بها إلى بيروت طالما لا يزال مستمراً في إجازته فسافر، أما الضابطان عبد الجليل ومنير فقد وصلا الى بيروت بنفس يوم وصول القومندان عكر، واجتمع الثلاثة في فندق ريجنت مع أحد أعوان سامي الذي وضع نفسه تحت تصرفهم وانتقلوا الى مطار مهجور كان يستعمله الجيش البريطاني واسمه « مطار إيعات » على أن يحضر القومندان عكر بالطائرة في الساعة الخامسة صباحاً، على أن يشعلوا له شرشفاً أبيض لمعرفة اتجاه الرياح.

تركت الطائرة مطار بيروت معلنة بأنها مسافرة الى القاهرة، ثم انحرف بها القومندان عكر عن المسار الدولي، وهبط حسب اشارات أعوان سامي في مطار إيعات المهجور، وحمّل المخدرات، ثم عاد واتجه إلى خط القاهرة، فوصل الى المكان المتفق عليه مع خلف والشعار في صحراء بلبيس، وحلّق مرتين لضبط عملية إلقاء المخدرات، ثم ألقاها في المكان المحدد، وتابع طيرانه الى مطار القاهرة « مطار الماظة في حينه ». وصدف أثناء القاء اكياس المخدرات مرور سيارة لخفر السواحل المصري فشاهد ركابها الطائرة وهي تهبط إلى علو منخفض وتلقي الأكياس ثم تصعد متجهة الى السماء ولم يتمكنوا من معرفة هويتها. فاتجهوا إلى مكان انخفاضها فشاهدوا اكياس المخدرات ملقاة على الأرض وعددها ١٤ كيساً.

اتصلت إدارة خفر السواحل بمطار الماظة الرسمي وقسم مكافحة المخدرات الذين استلموا المخدرات كما هي بينما علم سامي في ما بعد أن

عميلَيْه المصريين خلف والشعار لم يستطيعا الاقتراب من المخدرات بعد حضور قوة خفر السواحل رأساً بعد القاء القومندان عكر المخدرات من الطائرة.

اعتقال سامي الخوري من قبل المباحث المصرية :

○ كان سامي جالساً في صالون فندق « هيلو بالاس » والأفكار السوداء تتراءى في خياله وكان يبدو قلقاً عصبياً مضطرباً يشعر شعوراً غريباً، وكأن شيئاً غامضاً سيحدث فطلب كأساً من الويسكي لتهدئة أعصابه ثم اتصل بشخص مجهول وقال له :

ــ اذهب الآن الى الصحراء واتصل بحسن خلف وحافظ الشعار وأبلغني النتيجة بسرعة؟

ثم خرج من الفندق مسرعاً وتوجه الى بريد القاهرة وأرسل البرقية التالية :

« بيروت ــ فندق ريجنت ــ حسن عمار ــ ماذا حصل لماذا تأخر وصول جانين ؟ »

ثم عاد الى الفندق في الساعة السادسة والنصف مساء ولدى دخوله الصالة المعدة لاستقبال الضيوف اتجهت الأنظار اليه وقام أحد الموجودين لاستقباله قائلاً : أهلاً سيد سامي ..

التفت سامي إليه بدهشة وقال له : عفواً اني لا أعرفك.

ــ أجابه الشاب الذي كان يضع النظارات العريضة السوداء على عينيه :

ــ نحن أصدقاء منذ زمن فهل تسمح بالجلوس معنا ؟

ــ قال له سامي : كنت أتمنى أن أجلس معكم ولكني مشغول بموعد هام.

ـــ أجابه الشاب ذو النظارات السوداء : أعتقد أن موعدك معنا أهمّ.
ـــ قال سامي : لم أفهم منك شيئاً حتى الآن.
ـــ فاجأه الشاب المصري : نحن من موظفي المباحث المصرية.
ـــ رسم سامي ابتسامة ساخرة على فمّه وقال : وما علاقتي بالمباحث ؟
ـــ أجابه رجل المباحث : بصراحة .. أنت مطلوب ومعنا مذكرة رسمية وقانونية لالقاء القبض عليك.

صعد سامي الى السيارة المدنية مع رجال المباحث والأسى يعتصر قلبه فقد تأكد ان المخدرات قد صودرت وأن أول مغامرة له إلى القاهرة قد باءت بالفشل. ولما وصلت السيارة الى منطقة الموسكي وقفت أمام عمارة كتب عليها « المباحث الجنائية المصرية ـــ مكتب مكافحة المخدرات » فالتفت إلى لابس النظارة السوداء وقال له : غريب أنتم جايبيني هنا ليه ؟

ـــ أجابه : بعد قليل ستعرف كل شيء ؟

ولما دخل الصالون شاهد الطيارين الذين ورّطهم بالملابس المدنية فلم يتكلم معهم .. وراحوا ينظرون إليه بخوف حتى غاب عنهم حيث أدخل الى مكتب اللواء عبد العزيز صفوت الذي وقف مرحباً به وقال له :

ـــ أهلاً سامي بيه.
ـــ ابتسم سامي وأجابه : شكراً سيادة اللواء على هذا اللقاء.
ـــ تابع اللواء صفوت : اتفضل استريح ويجب أن نتكلم بصراحة.
ـــ أجابه سامي : أنا صريح وأحب الصراحة.
ـــ اللواء صفوت : ما هي حكاية المخدرات الطائرة ..
ـــ ضحك سامي وتمالك أعصابه وقال : أي مخدرات .. يا سيدي انك تحدثني في قضية أجهلها ولا تعنيني من قريب أو بعيد مطلقاً.

ـــ حدّق اللواء في وجه سامي وقال له : هل تعرف عكر ومنير وعبد الجليل.

ـــ أجاب سامي : أني اعرف القومندان عكر من بيروت أما الآخران فلا أعرفهما ولم أسمع بهما في حياتي.

ـــ تناول مدير مكتب المخدرات قطعة من حشيشة الكيف وقال له : ألا تعرف ما هذه يا سامي؟

ـــ هز سامي رأسه بغباء وقال : أعتقد أنها نوع من البخور.

ـــ ضحك اللواء صفوت وقال : أيها الشاب الذكي .. ألا تعلم بأني أعرفك تمام المعرفة من اطلاعي على ملف مغامراتك وتهريبك السابق الى فلسطين.

ـــ نظر إليه سامي الخوري قائلاً : لماذا تضيع وقتك ووقتي يا سيادة اللواء.

ـــ اجابه اللواء : كنت أعتقد بأنك ستعترف بسهولة ولكني سأعرف كيف أحملك على الاعتراف بكل شيء.

ـــ قال سامي : لا تنس يا سيدي بأني جئت الى بلدكم للاستجمام.

ـــ ابتسم اللواء صفوت وقال : للاستجمام أم للتهريب.

ـــ نظر اليه سامي ببراءة وقال : أعوذ بالله من هذه التهمة .. أنا إنسان شريف ولا أتعاطى أعمالاً ممنوعة.

ـــ طلب اللواء صفوت أن يجلبوا القومندان عكر أمامه ولما حضر طلب منه اللواء صفوت أن يعترف أمام سامي بعملية تهريب المخدرات، أجهش عكر بالبكاء وقال : « خرب بيتي الله يخرب بيتو » فلقد أغراني بالمال وغرر بي وزوّر لي نتائج هذه العملية إلى بلدكم ».

التفت اللواء صفوت الى سامي وقال له : الآن ما رأيك بعدما سمعت.

ـــ قال سامي بهدوء : لا تصدق شيئاً يا سيدي هذا الرجل كذاب ومدفوع ضدي من قبل أعدائي في لبنان. عند ذلك استدعى رئيس مكتب

مكافحة المخدرات كل من الطيار منير على انفراد والطيار عبد الجليل أيضاً، فاعترفا ورويا قصة المغامرة بحذافيرها، أما سامي فقد أصر على الإنكار والتأكيد للسيد اللواء بأنهم جميعاً يستهدفون الإيقاع به بناء لعملية انتقام دبرت ضده في بيروت.

اضطر مدير مكتب مكافحة المخدرات إلى انهاء التحقيق رغم انكار سامي الخوري الذي صمم ألّا يعترف .. لأنه كان يعلم أن مجرد الإدلاء باعتراف صريح سيقوده الى أقسى الأحكام بما فيها الاعدام. وأرسل الأوراق مع المتهمين إلى وكيل النيابة العامة في القاهرة وكل الأدلة ضده واصابع الاتهام تشير إلى أنه هو رئيس عصابة أو شبكة التهريب. لكنه استمر في أقواله بأنه جاء إلى مصر للاستجمام فقط ومع ذلك مثل أمام رئيس النيابة العامة وقال له : هؤلاء ضدي يا سيدي .. وقد قبضوا ثمن تآمرهم من أعدائي في لبنان.

ــ سأله وكيل النيابة : ومن هم أعداؤك في لبنان.

ــ قال سامي : أعدائي وأخصامي الذين يعملون في السياسة هناك.

لم يتمكن وكيل النيابة أن ينتزع منه كلمة واحدة تدينه فأمر بتوقيفه على ذمة التحقيق مع الطيارين، ووضعوا مع بعضهم في غرفة واحدة وعرف سامي أن القومندان هو أول من ضعف أمام التحقيق وأوقع بهم، فأخذ سامي يفتح في وجوههم أبواب الأمل.

وبدأت الصحف القاهرية والصحف اللبنانية تنشر تفاصيل مذهلة وبالخط العريض عن « قضية طائرة التهريب » وكانت هذه الصحف تصل إليه ليرى صورته تتصدرها.

وفي أحد الأيام حضر رئيس مصلحة السجون المصرية اللواء عمر باشا ومعه عشرة ضباط ولما وصل الى غرفة سامي أخذ يؤنب الطيارين قائلاً : عيب تعملوا كده .. ولما وصل الى جانب سامي قال له : أنت جدع يا

ولد ولو أنك غدرت بهؤلاء. وكان سامي قد أصبح الحاكم بأمره في السجن، يحصل على الكتب والصحف المختلفة حتى شفرات الحلاقة والسجائر وكان يرسل البرقيات والرسائل بدون أي مراقبة من ادارة السجن حسب الاصول.

وصل إلى القاهرة المحامي اللبناني المعروف الشيخ بهيج تقي الدين للدفاع عن سامي الخوري، وكان لهذا المحامي وزنه الكبير كونه من أعضاء البرلمان اللبناني في عهد الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية في حينه، حيث زار سامي في سجنه وطمأنه وقال له : لا تهتم كثيراً للموضوع .. فأنا سوف أعمل جهدي لانقاذك من هنا. فقال له سامي : لن أنسى فضلك يا سيدي وأرجو أن تعلمني في أيّ فندق تنزل. أجابه : في فندق الكونتننتال بالقاهرة.

ـــ في اليوم التالي نهض سامي باكراً وارتدى ملابسه ورش العطور على وجهه، وتمكن من أن يخرج من السجن برفقة حراسه الذين هيأوا له سبباً معقولاً يستدعي مثوله أمام وكيل النيابة، وتوجهوا به الى الفندق ولما دخل على الاستاذ بهيج فوجئ به وارتسمت على وجهه علامات الدهشة وقال له : والله العظيم غريب غريب كيف استطعت الخروج من السجن وحضرت إلى هنا.

ـــ جلس سامي على المقعد الوثير وأشعل سيجارة قائلاً :

ـــ الخروج من السجن بسيط جداً لأني خصصت رواتب لجميع موظفي السجن وقد قررت الهرب من السجن بنفس الطريقة.

ـــ امتقع وجه محاميه الشيخ بهيج وقال له : « بلاها » يا سامي لا تضرّ نفسك. ثم ودعه وعاد سامي إلى السجن، بينما عاد المحامي إلى لبنان وعاد مرة ثانية إلى القاهرة مع (المرحوم) حبيب أبو شهلا ـــ المحامي الكبير ـــ ورئيس مجلس النواب سابقاً حيث اتفقوا مع أربعة من المحامين المصريين القديرين في قضايا المخدرات للدفاع عنه.

سامي الخوري يسجن بالمستشفى ويحوّل المستشفى الى عش للغرام :

○ لم يتحمل سامي الخوري عيش السجن فتمكن من الانتقال للمستشفى المخصص للمساجين بأساليبه الخاصة.

شعر وهو يعيش في المستشفى أنه بدأ يتنفس هواء الحرية، وحوّل جناحه في المستشفى الى عش للغرام من كثرة رشاويه، كان يشرب الخمر، يغازل الممرضات. وعندما ينتصف الليل تكون إحداهن قد تفرغت لقضاء الليل معه ومع تبديل الممرضات الخبيرات بالحب والجنس. فقد علق بحب إحداهن وهي ممرضة سمراء حنطية بادلته الحب بعنف وجنون واسمها لا يضير نشره الآن بعد مضي هذه المدة الطويلة وهو « ماجدة »؛ كانت تشتعل بنيران الغيرة والحقد كلما شاهدت امرأة غيرها تدخل الى غرفة سامي، ولكنه كان يؤكد لها بأنها الوحيدة التي سيطرت على قلبه (على طريقة الفنان الممثل سمير صبري).

○ افتتحت محاكمة سامي الخوري في محكمة جنايات القاهرة الأولى التي استمرت ٢٨ جلسة ترافع فيها ٢٠ محامياً عن المتهمين مع سامي وحضرتها جماهير غفيرة، بالإضافة الى مراسلي الصحف ووكالات الأنباء المحلية والعربية والعالمية، وكان سامي يحضر من المستشفى الى المحكمة وهو يرتدي الملابس الأنيقة والابتسامة لا تفارق وجهه وأثناء الاستراحة كان يتكلم مع الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء. وفي إحدى الجلسات تكلم النائب العام المصري عن سامي مدة أربع ساعات وعن باقي المتهمين ثلاثة أرباع الساعة فقط، وأكد أن جميع الأدلة المتوفرة تدل على أن هذا الفتى (المتهم) هو من أخطر المهربين « رغم صغر سنه » مما جعل رئيس المحكمة يصدر الحكم في النهاية على :

ـــ سامي بن سليم الخوري ـــ السجن خمس سنوات.

ــ حافظ الشعار ــ السجن خمس سنوات.
ــ الطيار محمود منير ــ السجن ثلاث سنوات.
ــ الطيار عبد الجليل سلام السجن ثلاث سنوات.
ــ القومندان اللبناني ــ جوزف عكر ــ السجن ثلاث سنوات.

وقام الجميع باستئناف الحكم وبعد ٤٢ جلسة صدر حكم الاستئناف بفسخ القرار المستأنف وإنزال الحكم على سامي الى سنتين وأصاب باقي الشبكة مثله من التخفيض.

اسودت الدنيا في وجهه عندما تأكد بعد الاستئناف أنه سيقضي هذه المدة في السجن، ورغم وجوده في مستشفى الحميات بالعباسية كما ذكرنا فقد سأل نفسه : لماذا لا أتسلل في الظلام وأهرب من السجن الى الحياة الحرة الطليقة ؟ ولكنه يعرف أن المال لن ينفعه لأن حراسه الأربعة الذين كانوا يتولون حراسته كان يجري تبديلهم كل ثلاث ساعات .. وأنه مهما كان ذكياً فلن يتمكن من أن يوطّد علاقاته بهم خلال هذه الساعات القليلة، فأخذ يدرس خطة خطرت في باله. فقد لاحظ أن الطائرات الاسرائيلية كانت تقوم بغارات ليلية على القاهرة من عام ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩. فقرر أن يستغل حدوث الغارة وغرق القاهرة بالظلام فيتسلل من نافذة المستشفى عندما تعلن صفارة الانذار اشارة الخطرة. وفي التاسعة من مساء اليوم التالي سمع صوت صفارة الخطر ثم انطفأت الأنوار فقفز من النافذة، ولكنه ارتطم بجندي من الحراس فعاد الى سريره ونام. ومع هذا لم يرتدع عن التفكير بالهرب فأخذ يغري الممرضات كي يضعن مادة مخدرة للحرس في الشاي حين تقديمه لهم حتى يستطيع الهرب فكان أن وشت به إحداهن فأعيد الى سجن القلعة.

سيطرت فكرة الهرب على أفكار سامي الخوري ... وأخذ يفكر : أمس كان في مستشفى الحميات حراً طليقاً وإلى جواره الممرضة السمراء

ماجدة تمنحه الحنان والحب، ورغم ذلك لم يكن راضياً، فكيف يرضى اليوم وهو يقضي أيامه في ظلام سجن القلعة.

ومن جديد عاد يبحث عن وسيلة للهرب من السجن. وفي تلك الأثناء زاره تاجر من زحلة يدعى « حبيب الصيقلي » فحرك في نفسه الذكريات وقرر أن يهرب بأي وسيلة، كان الدكتور سيد غنام صديق حميم له بالسجن فسأله سامي : دكتور أريد أن أعرف منك وبمساعدتك ما هو المرض الذي يخولني « العودة » الى المستشفى. خيّل للدكتور غنام أن سامي يريد أن يعود الى المستشفى لأجل معاشرة صديقته السمراء ماجدة فقال له وهو يبتسم : أعتقد أنك تحب هذه السمراء الملعونة، فاستغل سامي تخيّلات الدكتور وأجابه وهو يبتسم : إنني أحبها فعلاً يا دكتور ولا أطيق فراقها أبداً.

أشعل الدكتور غنام سيجارة وقال : إن ماجدة بنت طيبة وهي تبادلك الحب أخرج سامي مبلغ مائة جنيه من جيبه ودسه في جيب الدكتور متابعاً حديثه : أريد يا دكتور أن أعرف ما هي الطريقة أو المرض الذي يمكنني من العودة الى المستشفى كما طلبت منك وهل مرض الزلاعيم معقول، ربت الدكتور غنام على كتف سامي وقال : ولا يهمك.

تقدم سامي لمسؤول السجن بادعاء المرض المفاجئ ونقل الى عيادة دكتور السجن « الدكتور غنام » وجاءت نتيجة الفحص تؤكد « إصابة » سامب بمرض الزلاعيم المزمن.. ولكن هذا التقرير ينقصه تصديق « الطبيب الشرعي المعتمد » حسب الأصول في القاهرة. ولما لم يكن في القاهرة أي صديق له في حينه، فاستدعى صديقه « ألبير جريج » من بيروت وطلب منه أن يتوجه ومعه هدية محترمة الى الطبيب الشرعي، وكان الطبيب الشرعي من الأطباء الشرفاء الذين لا يرتشون فرفض الهدية. ولدى فحصه لسامي أعاد محاولة رشوته بمبلغ عشرة جنيهات وأيضاً رفض الطبيب الشرعي الرشوة « هكذا يكون الأطباء الشّرعيون » وكتب

على ورقة الاحالة المرضية لسامي « متمارض يعاد الى السجن ».

نظر سامي الى الطبيب الشرعي بحقد وتذكّر أن له ديناً على شخص مصري يدعى صبحي عزّام مبلغ ثلاثة آلاف جنيه فقرر أن ينفذ عملية الهرب في نفس اليوم .. وما كاد يخرج من العيادة حتى بدأ يقنع الحراس ليسمحوا له بزيارة صديقه صبحي، فأعطاهم الجنيهات العشرة التي حاول رشوة الطبيب الشرعي بها والتي لم يكن يملك غيرها بعد أن بدّد أمواله على الحراس والأطباء والممرضين والممرضات، ووعدهم بمبلغ آخر لدى قبضه الثلاثة آلاف جنيه من صديقه.

دخل سامي الى منزل صديقه صبحي عزام الذي يقع في الطابق الخامس من بناية في منطقة الزمالك .. كان صديقه غائباً عن المنزل فاستقبلته زوجته بالترحاب وقدمت له الشاي مع حراسه واتصلت مع زوجها هاتفياً فحضر مسرعاً ورحب بسامي وسلم على الحراس، فطلب منه سامي أن يحضر له صديقه التاجر اللبناني حبيب صيقلي الذي كان ينزل في فندق شبرد بالقاهرة، حضر حبيب صيقلي وتناول الغداء معهم، وبعد أن شرب سامي عدة كؤوس من البيرة قرر أن ينفذ خطة الهرب، دخل الى التواليت وترك الجاكيت وربطة العنق في الصالون كي لا يشتبه به الحراس وأقفل الباب خلفه وفتح المياه، ثم أسرع بالخروج من نافذة التواليت الضيّقة، وتدلى على قسطل الماء وبدأ بالهبوط نحو الشارع وفي هذه اللحظات أطل أحد الحراس من الشرفة بعد أن تحركت لديه الحاسة السادسة لدى رجال الأمن فشاهد سامي متدلياً فأخذ يصفّر ويصرخ فأطل باقي الحراس وتجمعت الجماهير في اسفل البناية فعاد الى المنزل فقاله له رئيس الحرس :

ــ ليه عايز تخرب بيتنا يا سامي بك .. احنا عملنالك حاجة. حرام عليك.

ــ أجابه سامي : أنا لن أعود معكم الى السجن وطلب مبلغ ألف جنيه

من صديقه صبحي ليدفعه لهم.

ــ أخذ رئيس الحراس يتوسّل إلى سامي بقوله : أرجوك يا سامي بيه نحنا لسنا بحاجة لشيء، إن كل واحد منا مسؤول عن عائلة وأولاد، ولو نفذت خطتك فسنضطر لإطلاق النار عليك « بالمليان »، وتكون النتيجة دخولنا السجن وتعرض عائلاتنا للتشريد والجوع. عند ذلك اقتنع سامي بالعودة معهم، وحاول أحدهم أن يكبّل يديه فقال له سامي بعنف : غير ممكن تقييدي وأنا صاحب كلمة شرف مثلما جئت معكم بدون قيد أعود الى السجن وهكذا كان.

في اليوم التالي حضر مدير السجن الى غرفته بعد أن علم بمحاولته الهرب وقال له : « أنت تريد الهرب .. أليس كذلك .. سوف ترى من سيساعدك على الهرب مرة ثانية »، وأمر بوضعه تحت الحراسة المشددة وكتب على إضبارته « خطر جداً ».

مع الأيام والأسابيع والشهور تلاشت فكرة الهرب من خيال سامي بعدما تأكد من فشل جميع محاولاته وبقائه « على الحديدة » أي .. مفلساً باللهجة المصرية، خاصة بعد تثبيت محكمة الاستئناف للحكم الصادر عليه. وحينما بقي له مدة أربعين يوماً من سجنه تعرض لمرض مفاجئ « فعلاً هذه المرة » فأصيب بهزال شديد نتيجة انقطاعه عن تناول الطعام، ونقص وزنه ١٥ كيلو غراماً دفعةً واحدة وأخذ يهذي ولا يرتوي من شرب الماء لأنه كان يشعر بأن أحشاءه تحترق وإذا سار خمسة أمتار يشعر بالاعياء ويسقط من طوله « حسب اللهجة المصرية ايضاً ».

اسودّت الدنيا في وجهه وأخذ يتحدث حديث النائم ويقول لزملائه السجناء : « إن مكتب مكافحة المخدرات قد وضع له ميكروب التيفوئيد في الطعام »، وإنه سوف يتعرض للموت، فعلاً أخذ سامي يعيش في صراع مع الموت، فنقل بواسطة الإسعاف الى المستشفى وهو غائب عن الوعي، استعاد سامي وعيه بعد سبعة أيام ليجد نفسه في مستشفى

الحميات « الحكومي » منهوك القوى ومحطم الأعصاب، فشاهد محاميه عادل خلف يقف مع الطبيب فعرفه وسلم عليه وسأله عن أمه وأبيه والجميع في زحلة. بقي سامي في المستشفى حتى نهاية حكمه ثم استيقظ ذات صباح ليجد نفسه حراً وبلا حراس حيث كان يحسب لهذا اليوم من مدة طويلة حسابه.

ارتدى ملابسه وتوجه الى مكتب مكافحة المخدرات للحصول على أوراقه، دخل سامي الى مكتب اللواء مدير مكافحة المخدرات الذي وقف له وحيَّاه وطلب له الشاي ثم قال له : هل ستشتغل بالمخدرات ثانية حيث قصد جرَّه للحديث، فأجابه سامي : « سيادة اللواء .. الآن وبعد أن مضت مدة العقوبة واستعدت حريتي أريد أن أعلمك بأن المخدرات التي هبطت بالمظلة هي ملكي .. وأنا الذي رتبت عملية التهريب بالطائرة من أولها لآخرها ..

ـــ نظر إليه اللواء صفوت مدير السجن متأملاً وقال له : اني شخصياً أعرف كل شيء. ولكنك فتى جبار لم تعترف بكلمة واحدة أثناء التحقيق.

ضحك سامي وهو يودع اللواء صفوت مدير مكتب مكافحة المخدرات قائلاً : أنت قمت بوظيفتك يا سيدي وأنا قمت بوظيفتي ..

في اليوم الأول لحصوله على حريته دعا صديقته الممرضة ماجدة التي شاركته فرحته في رحلة في الجندول على مياه النيل الخالد. وفي اليوم التالي سافر من القاهرة الى بور سعيد فالتقى مع أبو المعاطي ومحمد المغاوري وهما من كبار تجار المخدرات في مصر. فاتفق مع الأول على تهريب كميات كبيرة من المخدرات له بطرقه الخاصة وقبض منه مبلغاً كبيراً من الجنيهات المصرية حوّله الى بيروت. حضر محاميه عادل خلف الى القاهرة ليعود به الى الوطن فدعاه الى سهرة ليلية على الباخرة « روض الفرج » مع عدد من النساء الجميلات، وفي صباح اليوم التالي ركبا الطائرة الى دمشق فوجد في مطار المزة الدولي عشرات السيارات اللبنانية

ومئات الزحلاويين وفدوا الى استقباله، وقد قال له المحامي خلف : ها هي زحلة قد زحفت الى مطار دمشق لاستقبالك.

بعد الاستقبال استقل سيارته الكاديلاك المكشوفة التي كان قد تركها في زحلة وسارت خلفه مائة سيارة تحمل معارفه وأنصاره .. ولما وصل إلى مشارف زحلة شاهد أقواس الزينة مرفوعة فوق المفارق وسمع الزغاريد، وأخذت فتيات زحلة ينثرن الورود والرياحين على الموكب. والأهم من ذلك أخذ أعوانه يطلقون الرصاص في الهواء ابتهاجاً بعودته فقابلهم أهالي زحلة باطلاق مئات الطلقات ترحيباً به وبهم.

سبعة أيام وزحلة تحتفل بعودة سامي الخوري مع القرى المجاورة حيث كان أهالي هذه القرى يتوافدون الى منزله وهم يحملون الهدايا ويذبحون الخرفان على شرفه، واستمرت الدبكات عامرة أيضاً والجميع يهتفون بحياة « الريّس » سامي الخوري.

في تلك الحقبة من الزمن كان يوجد ما سمي بـ « القطيعة » بين سوريا ولبنان في عهد الرئيس الراحل شكري القوتلي، وبالذات كانت هذه القطيعة المصطنعة من صنع رئيس مجلس الوزراء السوري في حينه خالد العظم. وقد شاهد سامي حالة الركود في أسواق زحلة كما شاهد غرسات الحشيش وهي تتدلى في الحقول الواسعة وحتى أمام وبجانب مخافر الدرك، وعلم أن أسعار الحشيش رخيصة لأنه لا يخرج من الحدود اللبنانية فصمم أن يعود للتهريب ويبدأ من جديد.

أخذ سامي الخوري يتجوّل خلف وأمام مركز الجمارك اللبناني في المصنع ويراقب تصرفات الموظفين الذين أوكل إليهم أمر مكافحة التهريب، ويدرس أوضاع كل منهم. وخلال خمسة أيام تمكن من معرفة اسم كل واحد منهم ويطّلع على ظروفه الخاصة وأحواله المادية.

توجه سامي الى مطعم صديقه رشيد عرابي وطلب منه أن يقوم بتعريفه

على كمال بك وهو الموظف الكبير الذي أوكل إليه أمر مكافحة التهريب في المنطقة.

ثمّ اللقاء في منزل رشيد عرابي بين كمال بك وسامي الخوري الذي أخذ يشرح لكمال بك حالة الفقر التي يعيشها أهل زحلة قاطبة في حينه. وكمال بك يستمع إليه جيداً وباهتمام. وانتهى الاجتماع الأول حيث طلب كمال بك من سامي أن يزوره في مكتبه.

توجه سامي الى مكتب كمال بك في شتورا وعوضاً عن طلب سامي لصداقة كمال بك. أخذ كمال بك يتودّد اليه ويشرح له فنوناً عريقة في طرق التهريب المنظم، فاتضح له أن كمال بك عريق في عالم التهريب أكثر منه، وقد تم الاتفاق بينهما بسهولة وبدأا العمل .. سامي يشحن المخدرات وكمال بك يتولى المراقبة وتسهيل المرور لحاملي المخدرات. ولكي يضمن سهولة التهريب قام بنقل الموظفين الشرفاء إلى المناطق النائية، وأحاط نفسه بفريق محترف من الموظفين المخلصين والمستلزمين له « أزلامه » والذين يشبهون افراد عصابه المافيا، وأصبح كمال بك « الحاكم بأمره ». وكلما حاول سامي الاستراحة من التهريب ليقوم برحلة للخارج للاستجمام كان يقول له : لماذا تضيّع وقتك ووقتي سدى .. يجب أن نعمل بسرعة لأن الجو مناسب.

كان سامي الخوري يُهرّب لأنه يحب المغامرات ويهوى تبديد الأموال على ملذاته وأنصاره، أما كمال بك فكان يسهل التهريب ليكدّس الأموال في البنوك ويشيد البنايات.

بدأت الشائعات تلوك سمعة كمال بك وعلاقته بسامي الخوري وبدلاً من أن يتوقف عن التهريب، عمد الى حيلة تعيد إليه اعتباره كمسؤول عن منع التهريب في منطقته الواسعة فاتفق مع سامي على أن يلقي القبض على بعض أزلامه وهم يحملون كمية من الحشيش الرديء، وسيتولى بنفسه عملية إخراجهم ويدفع أيضاً نصف المصالحة. ونجحت الفكرة وسلم

سامي مائة كيلو من الحشيش الرديء الى أحد أزلامه ويدعى « ندرة »، وأفهمه أن الجمارك سوف تعتقله والمخدرات على مفرق شتورا وسيصادرون منه المخدرات، وسيدخل السجن من الباب ليخرج من الشباك. وقد تم تنفيذ المخطط وصدرت الصحف وهي تحمل صوّر المسكين ندرة وبجانبه كمال بك وأمامهما المخدرات والعنوان : « القبض على أخطر مهرب مخدرات في لبنان ».

وكبادرة حسن نية من كمال بك سجل اخبارية إلقاء القبض هذه باسم أحد أعوان سامي الخوري ليقبض « ثلث » المصالحة ويدفع هذا المبلغ من حصته في المصالحة. وهكذا دفع سامي حصته من المصالحة على المخدرات باليمين واستعادها باليسار. واستمر التهريب على قدم وساق وحتى أصبح اسطول التهريب الخاص بسامي الخوري مؤلفاً من ١٤ سيارة خصوصية من نوع جاكوار وكاديلاك وبويك ورولزرايز، وعادت الشائعات من جديد فطلب كمال بك من سامي اعداد « تمثيلية جديدة » لخداع المسؤولين وألحّ أن تكون كمية المخدرات هذه المرة ١٢٠ كيلو غراماً، ولكن من نفس الحشيش الرديء.

كانت السيارة البويك غير صالحة للعمل في حينه فأمر سامي بجرها إلى مفرق شتورا وهناك وضع فيها ١٢٠ كيلو حشيش حسب طلب كمال بك وجلس بها بالاتفاق سمعان مدوّر وهو خال ميشال مدوّر سائق سامي الخاص. أطبق عليه رجال الجمارك وتكررت التمثيلية المأساة وتكرر ظهور كمال بك في الصحف « على حساب الرأي العام ».

وهكذا طويت صفحة الشائعات ورقّي كمال بك الى رتبة أعلى وعلى حساب سامي الخوري. وأثر ترقيته جرى نقله الى وظيفة هامة في بيروت حيث أصبح مسيطراً على مرفأ بيروت الهام. فنقل سامي الخوري أعمال التهريب إلى مرفأ بيروت يعاونه كمال بك « شريكه في شتورا » سابقاً، وأصبح سامي ينقل المخدرات بواسطة البواخر الفرنسية كالسانت هيلانة،

والمارشال غوفر، والشامبليون[1] ومعظم البواخر التي كانت تدخل مرفأ بيروت فضلاً عن بعض عمليات التهريب التي كانت تحوّل الى شاطئ جونيه والسعديات.

وقد طلب كمال بك من سامي بصراحة تامة أن « يملأ » أوربا بالمخدرات ولكن بعد أن « يرتب » تمثيلية ثالثة لتثبيته أولاً، وإلهاء الرأي العام ثانياً.

اشترى سامي مركباً صغيراً وأمر أعوانه فوضعوا فيه سبع عجلات سيارات ملئت بالحشيش من النوع الرديء، وجروا المركب بواسطة لنش بخاري الى عرض البحر في محلة الجناح، وهناك قطعوا الحبل وتركوا القارب تتقاذفه الأمواج، وفي لمح البصر خرجت من الميناء زوارق مكافحة التهريب المعدّة للمكافحة وانهمر الرصاص على الزورق التائه.

وفي اليوم التالي صدرت الصحف وهي تحمل أخبار عملية المطاردة العظيمة التي قادها كمال بك ضد مهربي المخدرات الذين ألقوا بأنفسهم في البحر.

أول عاصفة بين كمال بك وسامي الخوري :

○ كان سامي الخوري المهرب الكبير يعطف على أبناء منطقته وقد لجأ إليه رجل من زحلة يدعى جورج جحا وقال له : يا ريّس أنا متضايق وعندي سيارة صنعت فيها مخبأ سريًّا وأنا على استعداد لتهريب شيء من المخدرات فيها. أشفق سامي عليه وأمر رجاله فسلموه ٢٠٠ كيلو غرام

(١) باخرة الشامبليون هذه جنحت على شاطئ الأوزاعي بعد اصطدامها بصخرة في حينه وبدأت بالغرق. وقد تمكن آل البلطجي من انقاذ الركاب بطريقة السحب بالحبال والسلاسل فاستحقوا الثناء من الجميع ...

من الحشيش ليوصلها الى جماعته في بيروت .. وتكررت العملية وكان سامي يصطاف في برمانا، حيث اشتبهت دورية جمارك في ضهر البيدر بسيارة جورج فصادرت المخدرات وأوقفته، ولما علم سامي الخوري بالخبر تأثر كثيراً للرجل الفقير جورج جحا وتوجه إلى كمال بك في بيروت على عجل وقال له : كيف تصادر مخدرات وتعلم أنها تخصني ؟

أجابه كمال بك : لأنك لم تطلعني عليها.

قال له سامي : ولكن جورج فقير وأحببت أن أساعده.

قال كمال بك : وهل أعلم بالغيب أن هذه المخدرات تخصك.

أجابه سامي : أنت تعلم جيداً بأنه لا يستطيع أحد تهريب غرام واحد من المخدرات إلّا بمعرفتي وموافقتي.

قال كمال بك : اذن ماذا تقترح أن نعمل لاصلاح الخطأ ؟

أجابه سامي : أني أقترح إبدال المخدرات بنوع رديء، وتستفيد أنت بمبلغ ١٥ ألف ليرة لبنانية.

أجابه كمال بك : أنت ثعلب يا سامي لأنك تعرف نقاط ضعفي.

وفي اليوم التالي تم إبدال المخدرات ودفع كمال بك تقريراً الى رئاسة الجمارك طلب فيه الموافقة على إتلاف المخدرات ..

في تلك الأثناء ألف سامي أضخم شبكة لتهريب المخدرات في الشرق الأوسط وكان يشرف بنفسه على جميع العمليات حتى يضمن نجاحها، كانت الملايين تدخل الى جيبه بسهولة وتخرج منها بنفس السهولة لأنه كان يعيش حياته بالطول والعرض وكأنه سيموت غداً. وفي أعوام ١٩٥١ ــ ١٩٥٢ بدأ يسافر الى أوربا للترويح عن النفس حيث كان يقضي لياليه متنقلاً من امرأة الى اخرى.

كانت عمليات تهريب المخدرات الى مصر تتم بواسطة البواخر وإلى أوربا عن طريق مرفأ بيروت ـــ مرسيليا، وكان كمال بك يتولى عملية تسهيل مهمة سامي مع بحارة المراكب، وكان أعوان وسائقو سامي

يوصلون المخدرات من زحلة إلى المرفأ تحت غطاء كمال بك، وكان أعوانه ينقلونها الى البواخر بمختلف الأساليب فاتسعت أعمال سامي في أوربا وأصبح له عملاء في جميع عواصم أوربا، وكان يدعوهم الى بيروت ويعقد معهم الصفقات ويقبض الملايين مقدماً.

تسلل الحب إلى قلبه وعاش أحلى أيام عمره مع المطربة الفرنسية الشقراء ماريا فانسان التي أصبحت زوجته فيما بعد، وكان أول لقاء له معها في ملهى « الكوردن بلو » في استامبول بتركيا حيث كانت تغني هناك، وكان سامي يحتل طاولة على البيست مع شلة من أصدقائه عندما صعدت ماريا على المسرح فاستقبلت بعاصفة من التصفيق والهتاف، فأخذت تغني بعصبية، وسامي يشرب كؤوس الويسكي ونظراته تسرح على المطربة الشقراء، وفجأة وبينما كانت ماريا تغني سقطت على المسرح مغمياً عليها فارتفع الصراخ والضجيج في الصالة فقفز سامي الى المسرح حالاً وحملها بين ذراعيه إلى وراء الكواليس حيث غرفتها وأخذ ينعشها بالعطور، فأصيبت بنوبة عصبية فراحت تبكي وتضحك. وأخيراً استعادت وعيها فألقت رأسها على صدره وقال له : من أنت ؟ أجابها : أنا معجب وصديق فلماذا أنت تعيسة بينما تدخلين السرور والسعادة إلى قلوب المعذّبين ؟ قالت له : شكراً لك .. وأرجو أن تنتظرني حتى أنتهي من الغناء وسيكون لي حديث طويل معك.

عاد سامي الى شلته، وعادت ماريا للغناء. ولما انتهت خرجت إليه وهي التي لا تجلس مع الزبائن مطلقاً حسب عقدها. وبعد التعارف علم أنها ستسافر عائدةً الى باريس فقال لها : أرجو أن نلتقي بباريس.

قالت له : هل ستسافر إلى بلدنا.

أجابها : اني اعتبر باريس مدينتي الثانية بعد بيروت.

وبعد انتهاء السهرة قرر سامي أن يختصر الطريق معها، فلم ينتظر حتى الصباح، بل عرف رقم الهاتف في فندق ويسدوم الذي تنزل فيه من

« يورغو لاسكو » البلغاري الجنسية وصاحب كباريه الكوردون بلو الذي تغني فيه، وعند الظهر كانت تجلس معه في مقهى ومطعم الأميركانا على ضفاف البوسفور وموجة من السعادة تغمر حياتها.

حدّثها سامي عن بلده لبنان الجميل المضياف الهادئ « طبعاً هذا قبل الحرب الأهلية ١٩٧٥ ــ ١٩٨٩ » حدثها عن زحلة بلدته العريقة وعن منزله ذي السقف القرميدي .. وعن البردوني .. ولكنه لم يعترف لها بأنه مهرب كبير للمخدرات. أما ماريا فقد حدثته عن طفولتها في باريس وعن الفن الغنائي الذي وهبت نفسها إليه وعن ليالي الألم والعذاب بما فيها سبب سقوطها على المسرح. اشتعلت نيران الحب بين سامي الخوري والمطربة ماريا فانسان، فلم يعد بإمكانه مغادرة استامبول؛ فاستأجر لها شقة مفروشة في منطقة « تقسيم » الراقية وهي مثل منطقة الحمراء في بيروت وأبو رمانة في دمشق. وأقام معها صديقاً معززاً مكرماً وحبيباً غالياً لمدة ١٥ يوماً قرر بعدها السفر الى بيروت فأغدق عليها الأموال وطلب منها أن تلغي عقدها مع الكوردن بلو وتلحق به الى بيروت.

لدى وصوله الى بيروت اتصل به كمال بك وسأله عن أسباب تأخره في استامبول فأجابه : لقد وقعت بالحب ولا تخاف فلن يؤثر ذلك على أعمالنا وقد أجريت اتفاقات جديدة مع عملاء لنا في روما.

بعد عشرة أيام وصلت ماريا فانسان الى بيروت فأحاطها بالكرم والحنان واستأجر لها « فيلا » فخمة، ووضع في خدمتها سيدة خاصة، وسكرتيرة، وطباخاً مصرياً، ووضع تحت تصرفها سيارته الكاديلاك وسائقه الخاص ميشال مدوّر ليكون مرافقاً لها أثناء سفره. وبعد اسبوعين سافرت الى باريس للقاء والدتها، فشعر سامي بفراغ كبير اضطره للحاق بها الى باريس. وهناك استغل وجوده فقعد صفقات جديدة مع فريق من كبار تجار المخدرات الفرنسيين. ثم عاد الى بيروت حيث فوجئ بأخبار مصادرة السلطات الفرنسية كميات كبيرة من المخدرات من الباخرة

« سانت هيلانة » في مرفأ مرسيليا الفرنسي. توجه رأساً الى مكتب كمال بك فوجده بانتظاره وبادره بالقول : إن المخدرات المصادرة من سانت هيلانة تخصني ..

قال له سامي : اذن انت تهرب من وراء ظهري.

أجابه كمال بك : أحلفك يا سامي باسم الصداقة والاخوة كي تساعدني لإسكات الضجة هنا وفي الصحف.

وضع كمال بك تحت تصرف سامي الخوري مبلغ خمسة آلاف ليرة لبنانية وتبرع سامي له بمبلغ مماثل حيث تمكن بوسائله الخاصة من قلب التحقيق وتغيير وجهة النظر لدى الصحافة الى المهربين الفرنسيين.

في تلك الحقبة من الزمن تألفت « منظمة البوليس الدولي » التي أطلق عليها اختصاراً اسم « الأنتربول » ودعي كمال بك ليمثل لبنان في أول اجتماع لهذه المنظمة في جنيف. ولدى عودته أعلم سامي أن اسمه كان الموضوع الرئيسي في جميع المواضيع التي بحثت. ولكي يغطي كمال بك نفسه أخذ يتحدث عن سامي مطولاً أمام أعضاء منظمة الأنتربول وشرح عن مدى قوته في لبنان، وقال إنه محاط بعدد من الوزراء والنواب، وأنه مهما فعل فلم يتمكن أن يثبت أية أدلة بحقه لأن سجله العدلي نظيف. اقترح مندوب فرنسا القاء القبض على سامي حين قدومه إلى أي بلد أوربي، وعرض الأمر فرفضه مندوب سويسرا ومندوب ايطاليا والولايات المتحدة، ولكن مندوب فرنسا مقدم الاقتراح وهو المفوض جيلار بوسييه قال إنه مستعد لتوقيف سامي الخوري فور دخوله الأراضي الفرنسية وعلى مسؤوليته الشخصية.

كما طلب كمال بك من سامي أن يتخذ الحيطة والحذر من البوليس الفرنسي بينما كان نفسه يرسل التقارير عنه الى الأنتربول أي أنه كان يلعب على الحبلين.

استمر سامي بارسال المخدرات إلى مصر وأوربا بالتعاون التام مع

كمال بك الذي أصبح دخله الشهري لا يقل عن ٢٠٠ ألف ليرة لبنانية. وعند ذلك قرر سامي احتياطاً أن يسجل صوت كمال بك وأعوانه على أشرطة تسجيل وبدأ ذلك فعلاً على آلات تسجيل أكاي حديثة.

عاد سامي إلى باريس رغم تحذير كمال بك له، عاد كشاب عاشق الى معشوقته ماريا فانسان. وذات يوم وبينما كان سامي وحيداً مع ماريا قالت له : سأقول لك شيئاً مهماً ؟ أجابها سامي : أرجو أن يكون خبراً ساراً سعيداً.

أجابته ماريا : نعم فأنا حامل. (فرح سامي كثيراً وغمرها بالقبلات).

قال لها سامي : اذن يجب أن نتزوج بصورة شرعية وحالاً.

دمعت عينا ماريا وقالت له : الله ما اكبر قلبك يا سامي.

تحوّلت ماريا الى « زوجة شرعية » لسامي الخوري ملك تهريب المخدرات. وسافر معها الى روما لقضاء شهر العسل وكانت هدية الزواج من سامي مليونير المهربين :

١ ــ شقة سكنية اشتراها لها في منطقة الشانزلزيه « ثلاثة ملايين فرنك ».

٢ ــ سيارة كاديلاك « تسجيل مواصلات باريس ».

٣ ــ مجموعة فساتين من محلات كريستان ديور « مئة ألف فرنك ».

٤ ــ خاتماً من السوليتر « عشرين ألف فرنك ».

٥ ــ اسوارة من اللؤلؤ « سبعين ألف فرنك ».

ومع السعادة الغامرة كان سامي يفكر دوماً بالتهريب حتى وهو يقود سيارته الستروين في شوارع باريس، حيث خطرت له فكرة الاكتفاء بتهريب « باز الأفيون » من تركيا الى أوربا ليتخلص من جشع كمال بك الذي أصبح يتقاضى ٨٠٪ من ارباح التهريب المشترك.

عاد سامي الى بيروت ولم يتصل هذه المرة بكمال بك. أرسل سبع

سيارات خصوصية من سياراته المعدة للتهريب من بيروت الى حلب مع سائقين مجهولين في عالم التهريب، وهناك أعد للسيارات مخابئ سرية بمعرفة بعض الميكانيكيين الأرمن المهرة. وبدأت قافلة السيارات هذه تنقل باز الأفيون من تركيا الى باريس .. حيث توزع على مختلف الأقطار الأوربية والأميركية بواسطة شبكة سامي الخوري الدولية. والى جانب هذه العمليات كان سامي يقضي لياليه مع زوجته ماريا فانسان لا يفارقها مطلقاً لأن أعين « الأنتربول » كانت ترصد تحركاته نتيجة وشاية شريكه كمال بك.

تمكن سامي من أن يضلل الأنتربول بأساليب جهنمية لم يسبقه إليها أيّ مهرّب من قبل، فكان السائق اللبناني يحضر السيارة المحمّلة بالمخدرات الى كراج الفندق ويسلم المفتاح الى عامل الكراج، وبعد فترة يحضر أحد عملاء الشبكة وهو يرتدي ملابس عمال محطات البنزين الزرقاء وقبعة خاصة، فيأخذ السيارة بحجة غسلها وتشحيمها. وتفنن سامي في أساليب خداع الأنتربول فكان يتصل بأفراد الشبكة بواسطة اشارات خاصة مثلاً كان يقول في برقياته : كيف أحوال جانين مشتاق لها : وتعني أنه ينتظر العميل حالاً. ويقول في برقية أخرى : لقد حوّلنا الى روزي ٦٠ ألف دولار مصاريف المستشفى » .. ألخ وكمال بك في بيروت لم يهدأ له بال عندما علم أن سامي حضر الى بيروت ولم يزره، فأطلق أعوانه يتجسسون على أخباره والطريقة التي يعمل بها، إلى أن علم أن سامي أرسل سيارة من نوع بويك محمّلة بالمخدرات من تركيا عبر باب الهوى وحلب، وفعلاً كانت خطة سامي تقضي أن يأخذ المدعو عبدالله عطية « لم يعلم سامي أن عبدالله عطية يعمل مخبراً لدى كمال بك » زوجته وولده الصغير بالسيارة من حلب إلى اللاذقية بصفة عائلية ومن اللاذقية يركب السيارة في الباخرة المتجهة الى برشلونة، من ثم يسافر بعد ذلك الى باريس بالسيارة. علم سامي بتحركات السيارة حتى وصلت الى

اللاذقية صباحاً وكانت الباخرة ستغادر ميناء اللاذقية الدولي في الساعة الثانية ظهراً فترك بيروت مطمئناً وعاد الى زحلة ليقضي الليل مع أهله. وفي العاشرة ليلاً اتصل به أحد أصدقاء كمال بك بالهاتف وطلب منه الحضور حالاً إلى بيروت. أغلق سامي الخط وانطلق ينهب الأرض بسيارته الجاكوار حتى وصل بيروت صباحاً. فوجد صديق البيك ينتظره في الشارع وعلائم القلق والاضطراب بادية عليه حيث قال لسامي :

ـــ قبضت السلطات السورية على عبدالله عطية في اللاذقية. فوجئ سامي وقال للصديق : كيف عرفت ذلك وما هي علاقتك باللاذقية ؟ فأجابه الصديق : لقد وصل كمال بك من اللاذقية وطلب مني أن أتصل بك وأعلمك بذلك. فقال له سامي وهو متعجب : لماذا ذهب كمال بك الى اللاذقية ؟ ولماذا طلب منك أن تخبرني ؟

أجابه الصديق : لقد وصلت إلى كمال بك إخبارية سرية علم منها أن السلطات السورية قبضت على عبدالله عطية، وأنهم استجوبوه فكشف أسماء بعض أعوانك في حلب وهم : فيصل حمد، مخائيل مارديني، وصهرك ادوار توما. فتوجه كمال بك لينقذ الموقف وإنه لم يكن يعلم أن البضاعة تخصك.

أجرى سامي بعض الاتصالات السريعة مع أعوانه في بيروت فاكتشف تفاصيل « المؤامرة » بكاملها وهي أن كمال بك علم بالعملية من غابي جرادة صاحب مكتب نقليات من البرج إلى حلب ودمشق وعمان حيث كان يتعامل معه بالإخباريات[1]. وكان عميل سامي الخوري الجديد

(١) في هذه العملية ينفع السلطات جميعها « التعامل » مع أصحاب الكراجات لأنهم يطلعون بحكم عملهم على جميع أنواع المخالفات والمؤامرات وقد شاهدت مع صديق لي صاحب كراج في بيروت الخيوط الأولى لعملية خطف الطائرة الكويتية « الجابرية » ولكننا لم نستطيع القيام بأي عمل لوقف العملية لعدم وجود أي اتصالات في حينه من بيروت للخارج ...

عبدالله عطية، قد سافر من كراجه الى حلب مع عائلته. فتوجه كمال بك بملابسه المدنية الى اللاذقية واتصل برئيس جمارك اللاذقية في حينه « اكرم طبارة » وزوده بالإخبارية ورافقه إلى المرفأ، وقبل رحيل الباخرة بساعة واحدة « شاهدا » سيارة عبدالله عطية بين السيارات المعدّة للشحن فتمت مصادرتها وأنزل عبدالله عطية وزوجته وولده من بين ركاب الباخرة إلى الرصيف. وللحقيقة كان مدير جمرك اللاذقية كريماً وانساناً مع زوجة عبدالله التي تحمل ولدها حيث أمر بايصالها الى الفندق إذا أرادت أو إلى كراج بيروت في اللاذقية لتعود الى أهلها معززة مكرمة لأنها لا ذنب لها بما ارتكبه زوجها. ويا حبذا لو تقف السلطات جميعها هذه المواقف الانسانية الطيبة.

لدى تفتيش السيارة تفتيشاً دقيقاً عُثر على المخابئ السرية وفيها ٧٠ كيلو من باز الأفيون، فأخضع عبدالله عطية لعملية تعذيب وحشية رغم أنه من المعروف أن الضابطة الجمركية لا تستعمل طرق التعذيب والضرب والفلقة التي ورثناها عن العثمانيين كوسيلة لانتزاع الاعتراف من المقبوض عليهم، لأنه من المتعارف عليه أن الجمارك تعتمد في إجراءاتها على المصادرة للأشياء الممنوعة، سواء على السيارات أو البغال، والقاء القبض على المرافقين للممنوعات من الأشخاص ثم قبولها « اجراء مصالحة »، ومعناها : دفع المخالف « مثل قيمة البضاعة المصادرة »، ثم اخلاء سبيله بعد الدفع والتسوية.

ولكن في هذه الحالة ظهر العكس فقد قامت الجمارك بالقبض على عبدالله عطية ومصادرة السيارة، ثم ضغط عليه بالضرب المبرح والتعذيب حتى اعترف على عملاء « حلب » فقط، ولكن كمال بك عمل المستحيل مع أكرم طبارة ليرغم عبدالله على كشف « رئيس الشبكة » أي سامي الخوري « الريّس » ولكنه تقبل التعذيب المبرح ورفض أن يعترف باسم الريّس، سامي بك. وفي صباح اليوم التالي طلب سامي من المحامي

فايز حداد أن يذهب الى اللاذقية حيث عمل المستحيل وأنقذ عبدالله عطية. بينما توجه سامي الى مكتب كمال بك ودخل عليه وهو بحالة غضب شديد، ولما شاهده اضطرب ووقف مرحباً ولكن سامي لم يصافحه بل قاله له بحدّةٍ : بأي صفة ذهبت الى اللاذقية؟

أجابه كمال بك : أقسم لك بشرفي وأولادي بأنني حينما ذهبت الى اللاذقية لم أكن أعلم أن المخدرات تخصك.

قال له سامي بجرأة : أنت لا تقول الحقيقة لأنك تعلم بأني وأنت الوحيدان اللذان نقوم بمثل هذه العمليات .. كان عليك أن تحافظ على عبدالله وسيارته بداعي الشراكة والصداقة .. نسيت عندما كنا نخدع الدولة والرأي العام بالمخدرات « الرديئة » التي كنت تدّعي أن رجالك صادروها.

قال له كمال بك : هدِّئ أعصابك يا سامي لكي أشرح لك الموضوع.

أجابه سامي بعصبية : لا أريد أن أسمع خداعك وغدرك، وسترى من الآن وصاعداً من هو سامي الخوري الذي رفعك وجعلك من أصحاب الملايين والعمارات، وخرج غاضباً من مكتبه وهو مصمم على الانتقام منه على مبدأ « العين بالعين » والبادئ أظلم.

وضع سامي مخططاً جهنمياً لينتقم من كمال بك فأرسل له « مخبراً يثق به » ولكن سامي « زوّد » له فانقلب عليه، فقال المخبر لكمال بك : خبرية مهمة .. يا بيك هنالك شخص فلسطيني يدعى « روحي عساف » يسكن في الدورة قام منذ مدة قريبة بتهريب كمية من المخدرات الى فرنسا لحساب سامي الخوري. ولكي تتأكد من كلامي أرسل من يسأل سفارات تركيا واليونان وفرنسا في أي وقت حصل روحي عساف على تأشيرة منها. ثم أن روحي عساف هذا سيعترف بالتهديد وسيذكر في

التحقيق اسم معلمه سامي الخوري. شرب كمال بك المقلب وقال للمخبر : سأعرف كيف اجعله يعترف ..

كان سامي الخوري قد استحصل لروحي عساف على تأشيرات بالسفر « الفيزة » من السفارات الثلاث على جواز سفره وقال له : اسمع يا عساف بعد أيام معدودة سيقتحم منزلك رجال المكافحة بإيعاز من كمال بك « معلمهم » وسيقبضون عليك ويصادرون جواز سفرك ويفتشون منزلك تفتيشاً دقيقاً ويسوقونك مخفوراً حيث سيقابلك كمال بك شخصياً وليس النقيب عادل، وسيهددك ويشتمك كي تعترف بتهريب المخدرات لصالحي، فعليك أن تشتمه حالاً، وتقابل التهديد بالتهديد .. ولا شك أن كمال بك سينرفز ويضربك لأنه نزق وشرس الأخلاق. ولكن لا تخف لأني معك مهما كلف الأمر.

ــ قال روحي عساف : سأفعل ذلك بطيبة قلب يا ريّس وسأرغم كمال بك لكي يضربني ويعذبني وقد فهمت الخطة تماماً ..

في اليوم الرابع وكما توقع سامي الخوري وبينما كان سامي الخوري في فندق « الكابيتول » في بيروت تلقّى مخابرة هاتفية من صديق كمال بك ومدير مكتبه يقول له أن يحضر حالاً وانه ينتظره في مكتبه لأن الأمر ضروري. عرف سامي الخوري على الفور وتجاهل الموضوع وقال له : اني انتظر بعض الأصدقاء، ولكن الصديق كرر الرجاء لسامي الخوري بالحضور لأن الأمر هام. توجه سامي الى مكتب صديق كمال بك الذي قال له : إن المدعو روحي عساف موقوف لدينا ؟

أجابه سامي الخوري : ومن هو روحي عساف هذا ؟

قال له الموظف : ولو يا سامي بك روحي زلمتك. تحمّس كمال بك وضربه ويرجوك كمال بك ان تتدبر الأمر.

عند ذلك غيّر سامي موقفه وقال للموظف دعني أرى روحي عساف.

فأحضروه محمولاً على اكتاف الدرك وكانت آثار الضرب والتعذيب بادية عليه والدماء تنزف من مختلف أنحاء جسمه بغزارة بالاضافة الى تحطم بعض اضلاعه. وبصورة عامة فإن حالته تدعو للرثاء والشفقة.

شعر سامي بالألم والحزن عندما شاهد روحي عساف بهذا الشكل. فقال لمدير مكتب كمال بك، ماذا فعلتم به، كيف يضرب انسان بهذه الوحشية والقسوة ألا يفتكر من ضربه أن يكون هو نفسه مكانه أيتحمل هذا الضرب المبرح ؟ هل هو بشر أم حيوان ؟ وحتى الحيوان لا يُضرب هكذا.

كان مدير مكتب كمال بك يرجو سامي الخوري أن لا يتسرع ويقدم على أي عمل عدائي لأن كمال بك يتعهد بدفع ما يتوجب عليه لارضاء روحي عساف. ولكن سامي الذي صمم هذه العملية للإيقاع بكمال بك طلب بعض أعوانه إلى المكتب فاستلموا روحي عساف الذي لم يكن موقوفاً بمعنى الكلمة وتوجهوا به حسب خطة « الريّس » سامي الخوري إلى :

١ ــ السفارة الأردنية باعتباره فلسطينياً يحمل جواز سفر أردنياً. حيث شاهده القائم بأعمال السفارة ووعد باتخاذ الاجراءات الدبلوماسية والاحتجاج لدى السلطات اللبنانية.

٢ ــ حملوه إلى منزل عائلته فخرج عشرات الشبان من آل عساف متوعدين مهددين بالاقتصاص من المسؤول الذي عذّب هذا الانسان البريء بلا شفقة ورحمة.

٣ ــ أعادوه الى مكتب المحامي الشيخ بهيج تقي الدين، وما أن شاهده على هذه الحال حتى اتصل بإدارات الصحف فحضر الصحفيون والمصورون، والتقطوا الصور المختلفة لأماكن الضرب والتعذيب حيث صدرت الصحف في اليوم التالي وهي تحمل الصور والعناوين البارزة

« تعذيب الأبرياء من قبل الجمارك » و « قيام مدير ... بتعذيب الأبرياء بنفسه ».

٤ ـ ثم نقل روحي عساف محمولاً على الأكتاف ووراءه مظاهرة كبيرة من أعوان الريس ومن المتعاطفين معه الى منزل مدعي عام التمييز الاستاذ المستشار فرنان أرسانيوس. ولما شاهده استاء من هذا المظهر المرعب وأمر بنقله للاسعاف في مستشفى أوتيل ديو كما وعد باتخاذ الاجراءات القانونية بحق المسؤول.

٥ ـ اتخذ روحي عساف صفة « الادعاء الشخصي » بحق كمال بك وانتقل السيد معاون مدعي عام التمييز الى المستشفى واستمع الى أقوال وإفادة روحي عساف.

في هذه الأثناء كان كمال بك خائفاً وحائراً يرسل أصدقاءه الى سامي الخوري ليسقط الدعوى التي أقيمت من روحي عساف ضده فيقول لهم سامي : أنا لست وصياً على روحي عساف ولا علاقة لي بهذا الموضوع.

أحيلت أوراق الدعوى الى قاضي التحقيق الاستاذ جورج نجيم الذي أرسل مذكرة جلب الى كمال بك ودعاه للتحقيق وكان الرئيس شارل حلو وزيراً للعدل في تلك الأيام ...

أخذ كمال بك يحرض أعوانه على الاضراب والقيام بأعمال مخلة بالنظام العام فعقدوا اجتماعاً لهذه الغاية، وكان لهذا التصرف ردّ فعل في الصحف وأوساط قصر العدل، فقرر المحامون والقضاة القيام بإضراب معاكس إذا لم يأخذ العدل والحق مجراه. وكادت أن تحصل أزمة وزارية، فطلب رئيس الجمهورية من الجيش اللبناني وبموجب أمر رئاسي أن يتسلم مراكز الموظفين في حال إعلان الاضراب.

وبدأ التحقيق فجاء كمال بك مع ٢٠٠ شخص من أنصاره كما حضر حوالي ٣٠٠ شخص من أنصار سامي الخوري ومن زحلة بالذات،

وتحوّل قصر العدل في بيروت إلى مركز للتظاهر وعرض العضلات والمسدسات. ووقف كمال بك أمام المحقق القاضي نجيم وادعى أنه لم يضرب أو يعذّب روحي عساف، وأن رجاله هم الذين اعتدوا عليه بدون علمه، بينما أصرّ روحي عساف واكّد لقاضي التحقيق أن كمال بك هو الذي ضربه وعذبه بالذات، وفي نهاية التحقيق ظهرت نزاهة القاضي نجيم، فأصدر مذكرة توقيف بحق كمال بك حيث أدخل الى سجن الرمل وما حدا أحسن من حدا.

قضى كمال بك اسبوعاً في سجن الرمل حتى هدأت الأمور .. ولما خرج من السجن اتصل بحنّا يزبك وطلب منه أن يصالحه مع سامي الخوري فوافق سامي على المصالحة التي تمت في منزل حنا يزبك حيث احتضنه كمال بك وعانقه بحرارة معتذراً منه فقال له سامي :

ــ بسيطة واحدة بواحدة ..

وعادت الامور الى مجراها بينهما في المشاركة بعمليات التهريب حيث عادت قافلة سيارات سامي الخوري تنقل باز الأفيون من تركيا الى باريس وجميع أوربا، بالإضافة الى استغلال سامي لصداقته مع عدد من السياسيين والدبلوماسيين ويرسل معهم حقائب المخدرات لأن هذه الحقائب لا تفتش باعتبارها « حقائب دبلوماسية ».

اعتقال وسجن سامي الخوري في باريس :

○ أثناء هذه الحوادث كان سامي لا يقطع رسائله عن زوجته ماريا فانسان وهي تقيم في شقتها بباريس. وفي تاريخ ١٩٥٦/١٠/٥ توجه الى باريس حيث كانت تنتظره زوجته التي قضى معها اسعد الأيام. وقد حضر الى باريس احد أعوانه ويدعى أنطوان صدوق. ولم يكد يجتمع معه في أحد ملاهي الرصيف المشهورة حتى لاحظ وجود مراقبين من رجال

الأنتربول حولهما. وخشية ان يلحق بأنطوان أي مكروه طلب منه سامي العودة حالاً الى بروكسل لمتابعة الأعمال، وبقي وحده في منزل الزوجية. ومع ذلك استمر الأنتربول بمراقبته. فلم يهتم بالأمر لأنه لم يكن يزاول أي نشاط أو عمل ممنوع.

انقضت ثلاثة أيام ورجال الأنتربول وراءه كخياله ويحصون عليه أنفاسه. وقد سافر لوحده بالقطار الى مرسيليا لمقابلة بعض المهربين من كورسيكا. ولما ترجل من القطار شاهد رجال الأنتربول يسيرون وراءه وقد تمكن من تضليلهم، وقام بزيارته وعاد الى فندقه في مرسيليا فشاهدهم ينتظرونه أمام الفندق، فابتسم لهم وحياهم.

كان سامي في اليوم التالي يتجول في شوارع مرسيليا مستعملاً سيارات التكسي، وكان يشاهد دائماً سيارة خصوصية « بيجو » تطارده من مكان لآخر، فسجل رقمها وأعطاه الى صديق له في مرسيليا تأكد أن السيارة تخص المباحث الجنائية ومكتب فرع الأنتربول الفرنسي هو قسم من قوى الأمن الداخلي.

توجه إلى مطار مرسيليا للعودة الى باريس فشاهد سيارة الأنتربول تلاحقه ولما وصل إلى المطار وجلس في الصالون وجدهم بجانبه .. لم يتركوه أبداً حتى عندما صعد الى الطائرة كان أحدهم يجلس في مقعد مجاور له. وحين وصل الى باريس كانت زوجته تنتظره بسيارتها الكاديلاك في المطار. انطلق سامي بالسيارة وتمكن من تضليل دورية الأنتربول وعاد الى منزله، وبعد استراحة قصيرة حاول الاتصال مع صديق فأحسَّ أن الخط مراقب، وأن الأنتربول سوف يتخذ معه أي اجراء.

فعلاً كان تخمينه في محله فقد حضرت بعد ثلاثة أيام قوة من رجال الأنتربول، وأبلغوه أن لديهم أمراً من النيابة العامة في باريس باعتقاله وتفتيش شقته الزوجية.

فتشت القوة الشقة تفتيشاً دقيقاً، وقد سألوه عن دفتر التلفونات فابتسم لأنه كان يحفظ في ذاكرته حوالي ألف رقم هاتف « مثل الكمبيوتر في هذه الأيام ». وبينما كان رجال الأنتربول يفتشون الشقة وصل أحد تجار المخدرات من كورسيكا ويدعى « جوزف ميلاني » كان يحمل معه عشرة آلاف دولار فقبضوا عليه واتهموه بأنه جاء ليشتري منه المخدرات، نقل سامي وجوزف الى مركز الأنتربول وهناك كان حوالي ٣٠٠ موظف أمن ينتظرون مشاهدته ويتحدثون عنه باستغراب.

أدخل سامي الخوري الى مكتب المفوض جيلار « مدير فرع الأنتربول الفرنسي » الذي تبنى قرار إلقاء القبض عليه في جلسة مدراء فروع الأنتربول وكان يضع أمامه على الطاولة صوراً وتقارير وملفات ضخمة تتعلق بنشاطه الواسع في عالم التهريب حيث بدأ بالتحقيق معه. وأثناء التحقيق كان جيلار يتصل بروما وواشنطون وجنيف ويقول لرؤساء فروع الأنتربول في هذه البلاد : « لقد قبضنا على سامي الخوري » وكان من جملة التحقيق عرض صور أعوان سامي الخوري عليه وحتى صورته ولكنه أنكر معرفته حتى بنفسه. ثم عرضت عليه الدراهم التي صودرت من جوزف ميلاني وقال له جيلار : أليست هذه الدراهم ثمناً للمخدرات التي كان سيشتريها منك ميلاني .. ؟ فأين تضع المخدرات وتخفيها ؟

ـــ أجابه سامي الخوري : أنا لا علاقة لي بهذا الانسان ولا بالمخدرات.

ولكي يؤكد المفوض جيلار لسامي الخوري أن لديهم تقارير ووثائق بحقه عرض عليه التقارير التي وصلته من بلده لبنان « طبعاً التقارير التي كان يرسلها كمال بك للايقاع به لدى الأنتربول الفرنسي والدولي » أيضاً قال سامي لجيلار المحقق : « إن هذه التقارير بحقي كاذبة ومغرضة للإيقاع بي ولا ترتكز على أدلة ثابتة » ولكن المفوض جيلار أشار الى توقيع كمال بك على التقارير باسمه الصريح وقال له : هل تعرف لمن

هذا التوقيع .. ؟ فابتسم سامي بسخرية وقال : لقد سمعت بأنه يعمل في مكافحة تهريب الدخان في بيروت.

أحيلت الأوراق الى النيابة العامة الفرنسية، وعين المحقق « فرناند كولاتي » ليتولى التحقيق معه « قام سامي الخوري بتوكيل المحامي الفرنسي موريس غارسون » الذي كان يحضر معه جميع مراحل التحقيق ولمدة عشر ساعات يومياً، وكان المحقق فرناند مصاباً بعقدة « الظهور » فكان يتصل يومياً بالصحف ووكالات الأنباء العالمية ويزوّدها بمعلومات غريبة عن نتائج التحقيق مع سامي الخوري مثل :

ـ تمكن المحقق كولاتي من فك عقدة لسان المهرب الكبير سامي الخوري.

ـ المهرب الدولي سامي الخوري يعترف بأنه أغرق باريس بالمخدرات.

ـ شبكة دولية لتهريب المخدرات تعمل مع ملك المخدرات في العالم.

ولكن الصحيح أن التحقيق كان يدور في حلقة مفرغة، وأن المحقق القاضي كولاتي لم يتمكن من الوصول الى أيّ نتيجة ايجابية، فوجد نفسه في مأزق تجاه الرأي العام ووزارة العدل الفرنسية، لأن التقارير وقصاصات الصحف التي يحويها ملف التحقيق مع سامي الخوري لا قيمة قانونية لها. فاستناب المحقق البوليس الدولي ليعاونه في جمع الأدلة لادانة سامي الخوري، وأرسل عدداً من رجال الأنتربول الفرنسي إلى إيطاليا، وكندا، وكورسيكا، وهافانا، وبيروت، ليجمعوا له المعلومات الصحيحة والأكيدة عن سامي الخوري. قام هؤلاء بحملة توقيف واسعة شملت فريقاً كبيراً من أنصاره في كورسيكا، ومرسيليا، والكوت دازير، وباريس، ولكن أحداً منهم لم يذكر اسم سامي الخوري ...

واستمر التحقيق يدور في حلقة مفرغة. وفي بيروت استجوب فرع الانتربول ٢٠ شخصاً من أصدقاء وأقارب سامي، وحصلوا على أمر من النيابة العامة بتفتيش عنابر البريد حيث استخرجوا جميع نسخ البرقيات المرسلة من بيروت الى باريس ومرسيليا، ولكنهم لم يحصلوا على برقية واحدة مرسلة باسمه. ومع هذا جلبت هذه البرقيات الى المحقق كولاتي فعرضها عليه ولكنه قال له : أنا لست مسؤولاً سوى عن توقيعي وخطي .. وكان سامي الخوري يعاد للسجن يومياً أثناء هذه الاتصالات الدولية بخصوصه.

عمل الأنتربول الفرنسي جهده ليحصل على أدلة ضده فقام بالكشف على سجلات ١٣ فندقاً في باريس تردد إليها سامي بقصد معرفة الأشخاص الذين يترددون لهذه الفنادق أثناء وجود سامي فيها ويغادرونها عندما يتركها.

بلغ وزن ملف التحقيق مع سامي الخوري ١٥ كيلو غراماً دون أن يتمكن القاضي كولاتي بعد « سبعة أشهر » من توقيف سامي الخوري من الوصول الى نتيجة. وفي هذه الأثناء كان كمال بك لا يزال يرسل التقارير الى الأنتربول الفرنسي حول نشاط سامي الخوري « السابق » ولكن هذه التقارير كان مصيرها الإهمال لأنها لم تشكل أمام القضاء الفرنسي العريق أيّ دليل قانوني.

تحرك الحكومة اللبنانية لمساعدة سامي الخوري :

○ كانت أنباء استمرار توقيفه مدة سبعة أشهر بدون إحالته للمحاكمة تصل الى لبنان بلده والى المسؤولين بالذات الذين شعروا بالغبن الذي لحق بمواطنهم « رغم أنه معروف في لبنان بالمهرب الكبير »، ولكن الانسانية تقضي بمساعدته. فأرسلت وزارة الخارجية اللبنانية مذكرة إلى

وزارة العدل الفرنسية بواسطة السفير اللبناني في باريس « في حينه » الاستاذ أحمد الداعوق وعن طريق وزارة الخارجية الفرنسية؛ تقول هذه المذكرة : لماذا يستمر توقيف المواطن اللبناني سامي سليم الخوري هذه المدّة الطويلة بدون تقديمه الى المحاكمة ؟

وكان الجواب الفرنسي : إننا نحقق معه في الوقت الحاضر وليس لدينا أن نقول اكثر من ذلك.

ولكن المدعي العام الفرنسي الذي استلم نسخة عن استفسار الحكومة اللبنانية ألحّ على المحقق كولاتي قائلاً : أطلق سراحه أو حوّله الى المحاكمة. فقرر المحقق كولاتي إخلاء سبيله بكفالة ٣ ملايين فرنك فرنسي وتم دفع الكفالة واخلاء سبيله بحضور وكيله المحامي موريس غارسون.

كانت زوجته ماريا فانسان تزوره أثناء توقيفه. وحين كان يوضع في الزنزانة الضيقة يرسل لها الرسائل العاطفية. ولما خرج من السجن كانت بانتظاره مع المحامي اللبناني عادل خلف الذي اطمأن عليه، وعاد الى بيروت بينما قضى سامي ٢٠ يوماً في باريس مع زوجته يسهر حتى طلوع الفجر وكأنهما في شهر عسل. ثم قرر العودة الى لبنان وفي مطار بيروت كان المئات في انتظاره، وكأنه بطل وليس كان موقوفاً لأجل تهريب المخدرات. فعاد الى زحلة محط رحاله والتقى أهله وناسه وقضى بعض الأيام الهادئة في كنف عائلته.

لم تمضِ خمسة أيام على استراحته في زحله حتى فوجئ بتاجر المخدرات المدعو علي الحموي، وهو من أصدقاء كمال بك، فطلب مقابلة سامي الخوري في منزله ولما اجتمع به قال له إن كمال بك يريد مقابلته. وفي اليوم التالي ذهب سامي لمقابلته فرحب به كمال بك على طريقته بتناسي ما جرى أو « التطنيش » وقال له : « كانت أفكاري قلقة عليك، وكم تمنيت لو قدرت على مساعدتك ».

أجابه سامي الخوري بلهجة ساخرة : لقد ساعدتني بدون أن تشعر بتقاريرك السامة التي كنت ترسلها بحقي للأنتربول الفرنسي.

قال له كمال بك : أقسم بشرفي وأولادي أني لم أكتب تقريراً واحداً بحقك.

أجابه سامي : أترك شرفك وأولادك بحالهم ؟ لأنني شاهدت توقيعك شخصياً على التقارير ؟ هل كنت تريدني أن أفضحك وأقول انك شريكي ولدي الاثبات القاطع.

قال كمال بك : لننس الماضي ونفتح صفحة جديدة.

سامي لكمال بك : أنت دائماً تريد نسيان الماضي ساعة يحلو لك ذلك.

وتمت المصالحة بين الاثنين بحذر شديد من قبل سامي. وعادا للتهريب معاً طيلة عام ١٩٥٧. وفي ليلة الميلاد المجيد عام ١٩٥٨ « تمنت » والدة سامي الخوري عليه بعد عودتها من الكنيسة وادائها الصلاة في الهيكل أن يترك التهريب وحياة المغامرات وقالت له : لقد جمعت يا ولدي ثروة كبيرة من التهريب فاعمل بها بالتجارة والمقاولات فترتاح من السجن والمطاردات. أرجوك يا ولدي لا تخالف ارادتي. فوعدها على أن يترك التهريب اكراماً لطلبها وخشيتها عليه. وفعلاً ابتعد عن طريق كمال بك وأوقف عملياته معه، ولكن هذا القرار لم يرق لكمال بك، فعاد يتآمر عليه من جديد حيث جمع حوله عدداً من المهربين الصغار فتألفت تحت اشرافه على طريقة حاميها حراميها شبكتان للتهريب :

ـــ الأولى مؤلفة من صبحي الخضري ونعمة جبّان (فلسطينيان) وقد تخصصت بالتهريب الى القاهرة.

ـــ الثانية مؤلفة من سعدالله شاوي وانطوان خوري (لا يقرب سامي الخوري بطل قصتنا) ومهمتها تهريب الدخان الأجنبي.

وكان أفراد الشبكتين يعملون رغم حماية كمال بك لهم وهم يلتفتون الى الوراء خوفاً وخشية من سامي الخوري، وهم يعلمون مع معلمهم كمال بك أنه طالما كان سامي الخوري حراً طليقاً فإنه يخيفهم ويظل حجر عثرة في طريق أعمالهم.

مؤامرة جديدة ضد سامي الخوري :

○ تمكن كمال بك بحكم مركزه من اقناع المدعي العام اللبناني « في حينه » الاستاذ منير محمصاني ومدير الشرطة العقيد عزيز الأحدب بأن سامي الخوري « خطر كبير » طالما أن العهد الجديد قرر مكافحة المخدرات وتهريبها، وفي مكتبه وضع مخطط الايقاع بسامي الخوري.

اتصل المفوض عبد الكريم حمد رئيس مكتب مكافحة المخدرات بدون أن يكون له معرفة مع سامي الخوري ودعاه الى منزله ليشرب معه فنجان قهوة وفي منزله بدأ الحديث معه : أهلاً وسهلاً خواجه سامي.. كنت أنتظر زيارتك منذ زمن طويل.

ـــ سامي الخوري : لم تسمح لي الظروف أن التقي بك قبل دعوتك الكريمة يا حضرة المفوض وأنا مستعد لأي خدمة.

ـــ قال له المفوض حمد : أريد أن أقول لك شيئاً مهماً خواجه سامي وأنا أخجل من ذلك.

ـــ أجابه سامي الخوري : ليس بين الأصدقاء احراج أو خجل يا عبد الكريم بك.

ـــ تابع المفوض كلامه : في الواقع أنا استدعيتك بدافع الأمل لأني

واقع في مأزق مادي وديون وأنت تعرف أن راتبنا لا يكفي فأرجو المساعدة بمبلغ من المال.

ــ استجاب سامي الخوري « بعفوية » لرجاء المفوّض الحمد المعقول حسب اعتقاده وأخرج من جيبه ٥٠٠ ليرة لا يحمل غيرها وأعطاها للمفوض وحاول الخروج. ظهر من الغرفة المجاورة ومن وراء الستائر العقيد الأحدب مع بعض رجال المباحث « من الكمين الذي نصبوه لسامي الخوري بالتواطؤ مع المفوض حمد » وقبضوا عليه بتهمة « رشوة مدير مكتب المخدرات ». وصدرت الصحف في اليوم تتحدث باسهاب عن اعتقال المهرب الكبير سامي الخوري. وأرسل الى السجن ثم قضت محكمة الجنايات بحبسه تسعة اشهر ولكنه ميّز الحكم فخفض الى أربعة اشهر، وجاء في حيثيات الحكم الذي صدر عن محكمة التمييز العليا ما يلي : إن المفوض عبد الكريم حمد ورؤساءه استعملوا مع المدعى عليه وسيلة وليس غاية .. ».

خرج سامي الخوري من السجن وهو مصمم فعلاً على ترك التهريب، وتنفيذ رغبة والدته رغم ما أصابه من كمال بك، افتتح مكتباً تجارياً « على البور » أي قرب مرفأ بيروت وخصصه لاستيراد وتصدير البضائع الألمانية من سيارات وبرادات وراديوات. وأخذ يسافر كل شهر مرة الى المانيا، ولكنه كان بدون خبرة فيشتري البضائع بأسعار باهظة جداً ويبيعها في بيروت بالخسارة.

وكان مكتبه لا يبعد سوى ٢٠٠ متر عن مركز مكافحة التهريب. وكان يرى السجائر الأميركية المهربة تباع علناً وعلم أن الشبكة التي يرأسها سعدالله شاوي وأنطوان خوري تستورد شهرياً ألفي صندوق من السجائر الأميركية من عميلها اليهودي « سامي بوزال » وعنوانه : « ٤٢ ــ شارع لاهاي ــ طنجه ــ الدار البيضاء » وعلم أن عمليات التهريب هذه تجري من طنجه الى بيروت بواسطة باخرتين من مخلفات

الجيش البريطاني، الأولى تدعى « سكارموف » والثانية « أندروميدا » كما علم أن الأرباح الشهرية لتهريب الدخان الأجنبي تبلغ « ٩٠٠ ألف ليرة لبنانية » توزع بين أعضاء الشبكة وكمال بك وبعض الذين يغضّون النظر عن التهريب.

راودته نفسه وهو الاختصاصي في عمليات التهريب : لماذا لا يستورد من وقت لآخر كمية من السجائر الأجنبية ؟ وقد دب الحنين في نفسه الى حياة المغامرات بعد ما أرهقته الخسائر الكبيرة التي لقيها في « التجارة الشريفة ». وكان يضع نصب عينيه الوعد الذي قطعه لوالدته بالابتعاد عن التهريب، وفي هذه الحالة النفسية المضطربة سافر الى المانيا وهو في حيرة من أمره وأفكار كثيرة تتخبط في ذهنه. ولكن إغراء التهريب وسهولة الحصول على الأموال منه « غلبت » عليه .. وفي المساء ركب الطائرة الى طنجة وهناك اتصل بأصدقائه القدامى ورسم معهم خيوط عملية جديدة لتهريب الدخان الى بيروت هذه المرة. وما حدا أحسن من حدا.

اشترى سامي الخوري مركباً سماه « الكول » ثم وظّف لقيادته قبطاناً فرنسياً يدعى « هنري برغاس » وكلفه بتجهيز المركب تجهيزاً حديثاً، على أن يكون بثلاثة محركات اثنين بقوة ٥٥٠ حصان ديزل والثالث بقوة ٢٥٠٠ حصان ويعمل على البنزين ويستعمل في حالات الطوارئ ووضع فيه جهاز اتصال لاسلكي ليبقى على اتصال مع القبطان وأوصى أن تكون سرعته ٣٠ ميلاً بحرياً في الساعة على أن لا يُسمع صوت محركه.

رجع سامي الخوري الى بيروت بدون أن يشعر أحد بعودته الى عمليات التهريب وأخذ يتنقل من شقته على الروشة الى زحلة. وبعد شهر تلقى برقية من القبطان برغاس يعلمه فيها أن المركب أصبح جاهزاً فسافر حالاً الى طنجة واشترى ٤٥٠ صندوقاً من السجائر الأميركية وأعطى

القبطان التعليمات للتوجه الى الشاطئ اللبناني. وتابع سفره الى المانيا ليبعد الشبهات عنه.

قبل أن يتحرك المركب من طنجه علم اليهودي سام بوزال الذي يؤمن الدخان الى شبكة سعدالله وأنطوان بالعملية فأبلغهما فوراً وخشيا على أعمالهما عندما علما أن سامي الخوري « عاد » والعود أحمد إلى عالم التهريب، فتوجها فوراً الى مكتب كمال بك وأعلماه بأن سامي الخوري عاد للتهريب ودخل على خط تهريب الدخان وأنه دفع مركباً مملوءاً بالدخان يتجه الآن قادماً من طنجه وإن معلوماتنا أكيدة.

هزّ كمال بك رأسه وقال : غريب .. إن هذا الانسان لا يهدأ ولا يمكن له أن يترك التهريب لأنه يجري في دمه، وأنا سأعرف كيف أقضي عليه أما أنطوان فقال بعصبية : سوف أقتله اذا وصل مركبه سالماً الى الشاطئ. وبدأ الثلاثة برسم خيوط المؤامرة الجديدة.

اتصل سعدالله ليلاً بسامي الخوري وقال له : أريد ان اجتمع بك مع شريكي انطوان لمدة خمس دقائق. أجابه سامي الخوري : اذا كان الأمر ضرورياً فإني انتظركما في شقتي، وجاءا الى شقة سامي ووقفا امامه « بحركة تمثيلية » بخوف ورهبة، ولم يجلسا حتى سمح لهما الريس، حيث بادراه بالقول : علمنا أنك يا ريّس اشتريت مركباً وشحنته بالسجائر الأميركية وهو متوجه الآن الى بيروت. وبما أننا نعمل في تهريب الدخان، فقد جئنا نضع أنفسنا تحت تصرفك، لنعمل بمعيتك.

قال لهم سامي الخوري : وأي مصلحة لي في ذلك.

قالا له : لقد جئناك للتشاور .. حتى إذا رغبت أن نترك التهريب لك فإننا على استعداد لتنفيذ تعليماتك.

صدّق سامي الخوري كلامهما وأشفق عليهما (كما يقال ــ غلطة الشاطر بألف ــ) واتفقوا على العمل معاً وتقاسم الأرباح، وأعلمهما أن

مركبه « الكول » سيصل بعد يومين الى مكان على الشاطئ اللبناني، وأنه سيرسلهما الى القبطان بكلمة سرّ ليسلمهما صناديق السجائر. كان سامي الخوري يتكلم معهما بعد أن وثق بهما بصدق وشرف وهو يطلعهما على هذه التفاصيل لأن الأعمال بين المهربين لا تقوم إلّا على كلمة « الشرف » والجدعنة كما يقال في مصر. وتتمة للثقة وتكريماً لزيارتهما في شقته، أكمل الاتفاق معهما بالمحاسبة عن الـ ٤٥٠ صندوق سجائر حيث ترتب له معهما مبلغ ٦٥ ألف ليرة لبنانية دفعا له منها مبلغ ١٥ ألف ليرة وأخذا يتذمران بأن بضائعهما في السوق وأن كمال بك لا يتركهما يتنفسان حيث يقبض حصته « سلفاً » عن كل عملية تهريب.

وصل المركب إلى الشاطئ اللنباني وكان سعدالله وأنطوان يزوران سامي بصورة مستمرة حيث يقدم لهما الويسكي ويتحدثان عن العمليات « الموهومة » التي سيقومون بها معاً. وفي نفس الوقت قرأ سامي الخوري أنباء في الصحف اللينانية عن تمشيط وتحركات تجريها البحرية اللبنانية على الشاطئ فقرر أن يرسل الى القبطان برغاس أن يعود بالمركب الى قبرص حتى تهدأ الأحوال وكتب رسالة بهذا الخصوص سلمها الى سعدالله ليوصلها الى القبطان ليعود الى قبرص لأن الحالة لا تسمح بالتهريب.

توجه سعدالله الى كمال بك رأساً وسلمه الرسالة حسب الخطة فقام الأخير بابدال الرسالة التي كتبها سامي الى القبطان برسالة ثانية على لسان سامي الخوري يطلبون فيها من القبطان أن يتوجه حسب ارشاداتهم، أرسل كمال بك عدداً من رجاله باللباس المدني في زورق الى حيث كان المركب ينتظر، وكان سعدالله مع موظفي المكافحة المتنكرين بملابس المهربين الذين أوهموا القبطان بأنهم من رجال سامي الخوري فانخدع القبطان واعتقد فعلاً أنهم من رجال سامي الخوري فتوجه معهم الى الشاطئ، بينما توجه فريق كبير من رجال مكافحة التهريب الى شقة سامي

الخوري واعتقلوه وساقوه الى مركز الجمارك. ففقد أعصابه بعد أن تكشفت له المؤامرة الدنيئة وطلب مقابلة كمال بك فلم يوافق فشتمه أمام موظفيه بشتى الألفاظ.

في اليوم التالي استدعاه الى مكتبه ونهض كمال بك من وراء مكتبه وقال لسامي « كعادته » : أنا متأسف لما حصل وحزين لأن الأوامر صدرت اليّ من الجهات العليا .. فلم أتمكن من أن أرسل لك خبراً ..

أجابه سامي الخوري : يا عيب الشوم عليك ألهذه الدرجة وصل بك الحقد على من خدمك. فلقد طعنتني اكثر من مرة وما زلت تنكر وتدعي لي الصداقة وخرج من مكتبه عائداً مع الدركي الى التوقيف.

وفي اليوم التالي بدأ الملازم جورج فرحات التحقيق معه. فسأله الملازم فرحات عن المركب : أجابه لا علاقة لي به ولا أعرف عنه شيئاً. ولكن أحيل سامي مع القبطان الى اللجنة الجمركية التي قضت بتغريمه « مليون ليرة لبنانية » فاعترض على هذا الحكم أمام المحاكم المدنية المختصة ودفع مبلغ ١٥ ألف ليرة ضمانة حسب القانون اللبناني فأخلي سبيله. وبعد ثلاثة أيام أخلي سبيل القبطان والبحارة. وقد تمكن من الحصول على صورة « كوبي » عن ضبط الجمارك الذي جاء فيه ما يلي :

« إننا نحن رجال الجمارك بتكليف من الرئاسة خرجنا بالألبسة المدنية منتحلين صفة المهربين الى خارج المياه الاقليمية بمسافة تزيد عن الـ ٢٠ كيلو متراً فصادفنا المركب المسمى (الكول) فخدعنا القبطان والبحارة برسالة مزيفة وتمكنا أن نستدرجهم الى الشاطئ حيث قمنا بمصادرة المحمول من الدخان بموجب الكشف المرفق ».

أثناء خروج سامي الخوري من التوقيف تعمّد المرور الى مكتب كمال بك وقال له في وجهه : أهلاً بالبطل، فاصفرّ وجهه وقام من وراء طاولته

وقدم لسامي سيجارة « بيد مرتجفة » وقال له : يجب أن نتفاهم من الآن وصاعداً ..

أجابه سامي : على ماذا تريدني أن أتفاهم معك بعد أن « خربت بيتي » وأنا سوف أفضحك أمام المحكمة وفي أول جلسة وسوف ترى ما يحل بك. فبدا الشحوب على وجه كمال بك وحتى الدموع انهمرت من عينيه فأدار وجهه عن سامي الخوري الذي خرج من مكتبه وهو يقول له : يا جبان.

العدالة اللبنانية العريقة ومكر بعض رجال الجمارك :

○ كان سامي الخوري يتردد بعد ذلك الى القصر العدلي في بيروت ليتابع قضية الملاحقة لدعوى المركب « الكول » وبعد ثلاث جلسات أمام القضاء اللبناني العريق صدر الحكم لمصلحته بقرار يقضي باعادة الوضع الى ما كان عليه. وجاء في الحكم صراحةً أن رجال الجمارك « استدرجوا » المركب من خارج المياه الاقليمية اللبنانية وهذه طريقة غير قانونية للإثبات. طلب كمال بك حالاً من ادارة قضايا الدولة نيابة عن الجمارك استئناف الحكم. وتبعاً لذلك اضطر القبطان برغاس والبحارة الى البقاء في بيروت حتى تفصل محكمة الاستئناف بالقضية. فاستأجر الريّس لهم شقة مفروشة، وكان يمدهم بالمال، وكان القبطان والبحارة يترددون الى المركب بقصد التنظيف وتشغيل المحركات بعض الوقت حتى أصبحوا على صداقة مع رجال الجمارك المكلفين بالحراسة.

في أثناء فترة الانتظار لقرار محكمة الاستئناف سافر سامي الخوري الى المانيا لتصفية الأمور التجارية ولما علم كمال بك بسفره اتصل بالقبطان برغاس ودعاه ليشرب فنجان قهوة معه وفي مكتبه بادره كمال بك : إنكم ستخسرون الدعوى في الاستئناف ومع هذا فنحن « أي

الجمارك » مستعدون أن نعيد لك الباخرة ومع السجائر وسنسقط حقوقنا عنكم « شرط » أن لا تقيم دعوى عطل وضرر على الجمارك.

أجابه القبطان برغاس : نحن سنربح الدعوى عليكم بالتأكيد.

ابتسم كمال بك وقال للقبطان : لكن « معلمك » سامي بك خارج لبنان ؟ فطلب منه القبطان مهلة للتفكير في الموضوع.

بعد أيام رجع سامي الخوري من ألمانيا فأخبره القبطان بما حصل له مع كمال بك فاستكتبه ذلك خطياً وسلم الوثيقة الى وكيله المحامي محسن سليم الذي قدمها الى محكمة الاستئناف وضمت الى الملف. ثم سافر سامي الى فرانكفورت في المانيا لتصفية بقية أعماله هناك مرة ثانية وهو لا يدري بأن كمال بك يتابع حياكة المؤامرات ضده بمعاونة أنطوان وسعدالله حيث استغلوا وجوده بألمانيا وأقنعوا فرع الأنتربول في بيروت لإعلام فرع أنتربول ألمانيا مدينة « فيس بادن » عن نشاطه السابق و « احتمال » كونه يوزع المخدرات أثناء وجوده في فرانكفورت. وللعلم كان سامي الخوري قد انقطع عن تهريب المخدرات وخاصة لألمانيا منذ ثلاث سنوات في حينه.

جرى اعتقال سامي الخوري في مطار فرانكفورت من قبل رجال الأنتربول وجرى تفتيشه وتفتيش شقته تفتيشاً وهم يعتقدون أنهم سيعثرون على كميات كبيرة من المخدرات، ولكنهم لم يعثروا على أية مواد ممنوعة. وفي مركز الأنتربول بدأ التحقيق معه مثل باريس استناداً لتقارير لا ترتكز على أية أدلة مادية. وقد وكّل محامياً المانيا للدفاع عنه هو الاستاذ « ورنر شتوك » كان يشغل وظيفة مدعي عام سابقاً ويرتبط بصداقات مع جميع القضاة، وفي أول زيارة له في التوقيف أخبره محاميه أنه قابل المدعي العام الهر كرو وأبلغه أنه بريء، وأنه سيخرج من السجن فور إحالته من قبل قاضي التحقيق للمحاكمة.

وفعلاً عين تاريخ ١٩٦٢/٨/٨ موعداً للمحاكمة حيث يكون مضى على اعتقاله ١٥ يوماً وهذه مدة طويلة جداً في أوربا. في هذه الأثناء توجه المتآمران انطوان وسعدالله الى شقة القبطان برغاس وأخذاه معهما الى مكتب كمال بك وهناك أطلعوه على الصحف التي تتحدث عن اعتقال سامي الخوري في ألمانيا ووضعوا أمامه على طاولة كمال بك مبلغ ستة آلاف دولار مقابل توقيعه على « إقرار » بأنه كان في داخل المياه الاقليمية اللبنانية لدى اعتقاله وأقنعوه بأن معلمه لن يخرج من السجن خلال عشر سنوات، وأنه حين يوافق فسوف يخلى سبيله مع المركب والبحارة ويعود الى زوجته وولده في طنجة، وقّع برغاس على الاعتراف وقبض المبلغ. أما كمال بك فقد صادق على الاعتراف من قنصل فرنسا وضمّه الى دعوى المركب أمام الاستئناف. تمت إحالته الى المحكمة في فرانكفورت وتقرر اخلاء سبيله حيث لم تثبت ادانته ولكن فرع الانتربول طلب الاحتفاظ بتوقيفه للاتصال مع الأنتربول اللبناني وقد وردت البرقية الآتية الى بيروت :

« من فرع الأنتربول في فيس بادن الى فرع الأنتربول في بيروت — اشارة لرسالتكم رقم ٣١٢ تاريخ ١٩٦٢/٧/١٣ عيّنت جلسة لمحاكمة سامي الخوري ولم تثبت بحقه أية أدلة سيخلى سبيله حسب الاصول لدينا في ١٩٦٢/٨/١٨ اعملوا اللازم لاسترداده قانونياً إذا كان بحقه شيء لديكم لكي لا يخلى سبيله هنا.

(أنتربول مدينة فيس بادن)

علم كمال بك بهذه البرقية وأقنع الدوائر العدلية بأنه من الضروري أن يسلم سامي الخوري موقوفاً، فأبرق الأنتربول اللبناني الى زميله الألماني ما يلي : لا تفرجوا عن سامي ونرجو إرساله موقوفاً حسب الأصول ».
خشية الانتظار فقد طلب سامي الحوري بعد أن أعلمه محاميه لطلبه من قبل الحكومة اللبنانية .. هكذا يقولون الحكومة .. الحكومة .. والحكومة

لا تدري أنها أمور شخصية وقضايا تهريب وتصفيات .. ألح أن يكون السفر على حسابه له وللمرافق الذي سيتولى مهمة تسليمه للأنتربول اللبناني. وفعلاً حجز له محاميه الاستاذ شتوك محلين على متن طائرة الميدل إيست ـــ شركة الطيران اللبنانية المعروفة.

وصل سامي الخوري مع الضابط الألماني الى مطار بيروت الدولي فوجد بانتظاره مندوب فرع الأنتربول اللبناني والمفوض عبد الكريم حمد وأهله فسأل شقيقه جوزف : ما هي الجريمة التي ارتكبتها حتى أعادوني من المانيا .. هكذا ؟ فلم يجبه لأنه لا يعرف ما يجري وراء أبواب الأنتربول والمباحث مكتب مكافحة المخدرات.

طلب سامي الخوري من انسانية المفوض الحمد أن يسمح له بمشاهدة والدته قبل أن يسجنه فوافق له.

في اليوم التالي بدأ التحقيق معه بحضور وكيله المحامي محسن سليم بسؤاله : لماذا قبض عليك في المانيا ؟

أجاب سامي الخوري : لقد حاكمني القضاء الألماني وأعلن براءتي وحتى الآن لم أعرف سبب هذا التوقيف. ثم أعيد الى السجن وفي اليوم التالي أبلغه محاميه ما جرى مع القبطان برغاس. ومع هذا بدأت سلسلة تقديم طلبات اخلاء السبيل وجميع هذه الطلبات رفضت ثم منعت عنه الزيارات، وأخيراً طلب قاضي التحقيق من أحد وكلاء سامي الخوري المحامي إيلي نبهان أن يحضر صورة مصدّقة من وزارة العدل في المانيا توضح أنه لا علاقة للحكومة الألمانية في قضيته. سافر الأستاذ نبهان فعلاً وعاد من المانيا بالطلب ومع ذلك رفض قاضي التحقيق إخلاء سبيله. أحيل في النهاية الى محكمة الجنايات في بيروت بجرم تهريب مخدرات سابق ومفتعل وهنا ظهرت العدالة في القضاء اللبناني حيث أصدرت الهيئة الاتهامية قرارها بمنع المحاكمة عنه وأخلي سبيله بحق هذه المرة.

أول عمل قام به سامي الخوري بعد خروجه من السجن استدعى مندوب مجلة لوفوار الفرنسية وشرح له تفاصيل القضية، وأخبره أن ما جرى معه هو مؤامرة مدبّرة ضده.

وما إن اطلعت النيابة العامة في بيروت على ما جاء في الحديث الصحفي حتى ادعت عليه بتهمة قدح وذم منظمة الانتربول والقضاء اللبناني، وتولى التحقيق في هذه القضية القاضي عادل الحمرا الذي استجوب الصحفي الذي نقل التصريح ثم استدعى سامي ووجه له السؤال التالي : هل أنت الذي أدليت بالتصريح ؟

أجابه سامي الخوري : سيدي القاضي هل ما جاء في التصريح ينطبق على الواقع ؟ فسكت القاضي وأغلق التحقيق دون أن يكون هناك غالب أو مغلوب.

خرج هذه المرة والحقد يغلي في صدره على كمال بك وأعوانه وصبر بعض الوقت وهو يراقب الأمور لكنه خسر السلاح الجبار الذي اعتاد أن يحارب أخصامه به .. وهو المال .. فقد بدد وصرف الملايين التي جمعها منذ أيام التهريب الى فلسطين ومصر وأوربا .. وتحول إلى شبه مفلس فباع سياراته الفخمة واشترى سيارة فيات صغيرة (١٢٥) والأهم من ذلك كان قد صدر أمر بمنع سفره من لبنان. بينما تابعت الشبكات الأخرى عملياتها. وقف ملك التهريب تائهاً مشلولاً متربصاً لا يقوى على الحراك وأعوانه ينظرون إليه بتوسل : بدنا شغل يا ريس .. بدنا مصاري .. ولأول مرة يجد نفسه ضعيفاً، مهزوماً يكاد يشرف على الإفلاس. وقد تعرض أثناء الأزمة الى امرٍ كاد أن يجعله « مخبراً » أي مرشداً على الطريقة المصرية لدى السلطات التي تقهره لكي يتخذ له يداً لديهم، فقد وصلته برقية من القبطان برغاس في طنجة تدل على الوفاء وعلى مبدأ « العين بالعين » يعلمه فيها بوصول المركب « أندروميدا » الذي يملكه أنطوان وسعدالله وهو محمّل بكميات كبيرة من السجائر

الأجنبية المهرّبة .. ولكنه « رفض » الانحراف لأنه لا يريد محاربة أخصامه بهذه الطريقة .. وفي عام ١٩٦٣ صيفاً قرر أن يترك التهريب وأقام في فندق « سندس » بمحلة الجناح في بيروت يعيش حياة عادية. وكان كما ذكرنا ممنوعاً من السفر وكان يأمل بالسفر الى باريس لملاقاة زوجته التي وضعت له بنتاً طلب منها تسميتها وديعة على اسم والدته في احدى رسائله لها.



عمل سامي الخوري المستحيل ليرفع قرار منع السفر ولكنهم كانوا ضده في القصر العدلي. ونتيجة لكل هذه الضغوط التي تعرض لها عاوده الحنين الى المغامرات والتهريب رغم أن رجال الأنتربول أصبحوا أصدقاءه يدخلون شقته ويشسربون معه الويسكي ويسهرون معه حتى الصباح لينقلوا أخباره. فأرسل برقية الى المدعو بيار لوبيه وهو أحد عملائه في

طنجة وطلب منه الحضور الى بيروت فوراً. وصل بيار مع صديقه اليوناني أندريه خوان ماري واجتمعا مع سامي في فندق الكارلتون. وضع سامي مخطط عملية التهريب فطلب من بيار وأندريه « تأمين يخت » سياحي فخم من يخوت أصحاب الملايين كي لا تحوم حوله الشبهات .. على أن يرفع على اليخت علم الدولة المسجل بها. على أن يحضر على اليخت نساء جميلات للتمويه عن عملية التهريب ويزوّد اليخت بجهاز لاسلكي ليتسنى له الاتصال به.

كانت الخطة تقضي بأن يملأ اليخت بالسجائر الأجنبية المهربة من طنجة. على أن تفرّغ الشحنة في ميناء جونيه وفي طريق العودة يتم شحن اليخت بالمخدرات الى أوربا. تم الاتفاق على هذا الشكل وعاد بيار وأندريه الى طنجة بينما عاد سامي الى شقته في فندق سندس يتابع حياته العادية. وكان يبدو هادئاً وهو ينتظر وصول اليخت الذي دفع في عمليته جميع ما كان يملك بعد تدهور حالته المادية وقد استدان مبلغاً من المال من أحد المرابين « الدين بالفائدة المئوية ». أما في طنجة فقد توجه بيار الى باريس واتفق مع « هانس كروتن » وهو نجل أحد كبار القضاة الموسوين في المانيا ويملك يختاً سياحياً أنيقاً أطلقت عليه زوجته اسم « الباشا » لأنها كانت تحب زوجها كثيراً وتناديه بهذا اللقب الرفيع، واتفق معه على العملية الجديدة، وأيضاً اتصل بيار بصديقه جان بيار ماسيس .. وهو شاب عاطل عن العمل يعيش من وراء امرأة باريسية جميلة جداً يعشقها وتدعى كولت بتبول كما قرر بيار إحضار عشيقته السمراء « الما » معهم على اليخت.

وهكذا ابحر اليخت « الباشا » من طنجة بسرية تامة وهو محمل بمئات علب الدخان الأجنبي المهرب حتى وصل الى المياه الاقليمية اللبنانية فاتصل بيار بالريس سامي الذي طلب منه البقاء خارج المياه الاقليمية بانتظار تعليمات جديدة منه .

بقي اليخت يحوم ثلاثة أيام في البحر خارج المياه الاقليمية اللبنانية حتى نفذت منه الوقود. ومع طلوع فجر اليوم الرابع « صودر » اليخت الباشا بينما تمكّن بيار وأندريه من الهرب مع عشيقتيهما في زورق بخاري كان ملحقاً باليخت لأجل استعماله في مثل هذه الطوارئ ولم يظهر اسم « سامي الخوري » هذه المرة في صفقة التهريب ولم تتوصل الدوائر المسؤولة الى معرفة الشخص الذي هربت السجائر الأجنبية لمصلحته ولكن كمال بك وهو العدو اللدود لسامي الخوري كان متأكداً من أن هذه العملية له رغم عدم ظهوره على المسرح.

النهاية واختفاء سامي الخوري في دمشق :

○ بتاريخ ١٩٦٤/٦/١٥ استقل سامي الخوري سيارته (البويك الحمراء موديل ١٩٦٣) يقودها سائقه ميشال مدوّر وصديقه المحامي منير علوية، واتجهوا الى عمان ثم عادوا بعد ذلك الى دمشق. فاستأجر سامي لهم شقة مفروشة بمنطقة المالكي أبو رمانة وأمضى الثلاثة وقتهم في دمشق لا يعلم أحداً ما كانوا يعملون فيها. ودمشق بطبيعة الحال محصنة أمنياً ضد أعمال التهريب الكبيرة على مستوى سامي الخوري. ويمكن القول أنه كان « يتصل » ببعض المهربين في دمشق فقط دون القيام بأي عملية ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر « لورنس الشعلان ».

في مساء ١٢ ايلول (سبتمبر) ترك سامي الخوري شقته مع سائقه ميشال مدوّر ولم يعودا ..

انقضت ثلاثة أيام على غيابهما فاستبد القلق والخوف بصديقه المحامي منير علوية. فأخذ يبحث عنهما في مرابع دمشق التي كانوا يترددون إليها من القصاع الى دمشق الى الزبداني، ومن هناك كان يتصل

بالخادمة الموجودة لديهم في الشقة ويسألها هل اتصل « الريّس » ؟ وعندما نفذ صبره عاد الى الشقة حيث استراح لبعض الوقت ثم خرج للبحث مجدداً .. ولكنه اختفى هو الآخر في نفس الطريق المجهول ؟

وتروي الخادمة السمراء كيفية اختفاء الثلاثة فتقول : كان الاستاذ منير يبدو مضطرباً بعد اختفاء الريّس وسائقه ميشال لمدة ثلاثة أيام. وكان يبقى دائماً بجانب التلفون يتصل ببيروت وعمان وحتى في دمشق يسأل عنهما بدون فائدة. وفي اليوم الثالث لغياب الريس وميشال، عاد الاستاذ منير الى الشقة وهو مضطرب واستراح بعض الوقت وسألني هل اتصل الريس .. ؟ هل اتصل ميشال ؟ .. أجبته : لم يتصل أحد.

هز الاستاذ علوية رأسه وقال : غريب .. ماذا جرى ؟

وتسكت الخادمة ثم تسند رأسها بكفها وكأنها تتذكر. وتقول : لقد رأيت الاستاذ منير يروح ويجيء في الغرفة، ثم يقترب من النافذة وينظر الى الشارع وهو مستغرق في تفكير عميق .. ويعود الى التلفون ويبدأ سلسلة من الاتصالات الجديدة وهو يدخن السجائر بصورة متواصلة ويكثر من تناول القهوة ولا يأكل إلّا قليلاً، وكان يبدو ساهماً شارداً عصبياً، يثور لأتفه الأسباب. وحوالي الساعة السابعة مساءً طلبت منه أن يوصلني الى منزل الأهل لأني كنت أخدمهم في النهار وأقضي الليل مع أهلي .. صعدت الى جانبه بالسيارة التي تحمل لوحات لبنانية فانطلق يقطع شوارع دمشق وهو بنفس الحالة العصبية يتلفت يميناً ويساراً بدون أن يتكلم، وقبل أن أنزل من السيارة طلب مني أن لا أتأخر في اليوم التالي.

وتضيف الخادمة : في صباح اليوم التالي جئت الى الشقة ولما فتحت الباب لم اجد الاستاذ منير.. كان المنزل فارغاً ولاحظت أن عرفة الاستاذ كانت مرتبة كما كانت في الثلاثة أيام الماضية، كذلك غرفة الاستاذ منير ما عدا أنه وضع « البيجاما » على السرير الذي ما زال مرتباً كما تركته

مساء، مما يدل على أنه جاء لينام لكنه لم يفعل. ولما دخلت الى الصالون وجدت على الطاولة ثلاثة أقداح من الويسكي وصحن فستق حلبي وأعقاب سجائر عديدة في المنفضة .. فخرجت من الشقة مسرعة لأتفقد السيارة فوجدتها مقفلة أمام الشقة، مما يدل على أن الاستاذ منير ذهب مع الأشخاص الذين شرب الويسكي معهم في سيارتهم.

وهكذا اختفى سامي الخوري المشهور في عالم التهريب والنساء دون أن يترك أي أثر يدل على مكان اختفائه مع صديقه المحامي منير علوية وسائقه الوفي ميشال مدوّر. وهذا الاختفاء الغامض لرجل شغل الدنيا مثله يدل على أن من اختطفه سواء عصابة أو أعداء من المهربين كان يرصدون حركاته من بيروت ثم عمان ثم دمشق.

آثار وخلفية اختفاء ملك التهريب :

○ بعد قصة حياة المهرب الكبير سامي الخوري ونهايته الحزينة الغامضة نقدم للقارئ عن المشاهير الذين حركوا العالم هذه الآثار والأعمال السابقة لاختفائه لعله يخرج بقناعة ما عن الجهة التي اختطفت سامي الخوري وخلفية هذا الاختفاء، ونحن نطرح إضافة لقصته السابقة « احتمال » أن يكون المهربون الذين كانوا يخشون سامي الخوري ومضاربته قد قاموا بعقد اتفاق مع جهة ما؛ أو تنظيم مسلح رغم أن التنظيمات المسلحة كانت لم تظهر في حينه، أو مع افراد ينتمون لجهاز ما وبشكل خاص على القيام بعملية الاختطاف المسلح لسامي الخوري وسائقه ميشال مدوّر أولاً ثم اختطاف صديقه المحامي منير علوية حيث اقتيدوا تباعاً الى مكان مهيّأ سلفاً، أو تمت تهيئته بعد الاختطاف، ثم تمت تصفية الثلاثة جسدياً، وثم دفنهم في مكان مهجور لم يعرف حتى الآن رغم مضي هذه السنين الطوال :

ـــ اختفى سامي الخوري وصديقه منير علوية وسائقه ميشال مدوّر من أمام الشقة التي استأجرها بدمشق المالكي بتاريخ ١٩٦٤/٩/١٢. والآن يجري تحرير هذه القصة عام ١٩٨٩ بحيث يكون قد مضى « ٢٥ عاماً » على الاختفاء الغامض.

وهذه بعض الأحداث التي سبقت اختفاءه لعل من الاطلاع عليها يستنتج القارئ شيئاً ما عن الجهة التي دبّرت اختفاءه مع زميليه وتصفيتهم :

١ ـــ يقول مرافق سامي الخوري الخاص الرياضي اللبناني «حنّا جبور » أن الريّس طلب منه قبل اختفائه باسبوعين أن يحضر إليه في فندق « السان جورج » فوجده يتناول الغداء مع سيدة جميلة جداً كعادته ومعهم شاب آخر فأعطاه عشرة آلاف ليرة لبنانية وطلب منه أن يدفع إيجار الشقة التي استأجرها سامي في فندق سندس وينقل له حقيبة ملابسه والخزنة الحديدية إلى منزل أهله في زحلة. فنفذ ما طلب منه؛ وفي اليوم التالي جاء سائقه الخاص ميشال المدوّر وأخذه الى الريّس الذي كان ينتظرهم في فندق فينيسيا حيث ذهبوا الى سوق الطويلة فاشترى الريّس مجموعة من الكرافات والأحذية، وقال أنه سيقدمها هدية الى شخصية عربية معروفة[1] ثم عرج على محل حلويات الصمدي المعروف بجودة حلوياته اللبنانية واشترى علبة حلويات مشكلة، وفي اليوم التالي غادر الريس بيروت مع سائقه ميشال مدور وصديقه المحامي منير علوية ولم نعد نسمع عنهم شيئاً .. واضاف جبور أن سامي الخوري كان يحمل في المدة الأخيرة مسدسه وأضاف ان الريّس كان قبضاي لا يعتدي على أحد ومن الممكن أن يكونوا « غدروه ».

(١) هذه الشخصية العربية المعروفة أشيع إبان اختفائه أنها شخصية لورنس الشعلان كما أشيع أن لورنس الشعلان من الممكن لما له من أعوان ونفوذ في أوساط المهربين أن يكون هو مدبّر عملية الاختفاء العامض .. لسبب ما ... ؟

٢ ـــ الصديق المخلص لسامي الخوري كان جورج مطران وكان الريّس يلقبه بالأبرص ويثق به ثقةً عمياء حتى أنه سجل إحدى سياراته باسمه. وتحدث الأبرص عن آخر لقاء له مع الريس فقال : قبل عشرين يوماً من اختفائه التقيت به في فندق مسابكي في شتورا حيث قلت له : كيف الزهر معك يا ريّس ؟

أجابه : ممتاز .. والحالة طيبة وسوف أسافر الى عمان لأني بدأت بانشاء مشروع « ستريو » ومملكة ليلية كاملة. لأني أريد ترك التهريب وأنهي قضية المراكب المصادرة بالمصالحة الجمركية .. وسأشتغل في الأعمال المشروعة.

وبعد ذلك توجه الى عمان مع سائقه ميشال مدور وصديقه المحامي منير علوية ولم نعد نسمع عنه شيئاً. وقد أضاف جورج مطران : أنا أعتقد أن الريس ما يزال حياً يرزق وليس معتقلاً كما يشاع لأن سوريا لا تطلبه بشيء والاردن أيضاً وكلمة معتقل تعني أن السلطة في سوريا أو الاردن قد اعتقلته وهذا مستبعد، أما اذا تم تدبير عملية اغتياله مع رفيقيه فيكون ذلك من قبل عصابة دخيلة على سوريا.

٣ ـــ أما والد سامي الخوري « أبو سامي سليم الخوري » فقد بدأ بالجلوس أمام منزله ذي السقف القرميدي والدموع تملأ عينيه وعلامات الأس والحزن بادية على وجهه وهو ينتظر الأخبار عن سامي ولدى سؤال أبو سامي عن شائعة خطف وقتل ولده من قبل لورنس الشعلان، أجاب الوالد الحزين : لقد اتصلت أنا شخصياً بلورنس الشعلان في دمشق فنفى لي هذا الخبر وأكّد لي أنه لا يعرف شيئاً عن مصير سامي. وحتى المسؤولون في عمان ودمشق جاء الجواب منهم : أنهم لا يعرفون شيئاً عن مصير الثلاثة وللعلم كان سامي يغيب عدة أشهر ولكنه كان يتصل بأهله بشكل دائم ..

٤ ـــ شغل اختفاء سامي الخوري في دمشق السلطات اللبنانية ودوائر

التحقيق وأهالي سامي والمحامي منير علوية والسائق ميشال مدوّر.

٥ ــ أفادت السلطات السورية الرسمية « في حينه » أنها حققت في موضوع الاختفاء وأن جوازي سفر سامي الخوري ومنير علوية وهويتيهما وجدتا في الشقة مما يدل على أنهما كانا ينويان العودة الى لبنان ولكنهما لم يعودا بسبب الاختفاء، وأنه ثبت لهذه السلطات أن سامي ومنير « دخلا » الحدود السورية، وليس من اثبات آخر بأنهما خرجا منها، وأن زوجة السائق ميشال مدوّر وجدت وهي تبحث مع السلطات السورية التي قدمت جميع المساعدات سيارة سامي الخوري الكاديلاك في أحد شوارع دمشق الفرعية، ولما سألوا صاحب دكان مجاور أجابهم : ان هذه السيارة متروكة هنا منذ أيام ولا نعرف شيئاً عن صاحبها. وهكذا استمرت الشائعات الكثيرة تنشر في الصحف اللبنانية وهذه نسخة عن الشائعات :

١ ــ صدرت الصحف تقول : ان سامي الخوري ومنير علوية وميشال مدوّر محجوز عليهم في واحة لورانس الشعلان في سوريا، ولما اطّلع المحامي عادل خلف على هذا النبأ تقدم بشكوى أمام النيابة العامة اللبنانية ضد مجهول بتهمة خطف وقتل سامي ومنير وميشال.

٢ ــ وصلت معلومات بشكل اشاعة أنهم موقوفون في عمان لأنهم قبضوا من أحد الاردنيين الموسرين مبلغ ٣٠٠ ألف دينار اردني وتصرفوا بالدراهم.

٣ ــ انطلقت اشاعة أنهم هربوا من الحكم الجمركي الذي يقضي بتغريم سامي الخوري مبلغ ٧٢٥ الف ليرة لبنانية.

٤ ــ ذكر أن سامي الخوري خطط هذه العملية لاختفائه مع أصدقائه وأنهم انطلقوا من دمشق باتجاه فنزويلا للعيش هناك بقية العمر في إحدى المزارع.

٥ ــ قيل أيضاً أنهم سافروا بجوازات سفر مزوّرة متجّهين الى « كورسيكا » للعمل مع زملائه المهربين.

٦ ــ أشيع أنهم اتجهوا بجوازات مزوّرة الى « طنجة » ليعيشوا في أوكار التهريب والمغامرات والمخدرات.

٧ ــ أشيع أن المخابرات العربية قبضت عليهم بتهمة التجسس لمصلحة مخابرات دولة أجنبية معادية.

في هذا الجو الغامض من الاشاعات المختلفة قامت السلطات اللبنانية بتكليف المحقق الأول القاضي عادل الحمرا بالتحقيق في هذه القضية فكتب الى السلطات الاردنية والسورية عن طريق وزارة الخارجية، وكان جواب الحكومتين على هذا الطلب : كلفنا الأجهزة المختصة التي قامت بتحقيقات مستفيضة وواسعة وكانت النتيجة بأننا لم نعثر على المفقودين .. وإن لائحة المستشفيات لا تحمل هذه الأسماء كما أن لائحة السجون لا تدلّ على أن رجالنا قبضوا على اشخاص يحملون هذه الأسماء. وقام القاضي الحمرا بتكليف فرقة من المفارز الجنائية، برئاسة النقيب شفيق أبو شقرا لتتولى البحث عن التائهين في الطريق المجهول. سافر النقيب ابو شقرا الى عمان ودمشق وقام بتحقيقات بمساعدة سلطات البلدين استمرت عدة أيام ورفع في النهاية تقريراً يقول فيه :

« لقد ثبت بعد البحث والاستقصاء أن سامي الخوري ومنير علوية وميشال مدور قد قتلوا وان عصابة محترفة هي التي حرضت على قتلهم .. ؟ » ونحن لا نعلم ولا يوجد دليل على قتلهم سوى ما ذكره النقيب أبو شقرا في تقريره .. فإذا كان النقيب أبو شقرا كضابط من قوى الأمن الداخلي قد تأكد من مقتلهم فأين جثثهم حسب القانون الجنائي ليتم اثبات القتل.

ونكرر القول أننا في عام ١٩٨٩ وقد مضى على اختفاء المهرب الكبير

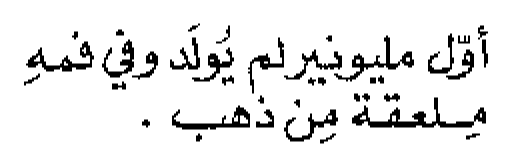
سامي الخوري ربع قرن مع أصدقائه وقد اصبح اختفاؤهم لغزاً من ألغاز الزمن والتاريخ. ونحن نعلم أن أهلهم مستمرون في التفتيش عنهم، وما زالوا متمسكين بأمل العثور عليهم؛ لذلك تراهم مستعدين لدفع أي مبلغ لقاء معلومات توصلهم الى ابنائهم المختفين.





أسيل نادر...؟

إمبراطور المال والصحافة في تركيا



أوّل مليونير لم يُولَد وفي فمه ملعقة مِن ذهب .

خلال خمس سنوات فقط قفز للتربّع على عرش إمبراطوريّة الصّحافة في تركيا .

بطوق أعجوب مِن الخيال اشترى مصرف "امبكس" التركي .

إمتدّ نشاطه عام ١٩٨٨ ليشمل مجال صناعة السيّارات والاتجار بالأسلحة والطائرات .



كوسكوتاس : الهارب وعلاقته مع أسيل نادر

مقدمة عن تفشي موجة الفضائح بين رموز المؤسسات الحاكمة :

○ في أعقاب تفشّي موجة من الفضائح بين رموز بعض المؤسسات السياسية الحاكمة في عدد من دول العالم، بدءاً من الولايات المتحدة، الفيلبين، هايتي، اليابان، مروراً باليونان والهند، وأخيراً تركيا؛ لدينا الآن معلومات عن بطل آخر هذه الفضائح التركي القبرصي ورجل الأعمال « أسيل نادر » امبراطور المال والصحافة في تركيا، وعراب السياسة في « أنقرة العاصمة » والذي أصبح في فترة زمنية قصيرة، يشار إليه بالبنان، بعد أن امتدت نشاطاته الى الاستثمار في مجالات صناعة السيارات والأسلحة وأخيراً الطائرات .

من هو أسيل نادر ؟ وكيف استطاع جَمْعَ هذه الثروة ؟ وما هي علاقته الحميمة برموز المؤسستين السياسية والعسكرية في تركيا ؟ وهل سيكون مصيره كمصير « المليونير عدنان الخاشقجي » بطل احدى قصصنا وبحوثنا في هذا الكتاب ؟ أم سيكون مصيره كمصيره زميله جورج كوسكوتاس المليونير اليوناني الهارب، عكس الخاشقجي، الى الولايات المتحدة ؟

وعلى صعيد الاعلان عن بعض هذه الفضائح فقد علم أن التنافس بين

تركيا واليونان لا يقتصر فقط على المجالات السياسية، والدبلوماسية، وإنما تجاوز ذلك الى الفضائح والفساد ؟ فعلى غرار الفضيحة السياسية والمالية المدوّية[1] التي شهدتها اليونان خلال أواخر عام ١٩٨٨ حيث كانت هذه الفضيحة وراء تقويض النظام الاشتراكي في اليونان في الانتخابات الأخيرة؛ فقد كشف النقاب عن فضيحة مماثلة من المتوقّع أن تثير « ضجة كبرى » في الأوساط السياسية التركية، وقد يكون لها انعكاساتها السلبية المباشرة، على أركان المؤسستين السياسية والعسكرية الحاكمتين في تركيا، لاسيما وأن جميع المعلومات الأولية تؤكد ضلوع وتورُّط بعض الشخصيات التركية المرموقة في هذه الفضيحة.

وقد ذكرت المعلومات الواردة من تركيا حديثاً عبر الأوساط الصحفية والاقتصادية أن بطل فضيحة العصر هو رجل الأعمال التركي المليونير المعروف « أسيل نادر »، هذا القبرصي التركي الغامض الذي لم يكن معروفاً مطلقاً قبل عام ١٩٨٢ حيث طرد من جامعة اسطنبول ـــ كلية الاقتصاد بسبب غيابه عن المحاضرات الاقتصادية ومشاكله مع الطلبة الآخرين، وكان طرده طبعاً قبل انتهاء دراسته الجامعية.

لم يتأثر أسيل من الطرد بل تابع طريقه لتحقيق طموحه بدون إجازة جامعية، وهو الذي لم يولد، كما يقال، وفي فمه ملعقة من ذهب، وإنما كان من أسرة كادحة، واستطاع خلال فترة زمنية لا تتجاوز الخمس سنوات، بعد طرده من الجامعة، أن يشتري مصرف « امبكس » وعدداً من الشركات والمصانع، وأن يتربع على عرش اكبر « امبراطورية » صحافية في تركيا، من خلال امتلاكه لدار النشر التركية المعروفة « غليشيم » التي تُصدر الصحيفة اليومية « غونيش » ودار نشر « فب أوفست » التي تصدر

(١) لدى اكتمال وصول وترجمة هذه المعلومات عن الفضيحة اليونانية التي هزّت النظام بكامله في اليونان، وأدّت الى سقوط حكومة باباندريو قد نتمكن في كتاب آخر بترويد القارئ بما يشبع فضوله الى معرفة المزيد من الحقيقة حول هذه القضية.

خمس صحف يومية محلية، وصحيفتين كبيرتين هما: « غونايرن » و « وطن ». بالاضافة الى نشاطاته المالية التي امتدت خلال سنواته الخمس السريعة لصعوده للمليونيرية لتشمل صناعة السيارات والاسلحة والطائرات.

ونشير هنا الى التشابه الغريب بين نادر وبين مثيله اليوناني « جورج كوسكوتاس » الذي اقترنت باسمه اكبر فضيحة مالية وسياسية تشهدها اليونان في العصر الحديث، والذي تمكن من الهرب باتجاه الولايات المتحدة « بعد اختلاسه مبلغ ٢١٠ ملايين دولار اميركي » من « مصرف كريت » الذي يملكه سابقاً، ونتساءل عن طبيعة العلاقة بين الرجلين، وعمّا اذا كان مصيرهما واحداً؟ كما أثير عدد من علامات الاستفهام حول السيرة الذاتية لنادر ومنها هذه العلامات:

— « إنه قام بشراء كبرى الصحف اليومية التركية « بناء على طلب رئيس مجلس الوزراء تورغوت أوزال ».

— « تبرع بمبلغ مليوني دولار لإحدى المؤسسات الاجتماعية في أنقرة » ومن أين جاء بكل هذه الثروة الخيالية الطائلة؟ ولماذا يلقى نادر كل هذه الحماية من أركان النظام السياسي وبهذه الدرجة؟ ورغم أن التساؤلات السابقة بقيت معلقة، من دون إجابة، إلا أنها أظهرت من خلال المقارنة التي أجريت بين نادر وكوسكوتاس .. أن مثل هذا التشابه لم يكن مجرد صدفة، وإنما يؤكد التطابق « بين شخصية الرجلين ». أن ثمة « أياد خفيَّة » تقف وراءهما؛ فإذا كان المليونير اليوناني جورج كوسكوتاس قد طرد من كلية الاقتصاد في جامعة « نيويورك » قبيل إنهاء دراسته في العلوم الاقتصادية، ولم يكن معروفاً مطلقاً قبل عام ١٩٨٢، عندما عقد أول صفقة تجارية ضخمة قام على أثرها بتأسيس أول شركة له « برأسمال » خمسة ملايين دولار حصل عليها من مستثمرين أوربيين « مجهولين »، وكانت هذه الشركة هي « مدخله » للتعرُّف على رئيس

الوزراء اليوناني السابق أندرياس باباندريو عام ١٩٨٧، الذي أوعز إليه بشراء بعض الصحف المعادية له، وتغيير سياستها، ثم واستناداً للضوء الأخضر من رئيس الوزراء أيضاً قام بشراء مصرف « كريت » وفريق كرة القدم اليوناني المشهور « أوليمبياكوس »، فإن التركي القبرصي نادر هو « صورة طبق الأصل » عن كوسكوتاس فقد اقتفى نادر الخطوات نفسها :

ــ طرد من كلية الاقتصاد بجامعة اسطنبول (كما ذكرنا).

ــ لم يكن معروفاً قبل عام ١٩٨٢.

ــ عقد أول صفقة تجارية وأسس أول شركة تجارية له بعد طرده من الجامعة قبل انتهاء دراسته عن الاقتصاد أيضاً، وأيضاً برأسمال خمسة ملايين دولار حصل عليها من « ممولين ومستثمرين أوربيين مجهولين ».

ــ أيضاً كانت شركته الأولى التي سماها « بولي بيك » هي مدخله للتعرف على السيد تورغوت أوزال رئيس الوزراء التركي في عام ١٩٨٧، حيث قام بشراء بعض الصحف التركية المعادية لأوزال و « تغيير سياستها »، ثم قام بشراء مصرف « تيتي » وحوَّله الى مصرف جديد يحمل اسم « مصرف أمبكس »، كما قام بشراء فريق كرة القدم التركي المشهور « مالاتياسبور » مثل زميله اليوناني كوسكوتاس أيضاً.

وتضيف التقارير المتفرقة الواردة من أنقرة وهي تسرد المعلومات عن أسيل نادر أنه كان قد هاجر الى لندن في أوائل السبعينات، حيث عمل في البداية بتجارة الألبسة الجاهزة على نطاق محدود، وفجأة تحوَّل الى التجارة في حقلي الاستيراد والتصدير للمواد الغذائية، وقد أسس شركة بريطانية « اسمية » لهذا الغرض بنفس اسم « بولي بيك » الذي استعمله في بلده تركيا فيما بعد، وهذه الشركة تشرف على تصدير البرتقال والفواكه من الشطر الشمالي لجزيرة قبرص الى أوربا، والولايات المتحدة الأميركية.

وتؤكد المعلومات أن أسيل نادر لجأ الى طريقة حديثة يستعملها الآن كبار رجال الأعمال حتى في الوطن العربي، وهي « توظيف الضباط والمسؤولين السابقين » الذين لهم علاقة مع هؤلاء، أو سبق لهم أن « يسّروا لهم بعض الأمور » في مؤسساتهم، فمنهم مَنْ يوظف هؤلاء بعد خروجهم على التقاعد « وفاء لهم واحتراماً » لمكانتهم وانسانيتهم السابقة أثناء الوظيفة، وهذه الطريقة تشعر الموظف أو الضابط السابق أو حتى القاضي المتقاعد ومنهم الكثير بنوع من التقدير والاحترام، وتجعلهم لا يندمون على مساعدة أو انسانية قدموها أثناء عملهم؛ والغاية من توظيف البعض من هؤلاء المتقاعدين ضمان استمرار سكوتهم على أخطائه، بل وليجعلهم يشتركون معه بهذه الأخطاء من داخل الصورة. ومن هؤلاء على سبيل المثال « بطل قصتنا القصيرة هذه أسيل نادر بك » قد اتخذ لنفسه من بعض الضباط والشخصيات التركية التي شغلت في الماضي، مناصب وزارية هامة، مساعدين له في ادارة أعماله التجارية والصحفية الكثيرة ومن هذه الشخصيات :

ـــ اللواء المتقاعد « جهاد اتكان » قائد سلاح البحرية السابق.
ـــ ايركان غوميت ـــ صهر رئيس الجمهورية كنعان ايفرين.
ـــ فخري غورغيلو ـــ مدير المخابرات السابق في تركيا.
ـــ العميد نجاح كولكاز ـــ مدير المباحث الجنائية في اسطنبول.
ـــ نزيه ديميركيت ـــ نقيب الصحفيين في اسطنبول.

وقد اتاحت هذه العلاقات توظيف هؤلاء في أعماله ومكاتبه « غطاءً كاملاً » لنشاطاته الشرعية أولاً والمشبوهة ثانياً، ولولا ذلك لما بدأ نادر التخطيط للاستثمار في مجال الأسلحة وصناعتها، وذلك بتوقيعه اتفاقية عام ١٩٨٨ مع شركة « بريتش إيروسبيس » البريطانية لتزويده بالقطع اللازمة لتجميع الدبابات الحديثة من طراز « ميكرز ».

أسيل نادر يشترك مع مافيا تهريب المخدرات :

○ على الصعيد نفسه لمستوى الأعمال الكبيرة التي امتهنها أسيل « الاتجار بالمخدرات »، وما حدا أحسن من حدا، فقد وردت معلومات عن قيام تعاون وثيق خلال السنوات الماضية بين نادر وكوسكوتاس في الاتجار بالمخدرات على مستوى كبير، وعلى طريقة المافيا الدولية، بعد لقاء تمَّ بين الرجلين في جنيف في مطلع الثمانينات، تمَّ فيه الاتفاق بينهما للقيام بعمليات « تهريب المخدرات »، وتنتهي عائدات هذه العمليات في مصرف « كريت » الذي يملكه كوسكوتاس في اليونان. بحيث يقوم الأخير بتحويلها على شكل استثمارات مالية قانونية.

وكان قد كشف النقاب مؤخراً عن وجود وثائق تم العثور عليها في مصرف « كريت » « تؤكد » العلاقة القائمة بين المصرف والأموال المتحصل عليها من « تجارة المخدرات »؟ لقد توفرت للثنائي كوسكوتاس ــ نادر بك كل الشروط التي تؤهلهما ليكونا حلقة في ترويج المخدرات، دون الخوف من أي شيء يهدد نشاطاتهما؛ فكوسكوتاس تمكن في اليونان من امتلاك مركز مالي وسياسي واجتماعي قويّ، يحصنه من الشبهات، أما نادر فقد امتلك في أنقرة « ظهراً قوياً » وتمتع بصداقة رؤوف دنكتاش رئيس الجمهورية القبرصية التركية أيضاً، وهكذا بدأت الأموال تتدفق بوفرة الى مصرف « كريت » باليونان، ومصرف « أمبكس » في تركيا.

وأثر تعرُّض كوسكوتاس للملاحقة وانكشاف أمره وفضائحه وعلاقته مع رئيس الوزراء اليوناني (السابق) باباندريو، ومن ثم تمكُّنه من الهروب الى الولايات المتحدة حاملاً أو سارقاً ما لا يقل عن « ٢١٠ ملايين دولار » انقطع عمله ومشاركته لنادر الذي ظل يلعب لعبة التجاوزات وحتى تهريب المخدرات لوحده. ولكن الى متى ؟ فمع مرور الوقت لا بد وأن تنكشف خيوط الفضيحة القادمة شيئاً فشيئاً، ويتمّ

التعرُّف على أطرافها. وهذا في حال حدوثه المرتقب، سيقيم الدنيا في تركيا ولا يقعدها، على غرار ما حدث في اليونان، والقليلون يعرفون أن كوسكوتاس إذا تعرض للاعتقال « مثلما جرى مع المليونير عدنان الخاشقجي » واضطر لاطلاق العنان للسانه فإننا سنسمع العجائب عن نادر وغيره .. ومنها العلاقة التي بدأت المعلومات الهامة تطفو عنها أولاً بأول وهي العلاقة الثلاثية بين المليونير عدنان الخاشقجي وكوسكوتاس ونادر.

والجواب عن هذا السؤال خطير للغاية ـــ وبالطبع اذا ما تأكدت صحة المعلومات التي تقول، إن مجموعة نادر، كوسكوتاس، خاشقجي هي مجموعة متشابكة لا تقتصر تجارتها على نوع واحد من النشاطات غير المشروعة، ولكن تمتد أيضاً إلى « تجارة السلاح » والى حدّ ما النفط (...) حيث أثبتت التحقيقات أن مجموعة نادر ـــ كوسكوتاس ـــ خاشقجي لتجارة الأسلحة قد بدأت نشاطاتها من لوكسمبورغ، حيث يوجد مقر « كريدت ترست بنك » الذي يعمل من خلال فروعه في عدد من الدول الأوربية في العمليات المشبوهة لبيع الأسلحة. وغني عن القول أن « كريرت ترست » هو المصرف الذي تم تأسيسه من أموال بيع الأسلحة الأوربية لايران خلال سنوات حرب الخليج مما سمي في حينه بـ « فضيحة ايران غيت »، حيث قام بنك « كريدت ترست » بإنشاء شركات استثمارية تستعمل كغطاء لتجارة الأسلحة. وكان المصرف نفسه وراء فضيحة صفقات السلاح التي تمت لحساب وزارة الدفاع البلجيكية لايران، وكان من بين المتورطين في هذه الصفقة وزير الدفاع البلجيكي السابق « بول فاندين » الذي اختفى فيما بعد فجأة عن وجه الأرض، وقيل إنه اختطف مثل الذين اختطفوا من قبله، وقال البعض الآخر أنه اغتيل.

○ وهنا لا بد في هذا المجال من ملاحظة أن الادارة الأميركية بدأت

مؤخراً « حملة تنظيف » لبعض شبكات « الأموال القذرة » ومن المعروف أن الأموال القذرة هي الأموال التي يجنيها أبطال هذه القصص من وراء تهريب المخدرات والأسلحة وتشكل ملايين، تسمى بالأموال القذرة. وبما أن الولايات المتحدة كدولة رأسمالية وترحب بالأموال من أين أتت يظهر في المدة الأخيرة أن طريقة استقطاب الولايات المتحدة للأموال القذرة قد استنفذت أغراضها بالنسبة للمصالح الأميركية، ولهذا شهدنا عمليات اغلاق نهائي لحسابات قديمة.



أوزال وحمايته للرجل الغامض

والمثال على ذلك اضطهاد الخاشقجي وإصدار الاتهامات بحقه من قبل أعلى السلطات القضائية، طبعاً، بتحريك من السلطات التي كانت تتغاضى عن تصرُّفه وإدخاله عشرات الملايين من الدولارات، سواء لصالحه أو لصالح صديقه السابق رئيس الفلبين ماركوس؛ وكوسكوتاس من الممكن في أي لحظة أن يسحبوا البساط من تحت قدميه، فيصبح وبقدرة قادر وبين ليلة وضحاها « نزيل زنزانة ضيقة »، ويجري تبادله بين الدول بالدرجة الأولى ويداً بيد مع السلطة المسيرة لتنفيذ تلك التبادلات كما أن بطل قصتنا الصغيرة هذه أسيل نادر ــ التركي يمكن أن يصبح يوماً ما واحداً من هؤلاء الملاحقين بواسطة الأنتربول المسيّس مع الأسف ..

جوسلين حدّاد

"لبنانية"

"خُطِفَت أمام زوجها بإرادتها"



خطفها المسلحون في بيروت بعد أن كبّلوا زوجها.

الخطف كان بسبب طلب فدية.

بقيت جوسلين ١٧ ساعة تحت التهديد.

أُعيدت إلى زوجها لقاء ٢٥ ألف ليرة لبنانيّة.

كانت خادمتها وراء اختطافها.

مسلحان في بيروت يخطفان جوسلين حداد أمام زوجها :

○ هذه النوعية من الكتب خصصت لاطلاع القارئ على أمور غريبة حصلت مع المشاهير؛ فمنهم من زادتهم شهرة، ومنهم من أطلقت شهرتهم. هذه الأمور والأحداث الشاقة حدثت ولا تزال تحدث مع المشاهير في العالم العربي والغربي. وهذه القصة الحقيقية التي وقعت في بيروت في حينه فهزت لبنان من أعماقه، وبالتالي هزّت العالم العربي خلال يومي الاختطاف الذي اهتم به رئيس الجمهورية شخصياً حيث نقل هذا الاختطاف الجريء غرائب الأحداث في السينما الأميركية إلى ساحة المجتمع اللبناني.

ففي الساعة الرابعة من صباح الجمعة ١٩٧٣/١٢/٢٨ وبينما كان رجل الأعمال اللبناني نبيل طرابلسي صاحب محلات « تيد لابيدوس » وزوجته السيدة جوسلين حداد يودعان صديقهما رازق غزالي الذي أوصلهما بسيارته من سهرة أمضوها مع أصدقاء آخرين في منزل السيد « بول أده » في محلة الروشة من بيروت، وحين ترجل نبيل وزوجته جوسلين أمام مدخل البناية التي يقيمان فيها في شارع كليمنصو، وكان يقطن بنفس البناية وزير الدفاع اللبناني في حينه السيد نصري معلوف، سألهما رازق عن الساعة فأجابته جوسلين « الرابعة وخمس دقائق »

فودعهما مستعجلاً بقوله : خلينا ننام شي ساعتين .. عندي مواعيد شغل كثيرة، بعد الظهرة نتصل ببعضنا لنتفق وين منسهر[1]

صعد نبيل وجوسلين في مصعد البناية الى الطابق الرابع. وعندما خرجا من المصعد باتجاه شقتهما ليفتحاها فوجئا بشخصين ملثمين يهجمان عليهما من الخلف ويضعان مسدسين وراء رأسيهما ويصرخان بهما : « ما حدا يطلع صوت منقتلو، أرفعا أيديكما ». فرفع نبيل وجوسلين يديهما فوق رأسيهما، واتجها حسب أمر المسلحين الى المصعد الذي كان ما يزال متوقفاً بالطابق الرابع لأن الوقت الساعة الرابعة ولا يوجد من يستعمله ثم هبطا بهما الى الطبقة التي تحت الأرض. وتناول أحدهما حبلاً قام بربط يدي نبيل خلف ظهره وهو يقول له بجرأة : « خواجه نبيل[2]. أنت ما بدنا شي منك .. بس بدنا ياها هي حتى نعلمها كيف تكون مهذبة وكيف تحكي مع الناس ... بدنا نربيها ».

عندئذ حاول نبيل أن يحاورهما ويرطب الجو، فقال للشخص الذي يصوّب المسدس الى رأس جوسلين « يمكن غلطانين يا شباب، أنا متزوج مرتين لا تكونوا بدكم الأولانية » فرد عليه الشخص بتهكّم : « منعرف .. ومنعرف أنو الست نفسها متزوجة اثنين قبلك واحد أفرنسي وواحد مصري .. ونحن بدنا ياها هيّ ومش غلطانين أبداً » (كان المسلحان يتكلمان بحزم وجرأة وبلهجة لبنانية ــ بيروتية).

وبعدما انتهى المسلح من ربط يدي ورجلي نبيل بالحبل طلب منهما مفتاح المنزل وسأله : شو عندك سلاح، وين حاطط السلاحات ؟ ».

---

(١) المؤلف : « رزق الله على تلك الأيام التي كان يسهر فيها اللبنانيون للساعة الرابعة وينامون ساعتين أو ثلاث ثم يعودون الى أعمالهم ثم يعودون للسهر وهكذا .. »

(٢) « المؤلف : كلمة خواجه تدل على احترام قائلها للمخطوف رغم ظروف الخطف ».

أعطاه نبيل المفتاح بعد أن دلّه على مكانه في جيبه، ومن ثم دله على مكان السلاح؛ فصعد المسلح مسرعاً الى الطابع الرابع حيث فتح باب المنزل وتوجّه رأساً الى غرفة النوم، وأخذ مسدسين ورشاش كلاشينكوف[1]، ولفّها بشرشف وعاد بالمصعد الى الطبقة الأرضية ليسأل نبيل عن سيارته، فأجابه نبيل : « سيارتي مش معي وجينا لهون الآن بسيارة صديق .. سيارتي مع أخي سمير طرابلسي ».

أشار المسلح لزميله المسلح الآخر أن يصعد الى الطريق ويوقف سيارة تكسي ليذهبا بها، وبينما ذهب المسلح ليؤمن سيارة، سأل المسلح الذي بقي مع الزوجين يهددهما بالمسدس، الزوجة جوسلين : « معك أجرة تكسي؟ » فتناولت جوسلين حقيبتها وفتحتها أمامه وقالت له : « خذ منها ما تريد ». ولكن المسلح أجابها : « ما بدنا غير أجرة التاكسي.. مو حاملين مصاري ». وبالفعل لم يأخذ هذا المسلح سوى ست ليرات فيما بعد .. اجرة التكسي، مع أن الحقيبة تحوي اكثر من الف ليرة لبنانية يوم كانت الليرة اللبنانية في عزها.

رجع المسلح مسرعاً وقال لزميله : « مشي الحال، السيارة فوق، أربط فم الخواجة نبيل ».

تناول الأخير قطعة قماش من جيبه وأغلق بها فم نبيل وهو يطمئنه : مش راح نخليك تطوّل هون، هلق بيجوا ناس يفكوك، ويأخذوك عا بيتك ». وصعدا مع جوسلين حيث سمع نبيل انطلاق السيارة بهم.

بعدما ذهبوا قام نبيل بالزحف فوق الدرج درجة درجة حتى صعد الى مدخل البناية، فحاول أن يقف أو يصرخ فلم يتمكن. اقترب زحفاً من الطريق العام ثم إلى وسطه علّه بذلك يجبر إحدى السيارات المارة

---

(١) كان رشاش الكلاشينكوف في حينه يعتبر منتهى القوة لمن يحصل عليه.

على التوقف ومساعدته. وبالفعل وصلت سيارة مرسيدس لبنانية عمومية، وخلفها شاحنة تويوتا لجمع النفايات، فتوقفتا وترجّل سائق المرسيدس وفك له رباط الفم، إلا أنه لم يتمكن من فك الحبل عن يديه ورجليه، فترك الأمر لسائق شاحنة النفايات الذي أحضر كماشة قطع بها الحبل وحرّره.

كانت الساعة قد بلغت الخامسة والربع صباحاً، فتوجه نبيل رأساً الى منزل شقيقه سمير « الذي عاد من باريس قبل أيام »، ومن هناك اتصل بوزير الداخلية اللبناني الشيخ بهيج تقي الدين وأبلغه ما حدث له ولزوجته، ثم اتصل بعديله الشيخ خليل الخوري. ثم بدأت الاتصالات تتوسع حتى وصلت الى رئيس الوزراء والقصر الجمهوري بالذات.

اتصل أمين عام القصر الجمهوري بوزير الداخلية الذي « استنفر » جميع أجهزة الأمن التابعة لوزراته من أمن عام ومباحث وشرطة ودرك، وطلب منهم جميعاً « البحث بسرعة عن جوسلين حداد وإعادتها سليمة »، وتسلّم التحقيق بالخطف قاضي التحقيق الأول في بيروت القاضي جورج أبو مراد.

من هو المستفيد من خطف جوسلين حداد :

○ السؤال الأول الذي طرحه التحقيق القضائي، وكذلك التحقيق الأولي الذي تولته المباحث مبدئياً هو : « من المستفيد من الخطف ؟ وما الغاية منه ؟ وهل هناك عداوات أو خصومات بين السيدة حوسلين وآخرين ؟ ». واستناداً لتصريح واهتمام وزير الداخلية الشيخ بهيج تقي الدين بعد اطلاعه على التحقيقات الأولية عن اختطافها، فُهم أن خطف السيدة جوسلين لم يكن بدافع الابتزاز. وهذا الاعتقاد ثابت لعدة اعتبارات.

○ ١ ــ لأن الزوج نبيل طرابلسي ليس من الأثرياء الكبار للطمع به وخطف زوجته لقاء فدية كبيرة.

○ ٢ ــ إن الخاطفين لم يستولوا على المجوهرات التي وقعت تحت أيديهم في منزل المخطوفة وحتى المبلغ المتوفر في حقيبتها تركوه على حاله واكتفوا باجرة التكسي.

○ ٣ ــ لو كان الهدف الأساسي الحصول على فدية مالية كبيرة لطلبوا مبلغاً ضخماً عندما عرض عليهم زوج المخطوفة نبيل استعداده لدفع أيّ مبلغ، فاكتفوا بـ ٢٥ ألف ليرة.

وقد تبين بعد اجراء الكشف على منزل نبيل طرابلسي أن المسلح الذي صعد الى غرفة النوم وأخذ الأسلحة التي وجدها لم يمدّ يده الى شيء آخر بالبيت، ولم يحاول السطو على الموجودات، ولم يفتح خزانة الثياب أو علبة المجوهرات التي كانت تحوي ما قيمته خمسون ألف ليرة لبنانية (في حينه)؛ والدليل الآخر أن العملية ليست للابتزاز هو أن المسلحين لم يطلبا من نبيل مالاً ولم يفتشاه مع أنه يحمل دفتري شيكات ومبلغاً نقدياً يتجاوز الألفي ليرة، فضلاً عن المبلغ الذي كان في حقيبة جوسلين وهو ألف ليرة.

○ إذاً ليس في المسألة جانب مالي من سرقه أو ابتزاز.

○ ولكن ربما يكون هناك احتمال آخر : هل يوجد ثأر شخصي ؟ نبيل الزوج يستبعد ذلك في التحقيقات التي أجريت معه، بل واكد أن زوجته جوسلين لم نختلف مع أحد على أيّ شيء وليس بينها وبين أي شخص، رجلاً كان أو امرأة، أي مشكلة أو عداوة، سوى أنها قبل أسابيع « طردت » السائق الذي كان يعمل في خدمتها منذ سنوات ويدعى « محمد شيا » من بدغان، قضاء عاليه، وان هذا السائق حاول مراراً أن يتوسط لدى أصدقاء زوجها أو لدى صديقاتها « لإعادته » ولكنها « رفضت باصرار ». وسبق لهذا السائق أن شكا الى بعض أصدقاء نبيل

من أن « الست » أي جوسلين كانت تعامله معاملة سيئة، قبل أن تطرده من خدمتها. وهنا واجه التحقيق السؤال التالي : « هل يمكن أن يكون السائق المطرود والمتحامل على الست جوسلين محمد شيا هو وراء حادث الخطف ؟ ».

الطريقة التي تم فيها الخطف، والكلام الذي وجهه الخاطفان الى نبيل وجوسلين، كما السؤال عن الأسلحة في المنزل، كل ذلك يشير الى أن الخاطفين يعرفان الزوجين جيداً، وأنهما يعرفان عنهما كل شيء. ومن هنا أصدر قاضي التحقيق أمره باعتقال وجلب المدعو محمد شيا، فلم يعثر له على أثر، مع أنه شوهد قبل يومين يمرّ أمام محلات نبيل طرابلسي « تيد لابيدوس ». وتأكد لقاضي التحقيق أنه لم يغادر لبنان لا براً ولا بحراً ولا جواً.

أصبح مكتب نبيل طرابلسي الكائن فوق محلاته بمثابة « غرفة عمليات » لتوجيه البحث والاستقصاء عن زوجته جوسلين، فحضر العقيد دوغان معاون قائد شرطة بيروت، وبعض رجال الأمن العام والتحري المختصين من فرع بيروت للمباحث الجنائية، وكذلك حضر المدير العام للأمن العام العقيد أنطوان دحداح، ثم انصرف بعد أن عرف بتفاصيل التحقيق.

أول اتصال للخاطفين

○ في الساعة التاسعة صباحاً اتصل شخص مجهول بمحلات « تيد لابيدوس » وقال : « روحوا جيبوا الخواجة نبيل من قبو البناية اللي ساكن فيها، هو موجود هونيك وما بيقدر يتحرك ». وأقفل الخط حالاً بدون أن يعلم أن نبيل نفسه هو الذي ردّ على المكالمة الهاتفية الأولى للخاطفين.

بقي العقيد دوغان في مكتب نبيل طرابلسي لمتابعة ما يجد في قضية

الخطف أولاً بأول، خاصة لجهة الاهتمام العام بالقضية اعتباراً من رئاسة الجمهورية حتى مختلف هيئات الشعب اللبناني والعربي. وفي الساعة العاشرة إلّا ثلثاً رنَّ التلفون فأخذ العقيد دوغان السماعة وقال : ألو .. نعم، فسأل المخابر عن الخواجه نبيل. فقال له العقيد دوغان : أنا نبيل. حينئذٍ قال المتكلم : « خواجه نبيل عرفتني .. نحن الشباب تبع مبارح. مرتك معنا راح نوديلك ياها مع مكتوب بتنفذ اللي فيه حرفياً، وإلا منرجع منخطفك انت واياها بشكل أعنف .. فهمت ».

ردّ العقيد دوغان وهو مازال يتكلم باسم نبيل : « يا شباب خلّونا نتفاهم على الموضوع، أنا حاضر لكل شي بتطلبو مني، قولولي شو في المكتوب من هلق وأنا حاضر، المهم أن تكون « مرتي » بصحتها وبدي اسمع صوتها ».

أجابه المتكلم : « بدنا ٢٥ ألف ليرة لبنانية فقط ومعها شروط ثانية بتتبلغها من الرسالة ». وسمع العقيد دوغان صوت جوسلين على الهاتف، إلا أنها اكتشفت أن الصوت ليس صوت زوجها فارتبكت بالكلام. عند ذلك أقفل العقيد دوغان الخط.

فعاد الخاطف واتصل للمرة الثانية بعد أن علمت جوسلين أن الأمور تسير لصالحها. وسأل العقيد دوغان معتقداً أنه « نبيل » : ليش سكرت التلفون؟ فأجابه : بالغلط.. طلع واحد على الخط.. وين بتريد المصاري ومتى؟. فرد عليه الخاطف : انتظر منا اتصالاً آخر بين الخامسة والسادسة مساءً.

وفي الخامسة تجدد الاتصال، وتمت المكالمة بحضور النقيب ذبيان من المباحث اللبنانية، حيث طلب الخاطف أن يبقى نبيل في محله، لأن زوجته جوسلين ستتصل به. وبعد ذلك رن التلفون مرات عديدة ولم يصدر عن الجهاز سوى كلمة « ألو » ثم يقفل الخط. حتى الساعة

السابعة إلا ثلثاً رنّ الهاتف فرفع نبيل طرابلسي السماعة وإذا بصوت زوجته المخطوفة جوسلين :

ألو أنا جوسلين يا نبيل.

وعلى طريقة الأفلام الأميركية التي لها الفضل الكبير في تعليم الشباب العربي الكثير من أمور الاجرام والخطف .. ألخ قطع الخط فور سماع نبيل لصوت زوجته المخطوفين. ثم تكلم الخاطف مع نبيل شخصياً هذه المرة وطلب منه. تأمين مبلغ الـ ٢٥ ألف ليرة لاستعادة زوجته وأعطى نبيل خطة كاملة للتسليم والاستلام.

عودة المخطوفة بعد دفع الفدية للخاطفين :

○ في الموعد الذي اتفق عليه نبيل طرابلسي مع الخاطفين هاتفياً. وبإشراف قوى الأمن الداخلي انتشرت عدة دوريات من الفرقة ١٦ (النجدة) والمباحث في منطقة الروشة. جاء الخاطفون مع جوسلين الى مقهى « التيرول » في الروشة وشربوا القهوة معها على رواق، ثم خرجوا من المقهى وأوقفوا سيارة تكسي رقمها (٨٨٢٦٤) يقودها السائق غازي حمود من الناعمة.

صعدوا مع جوسلين الى التكسي وطلبوا من السائق غازي الاتجاه بهم نحو الحمام العسكري، حيث كان مقرراً أن ينتظرهم الزوج نبيل الطرابلسي ومعه الفدية المالية. وذكر فيما بعد : أن السائق غازي لاحظ أن جوسلين قد صعدت مرغمة الى السيارة وهي في حالة إعياء، فساورته الظنون الشيطانية، فقال للخاطفين : « شوفوا يا شباب أنا هالأمور ما بحبها ». ولكن الخاطفين طمأنوه وطلبوا منه متابعة السير الى حيث كانت سيارة نبيل طرابلسي واقفة قرب مقهى « فينوس »، فاقتربوا مه. ولما شاهد زوجته في المقعد الخلفي للسيارة ألقى لهم بالحقيبة السامسونايت

التي تحوي المبلغ « الفدية ». ولكنهم عوضاً عن انزال المخطوفة جوسلين أمروا السائق بالانطلاق مسرعاً نحو الروشة ثم طريق الأونيسكو. واعتقد نبيل طرابلسي أن الخاطفين « خدعوه » بعدما أخذوا الفدية فتابعوا الهرب مع زوجته.

لكنهم كانوا عكس ذلك فقد توقفوا قرب الشارة الضوئية الأولى في محلة الأونيسكو حيث تفقّدوا المبلغ ثم همّوا بالنزول من السيارة طالبين من السائق إعادة السيدة جوسلين الى قرب مقهى فينوس حيث ينتظرها زوجها، ألا أن جوسلين، وبعد أن اطمأنت الى مصيرها وإطلاق سراحها من الخطف، فضّلت النزول لتمشي هذه المسافة إلى زوجها، أو لأقرب دورية أمن لأنها كما قالت لاحقاً : خشيت أن يكون المبلغ ناقصاً فيحتفظ بها الخاطفون مجدداً.

وفعلاً نزلت من السيارة واتجهت نحو الروشة، بينما تابع الخاطفون طريقهم بالسيارة نفسها الى قرب المدينة الرياضية، حيث ترجلوا هناك ودفعوا للسائق غازي سبع ليرات ونصف الليرة وهو المبلغ الوحيد الذي دفعوه من جيبهم، لأن بقية المبالغ السابقة التي دفعوها للمقهى والتكسي وغيرها، كانت تخرج من حقيبة السيدة جوسلين. إلا أنهم لم يستغلّوا وضعها ويأخذوا أي مبلغ زيادة من الحقيبة التي كانت تحوي اكثر من ألف ليرة كما ذكرنا.

تابعت جوسلين طريقها حرة طليقة نحو الروشة حيث صادفت أول دورية من الفرقة (١٦) سرية الطوارئ، فتوجهت للدورية قائلة : « أنا المرأة المخطوفة جوسلين حداد » فسألوها عن الخاطفين، فأجابت : « راحوا من هون » وأشارت باتجاه المدينة الرياضية.

وعلى الأثر نقل رجال الدورية السيدة جوسلين الى سيارتهم الستايشن الحمراء، بعدما أبلغوا نبأ العثور عليها للنقيب تيودور المكاري الذي كان يشرف على قوات الأمن المنتشرة في المنطقة لتغطية موضوع الخطف.

اتصل النقيب المكاري بالقيادة لاسلكياً، فطلب منه نقل السيدة جوسلين الى مقر قيادة سرية بيروت الإقليمية فوق مخفر شرطة البرج في ساحة الشهداء.

استجوبت جوسلين مبدئياً في مخفر البرج بعد أن حضر زوجها وهنأها بسلامة العودة من الخطف. وحسب أصول التحقيق سألها المحقق إذا كانت تريد الادعاء على أحد، فلم ترغب بالادعاء على أحد، وكذلك زوجها. وفي الساعة الواحدة والنصف ختم المحقق الأول محضر التحقيق والاستجواب بعد الاطلاع ومعرفة أوصاف الخاطفين والتفاصيل الكاملة عن عملية الخطف. وقد أصر قاضي التحقيق على حضور الطبيب الشرعي عملية التحقيق لإجراء فحص روتيني على السيدة جوسلين. ولكن زوجها رفض ذلك. ولدى الإصرار اتفق الطرفان على حل وسط وهو حضور طبيب من أصدقاء العائلة الى مركز التحقيق حيث خرج مع السيدة جوسلين من الباب الخلفي تجنباً لعدسات المصورين الذين كانوا يرابطون بالعشرات هناك.

ابتداء التحقيق مع جميع المشاركين بالخطف :

○ ابتدأ المحقق الأول القاضي جورج أبو مراد « بعد استجواب جوسلين » باستجواب السائق جواد أبو خزام، وهو سائق نبيل طرابلسي الذي حلّ محل السائق السابق المشتبه به « محمد شيا ». نفى السائق أبو خزام أي علاقة له بالحادث وقال إنه ترك معلمه السيد نبيل طرابلسي وزوجته في المنزل وعاد الى بيته. فترك حراً.

ثم انتقل لاستجواب السائق غازي حمود الذي كان يقود سيارة التاكسي التي استعملها الخاطفون في المرة الأخيرة، فروى المذكور كيف أنه اشتبه بالخاطفين نتيجة وجود المرأة معهم، وأن سوء ظنه ذهب به

لاعتقاده أن المرأة تمشي معهم مرغمة على أشياء أخلاقية، وأنه كسائق تكسي تمرّ به مثل هذه الحوادث، فتابع قيادة سيارته بدون أن ينتبه لطبيعة نوعية الأشخاص الذين معه، خاصة وان المرأة كان يبدو عليها الإعياء فقط، ولم تقم بأي بادرة مقاومة لتلفت نظره. وقال أيضاً إنه لم يلاحظ أشخاصاً مسلحين كانوا يلاحقون سيارته أو يراقبونها. وأشار المحقق أيضاً بتركه حراً وأعاد له أوراق سيارته.

وفي هذه الأثناء وصل زوج المخطوفة نبيل طرابلسي الى دائرة التحقيق فشرع القاضي ابو مراد بالاستماع الى افادته فوراً التي استمرت حوالي الساعتين، حيث عرض الأحداث من حين ابتداء السهرة في منزل بول أده حتى دفع الفدية للخاطفين وعودة زوجته. وقد ركّز في إفادته على نقطة معينة لفتت انتباهه وهي قول الخاطفين له أنهما يخطفان زوجته وحدها ليعلماها « كيفية احترام الناس »، فضلاً عن ملاحظته دخولهما المنزل وفتْح الخزانة التي كان قد خبأ بها الرشاش والمسدس. (وكان نبيل نفسه قد دلّ أحد الخاطفين على مكان السلاح). ولكن بقية تصرفهما كان يدل على أنهما يعرفانه ويعرفان زوجته، ويعرفان أيضاً تفاصيل المنزل الذي لم يدخلاه من بابه قبلاً.

هذه الملاحظات ركزت الاهتمام على اتهام السائق محمد شيا الذي كان قد اعتقل خلال الليل. بعدما تأكد للمحقق الأول بأن السيدة جوسلين سبق أن طردته من العمل لديها كسائق منذ عدة أشهر؛ ولكنه ظل يتردد على المنزل بوقاحة مطالباً ببعض المال بالحاح كتعويض عن خدماته السابقة لديهم.

أحضر السائق محمد شيا أمام قاضي التحقيق فنفى علاقته بالحادث، ولكن اتضح للمحقق أنه بحكم عمله السابق والثقة التي كانت ممنوحة له، فإنه وحده الملم والعارف بأوضاع المنزل والغرف والدهاليز والحدائق. وقال شيا إن السيدة حداد كانت تسيء معاملته بشكل ملحوظ،

ثم طردته من العمل بسبب تلفُّظه بعبارة نابية بحق الخادمة و « غيرها ». وقد نقلت الخادمة الأمر لمعلمتها جوسلين، فعمدت الى إنهاء خدماته. وأعلن أمام المحقق أنه رغم طردها له فلم يفكر مطلقاً بتعريض حياتها للخطر. أبقاه المحقق موقوفاً لعدم قناعته بإفادته.

أثر ذلك عقد اجتماع هام في مكتب المدعي العام التمييزي القاضي ميشال طعمة، حضره السيد هشام الشعار المدير العام لقوى الأمن الداخلي، وقاضي التحقيق الأول القاضي جورج أبو مراد والمحامي العام، القاضي فوزي داغر، جرى خلال هذا الاجتماع عَرْض ملابسات الحادث من البداية حتى المرحلة النهائية التي وصلوا إليها. وتركز البحث بين المجتمعين على الفشل الذي منيت به مخططات القبض على الخاطفين لأن الخاطفين كانوا يتبعون مخططاً مدروساً بدقة بالاضافة الى اعتبارات اخرى محيِّرة في عملية الخطف؛ منها التصرف المذهل الذي اتبعه الخاطفون وكأنهم مطمئنون الى النتائج.

فقد أجروا اتصالات هاتفية مع الزوج، وكانوا يعلمون علم اليقين بأن الأجهزة الخاصة تراقب وتسجل المكالمات الهاتفية، وأصبحت تعرف رقم الهواتف التي اتصلوا منها. ثم أنهم كانوا يعلمون حتماً أن رجال الأمن سيحضرون مع الزوج الى المكان المحدد لتسلم الفدية وإعادة الزوجة المخطوفة. ومع ذلك فقد غامروا ونجحوا بالهرب بالفدية والزوجة في منطقة الروشة التي تعج بالحركة.

وقد ساعدهم في النجاح عدم تقيّد زوج السيدة جوسلين، الذي تولى دَفْع الفدية بالمخطط المتفق عليه مع قوات الأمن الداخلي؛ ففي حين ركزت قوات الأمن جهودها على الزاوية الفاصلة بين مقهى « التيرول » وكازينو نصر من جهة الروشة، وعلى الشوارع المؤدية الى منطقة الحمام العسكري ومطعم شاتيلا حيث لبثت قوات الشرطة تنتظر الإشارة الضوئية من الزوج للاطباق على الخاطفين، ولكن الخاطفين خرجوا من مقهى

التيرول واستقلوا سيارة « كما ذكرنا » وقبضوا الفدية. ولكن بدلاً من ترك الزوجة فور استلامهم الفدية قرب سيارة الزوج ـ حسب الاتفاق ـ أبقوها معهم بالسيارة « لحماية » أنفسهم من رصاص الشرطة المنتشرة بشكل مكشوف في المنطقة، ثم أطلقوها وحيدة قرب الاونيسكو .. بعدما تجاوزوا المناطق الخطرة ...

أما الزوج فلم يعط الاشارة المتفق عليها لأنه خشي تبادل اطلاق النار وإصابة الزوجة أثناء ذلك، وفي مرحلة التحقيق الأولى وقبل أن يلقى القبض على الخاطفين حاول نبيل طرابلسي وأهل زوجته أن يقفلوا الموضوع وينهوا التحقيق والمهم لديهم : « أن الست جوسلين عادت سالمة، وبأعجوبة وهذا يكفي ». ولكن مع هذا التبسيط للحادث الذي هزّ لبنان والعالم « لم يستطيع القضاء أن يطوي الملف » فاستمر التحقيق احتراماً للحق العام.

اعتقال الخاطفين ومصادرة الأسلحة

○ أثر تأكد قاضي التحقيق الأول جورج أبو مراد من أن الخاطفين يعرفون « أسرار منزل المخطوفة جوسلين » واستبعاده إقدام سائقها السابق محمد شيا « كان لا يزال موقوفاً في حينه »، فقد أصدر أوامره الى « آمر مفرزة بيروت القضائية » بجلب الخادمة الخاصة في منزل نبيل طرابلسي للتحقيق معها. وفعلاً كانت هذه الخادمة هي « المفتاح » الذي أوصل التحقيق للفاعلين فقد اعترفت فور إحضارها أمام قاضي التحقيق : بأن قريبها الكردي « أحمد متّو » الذي يبادلها الحب بقصد الزواج منها هو الذي قام بخطف المدام جوسلين « معلمتها »، حيث اتصل بها مساء ٢٧/ كانون الأول (ديسمبر) هاتفياً، وسألها اذا كان معلماها موجودين بالمنزل. فأجابته بالنفي. عند ذلك حضر في الساعة التاسعة إليها ومعه

صديقه سعيد اسماعيل وشربا القهوة، ثم طلب منها وهو متأكد أن تُريَ صديقه مسدس السيد نبيل « معلمها ». ففعلت، ثم أعادته للخزانة. وانصرف من عندها حوالي الساعة العاشرة بعد ان صرح لها بأنه سيخطف جوسلين ليجعلها تندم على « سوء معاملتها أخيراً » له : فهربت الى منزل ذويها خوفاً من تهديد أحمد.

عند ذلك أصدر قاضي التحقيق الأول أوامره باعتقال المدعو أحمد متو وصديقه سعيد اسماعيل، وتوجهت قوة من سرية الطوارئ — ومفرزة من عناصر الإدارة القضائية في بيروت لتنفيذ الأمر. وبعد البحث والاستقصاء ألقي القبض على أحمد متو في محلة الصنائع ومعه مبلغ خمسمائة ليرة فقط، وقد أحضر الى التحقيق وهذه أقواله حرفياً (وفقاً لمحضر الاستجواب) :

○ **اسمك بالكامل** : أحمد بن اسماعيل متو، من مواليد بيروت ١٩٤٥ كردي الجنسية « قيد الدرس » أي أنه تقدم بطلب الى وزارة الداخلية اللبنانية للحصول على الجنسية اللبنانية فأعطي اشعاراً بذلك. أعمل ميكانيكي، أعزب « في حينه » أوقع بامضائي. فقدت هويتي « قيد الدرس » أثناء القاء القبض علي في محلة الصنائع.

○ **أفدنا عن نفسك بالتفصيل** : كنت في السابق أعمل ميكانيكياً في كراج سمير فاخوري، فتعرضت لحادث اصطدام عطلني عن العمل. ولما شفيت عدت للبحث عن عمل فرفض الكثيرون تشغيلي، لأني أحمل هوية « قيد الدرس ». ونفذت جميع دراهمي، ورحت أستدين من أصدقائي حتى تراكمت علي الديون. فاسودّت الدنيا في وجهي، لأن الدائنين أخذوا يطالبونني بمالهم. وشكوت أمري الى صديقي سعيد اسماعيل الذي يحمل شهادة البروفيه، وقد تعذّر عليه « مثلي » إيجاد عمل يعتاش منه. فاتفقنا معاً على القيام بعملية « خطف المدام جوسلين حداد زوجة نبيل طرابلسي » لمعرفتي بكامل أسرار المنزل من خطيبتي الخادمة لديهم

« شمسة ابراهيم محمود » على أن لا نعيدها الى زوجها الّا بعد دَفْعِه فديةً مقدارها خمسة وعشرون ألف ليرة لبنانية أولاً، وثانياً سبق لنسيبتي شمسة أن دعتني عدة مرات لزيارتها بدون أن يكون الزوجان بالمنزل، ومع ذلك فقد حضرت السيدة جوسلين ذات مرة فجأة فوجدتني أشرب القهوة في المطبخ، وبما أني لم أقف لها احتراماً، فقد غضبت مني. وقد أخبرتني شمسة، فيما بعد، أنها طلبت منها أن لا تسمح لي بعد ذلك بالدخول الى بيتها.

○ بعد التأكد من عودة الزوجين نبيل وجوسلين ليلاً من الخادمة شمسة، ذهبت مع سعيد اسماعيل نتنزه في محلتي الزيتونة والحمراء حتى الساعة الواحدة صباحاً. ثم عدنا الى منزل نبيل، ولما لم نجد سيارته أمام البناية اختبأنا في زاوية مقابلة للبناية حتى الساعة الرابعة صباحاً، حيث وصل نبيل وزوجته في سيارة غريبة، وترجّلا منها ودخلا البناية. عندئذ لحقنا بهما وقد أرخينا على وجوهنا لثاماً أسود تظهر منه عيوننا فقط. وشهرنا عليهما مسدسينا : مسدس ٩ مم، ومسدس سعيد ٦ مم. ثم قمت بتكبيل يدي ورجلي نبيل، كما قمت بتسكير فمه بمحرمة لنضمن عدم صراخه. وتركناه في قبو البناية. ثم أخذنا جوسلين معنا وتحت التهديد لها بتاكسي الى كراج في شارع الجزائر حيث خبأت الرشيش الذي استحضرته من منزل نبيل طرابلسي. ثم توجهنا الى مغارة المنصورية عند بزوغ الفجر.

وفي المغارة أعلمت جوسلين أننا خطفناها في سبيل المال .. حتى يدفع لنا زوجها فدية قدرها ٢٥ ألف ليرة لبنانية لقاء إطلاق سراحها ... ولما قلت لها اني عائد الى بيروت لأتصل بزوجها، وإعطائه الشروط، رجتني أن أخبره بأنها بخير. عندئذٍ ألبستها كنزتي لأنها كانت ترتجف من البرد، ثم غطاها سعيد بسترته « الجاكيت »، ووضع تحتها كنزته أيضاً،

قبل مغادرتي طلبت من سعيد أن يشعل لها ناراً لتدفئتها وألا يمسها بسوء أثناء غيابي.

○ في بيروت قمت بالاتصال مع نبيل الذي أبدى استعداده للدفع، فطمأنته عن زوجته. بعدئذٍ ذهبت الى السوق واشتريت بطانية خصوصاً لحماية جوسلين من البرد، واشتريت « علبة نينكس » وعلبتي سجائر وبعض السندويشات وعدت الى مغارة المنصورية فوصلتها ظهراً. وبعد ما تغدينا « نحن الثلاثة » طلبت من سعيد أن يذهب الى بيروت، وأن يتصل هاتفياً بنبيل ويعلمه أني سأحدثه بين الساعة السادسة والسابعة .. مساءً. كما طلبت من سعيد أن لا يعود إلّا مساءً. وعندما أرخى الليل سدوله (والكلام لا يزال للخاطف أحمد متو) أخرجت جوسلين من المغارة وسرت معها في طريق المنصورية ــ بيروت ولما شعرت أنها متضايقة من حذائها .. ألبستها حذائي وسرت أنا حافي القدمين ... وفي الطريق التقينا سعيد ومعه جريدة « لسان الحال » التي كانت قد نشرت خبر الخطف (وحذاء « اسبادري » كان احمد قد أوصاه عليه لجوسلين).

○ انتقل احمد وجوسلين وسعيد من سيارة تكسي الى اخرى، ومن مطعم الى مطعم، حتى تسلُّم الفدية من نبيل (كما ذكرنا) وسمح لها بالنزول قرب مستديرة الأونيسكو .. ألخ.

○ تابع الخاطف احمد متو إفادته فقال : بعدما نزلت جوسلين من السيارة مدّت جسدها وطبعت « قبلة » على وجنتي، وودعتني وطلبت مني أن أقابلها فيما بعد ..؟ وبعد ذلك توجهنا الى منطقة البسطة فاسترجعت رشاش الكلاشينكوف من الصديق، وانتقلت الى صبرا لدى صديق فلسطيني « احجم عن ذكر اسمه » وبتنا ليلتنا الأولى من الهروب لدى هذا الصديق.

وفي صباح اليوم التالي شعرنا أننا أصبحنا تحت المراقبة فتوجهنا الى

منزل عبدالله « شقيق سعيد »، فلم نجده وبما أن سعيد كان يحمل مفتاح المنزل، دخلنا وخبأنا الخمسة وعشرين ألف ليرة في كيس نايلون فوق برميل الماء، كما خبأ سعيد مسدس نبيل طرابلسي تحت الفراش، وغادرنا المنزل ونحن نحمل مسدسينا الأساسيين، واحتفظنا بمبلغ ٦٠٠ ليرة من الفدية للمصروف.

افترقنا أنا وسعيد حيث توجهت من شدة الارهاق وشعوري بالمطاردة الى حديقة الصنائع لكي أنام فيها مثل المشردين. وهناك ألقيتم القبض عليّ ...

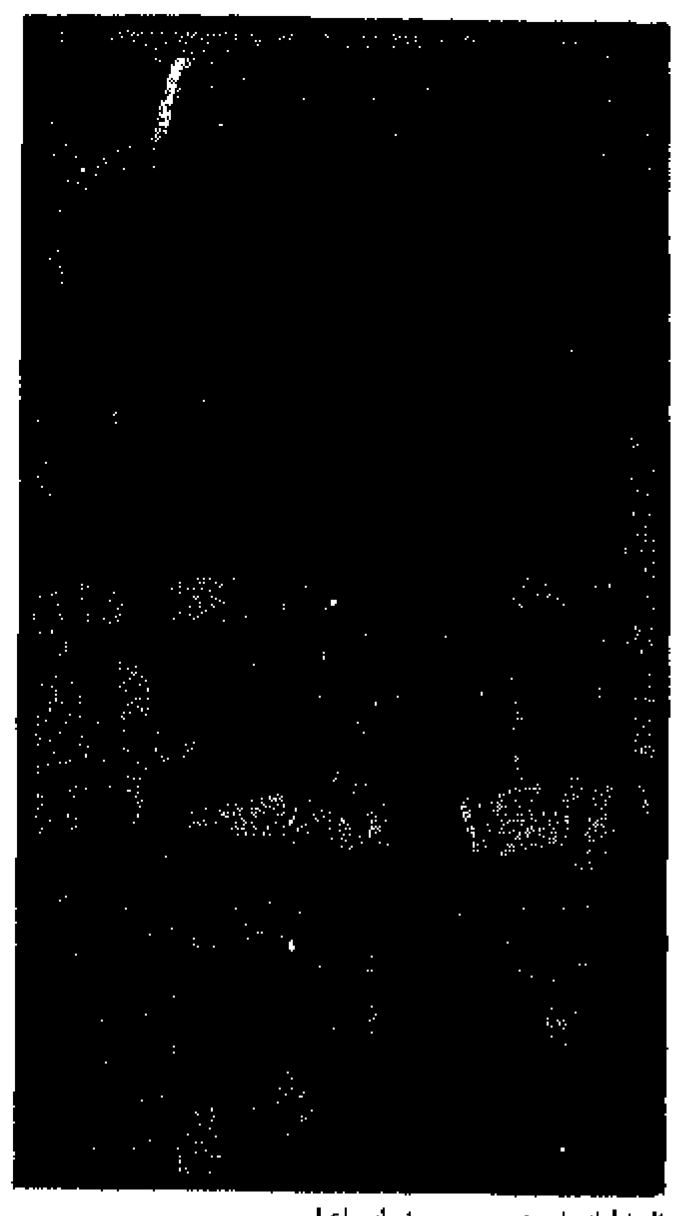
○ سؤال أخير : **هل أنت محكوم عليك سابقاً ولأي سبب ؟**

ــ نعم حكم عليّ في دمشق بالسجن ثلاث سنوات لحيازتي أسلحة وممنوعات بعد اشتراكي في حوادث أيلول بالاردن مع « إحدى المنظمات الفدائية ».

○ وعلى أثر إفادة الخاطف الأول أحمد متو هذه، انطلقت قوة من الشرطة القضائية الى منزل عبدالله شقيق بطل الخاطف الثاني سعيد اسماعيل فصادرت منه المال والمسدس نوع « ماكنوم » الكولت الخاص بنبيل طرابلسي مع ست قذائف بداخل أكرته « الطاحون » ثم توجهت هذه العناصر إلى الناصرة حيث توجّه سعيد اسماعيل ودهمت منزله بمصاحبة مختار الناصرة، وبأوامر صريحة من النيابة العامة، فاستسلم دون مقاومة، وضبط منه مسدس نوع « بارا بلوم » عيار ٩ مم مع مشطين عائدين له و ١١ طلقة ٩ مم.

إفادة الخاطف الثاني أمام قاضي التحقيق :

○ الاسم الكامل محمد سعيد بن جميل اسماعيل من مواليد بيروت ١٩٥٧ وسكان الأشرفية قرب مسجد بيضون. أعزب متعلم. عاطل عن



الخاطفان احمد متو وسعيد اسماعيل

العمل. لم تختلف إفادته حرفاً واحداً عن إفادة زميله الخاطف الأول احمد متو ولكنه أكّد أن لا علاقة للخادمة شمسة ولشقيقه عبدالله، أو أيّ شخص آخر بعملية الاختطاف. وبعد ذلك حضر عبدالله شقيق سعيد اسماعيل تلقائياً بعد أن علم أن شقيقه قد اعتقل، وأفاد بأن الرشاش الكلاشينكوف موجود بشكل أمانة لدى المدعو « بحري » في منطقة صبرا. وفعلاً ذهب عبدالله وعاد بالرشاش وهو ذو اخمص حديدي رقم /١٩٦٧ ــ ٢٧٨٢) مع مشط وثلاثين قذيفة عائدة له. وأفاد عبدالله اسماعيل أن سبب مبيت شقيقه في منزله هو أن والده يؤدي فريضة الحج، فانتقل للاقامة في منزل والده، وأعطى مفتاح منزله لشقيقه سعيد، وأنه لا

علم له بما اقترفه أخوه. عند ذلك استدعي احمد متو للتوسع بالتحقيق معه بعد أن ثبت أنه الرأس المدبر لعملية الخطف :

ــ سؤال : نكرر السؤال من هم شركاؤك في عملية الخطف ؟

الجواب : لو بدك تقوصني « أي تطلق النار علي » ما راح قلك.

ــ سؤال : ألم تقل لمدام جوسلين بأنك سوف تأخذ مبلغ الفدية من زوجها من أجل توكيل محام عن الموقوفين في عملية بنك أوف أميركا.

الجواب : قلت لها هذا بالفعل، ولكن الحقيقة هي أني لا أعرف شيئاً عن عملية « بنك أوف أميركا» ولا الأشخاص الذين أقدموا على هذه العملية.

ــ إذا لماذا قلت لجوسلين هذا الكلام ؟

الجواب : من باب التفنيص .. (التفنيص كلمة لبنانية تعني عدم وجود قيمة للكلام أو وزن).

ــ **سؤال** : لقد ذكرت بافادتك أن سبب قيامك بجريمة الخطف هو بقصد الاستيلاء على المال بالقوة، ألم يكن بوسعك أن تفرض على نبيل طرابلسي « مبلغاً من المال » قبل أو بدون أن تخطف زوجته جوسلين وتذهب بها الى « البرية ».

الجواب : قلت في نفسي ان السيد نبيل لا يكون حاملاً دراهم.

ــ سؤال : هل سألته عن حمله دراهم أم لا ...

الجواب : كلا

ــ سؤال : ما هو سبب الخطف الحقيقي اذن ؟

الجواب : أعود وأكرر بأن الخطف كان بقصد الحصول على المال فقط .. وانني أجزم بصراحة بأنني لم « أقترب » من جوسلين رغم جمالها وأنوثتها، لا أنا ولا زميلي محمد سعيد اسماعيل ... ولم نرتكب معها أي

عمل جنسي ... وعلى كل حال تستطيعون أن تسألوها لتتأكدوا من صحة أقوالي[1].

ـ سؤال : من هم شركاؤك بالعملية، لآخر مرة نسأل هذا السؤآل ؟

الجواب : وحياة القرآن ما في حدا غيري وأنا ومحمد سعيد اسماعيل.

بداية النهاية لقصة الخطف التي شغلت الرأي العام :

○ بعد انتهاء قاضي التحقيق الأول من التحقيقات المتعلقة بعملية الخطف، واستماعه الى افادات الجميع حيث لم يترك ثغرة واحدة إلّا وسأل عنها، فقد أصدر قراره باحالة الخاطفين المتهمين احمد متو ومحمد سعيد اسماعيل الى محكمة الجنايات في بيروت.

أقوال ومعلومات الخادمة شمسة ابراهيم محمود عن عملية الخطف :

○ بعد أن تحولت المتهمة بتسهيل دخول الخاطفين الى منزل آل الطرابلسي الى « شاهدة » بقرار من قاضي التحقيق كان لا بد من لقائها ومعرفة أقوالها ومعلوماتها عن عملية الخطف هذه. فتوجه الصحفيون اليها بعدة أسئلة، وهذه إجابتها : كانت « الست » أي جوسلين مهووسة

---

(١) المؤلف : إن المحقق لم يسأل الخاطف أحمد متّو عن قيامه بالاعتداء جنسيًّا على المخطوفة، لكنه أجاب تلقائيًّا هذا الجواب عن عدم قيامه بالاقتراب حسيًّا من جوسلين

بالشهرة، وقد تشاجرت مع ابنتها الكبرى ذات مرة بسبب محاولتها دفعها للعمل كعارضة أزياء وذلك سعياً وراء الشهرة لا غير.

○ كانت « الست » تخرج يومياً قبل الظهر، ولا تعود إلا في ساعة متأخرة من الليل، وغالباً ما كانت تبدل ملابسها أثناء النهار في محل زوجها « تيد لابيدوس » كما كان يمضي أحياناً اسبوع كامل ولا تشاهد ابنتيها اللتين تعيشان معها في منزل واحد.


شمسة ابراهيم محمود .. الخادمة

○ كانت تحسن معاملتي.

○ كان السائق محمد شيا يكرهها ويحدثني عن سوء تصرفاتها معه حتى طردته من العمل لديها، ثم أعادته للعمل بعد حادث الخطف.

○ أول مرة شاهدت « الست » أحمد متو الذي خطفها فيما بعد، حين حضر الى منزلهم في غيابهم وطلب مساعدتي لتشغيله كسائق لدى العائلة فطردته لمحاولته التحرش بي أثناء الزيارة. ولكنه عاد لزيارتي مراراً وكان لا يسأل عن عودة الست للبيت لأنه لا يخشاها حسب قوله لي، بحيث أصبح يأتي ساعة يشاء وينصرف ساعة يشاء. وكنا نجلس معاً نشرب القهوة بحضور ابنتي الست كارول وكوكا. كما حدث أن زرت والدته مع الآنسة كارول ابنة الست الأولى في منزله.

○ قبل خطفها باسبوعين كان هاتف المنزل لا يكف عن الرنين في المساء. وكانت « تمنعني » من الرد عليه في حضورها. كما تطلب مني أن أقطع الخط ولا أعلم زوجها « بأنها خارج المنزل ».

○ أؤكد زيارة الخاطفين أحمد متو وصديقه محمد اسماعيل ليلة الخطف لمنزل الطرابلسي بعد أن اتصل بي هاتفياً، ولم أصدق أنه سيخطف الست فعلاً.

○ شاهدته ونحن معتقلان لدى سوقنا للتحقيق في العدلية « القصر العدلي ». وفي الطريق ونحن بسيارة الشرطة سألته : لماذا قمت بعملية الخطف ؟ وهل أعجبك وجودنا هكذا بالتحقيق والسجن ؟ فطمأنني الى أني سوف أخرج من السجن قريباً. أما هو فقد قال عن نفسه : إن له من يخرجه من السجن. وقد بدا هادئاً غير مبال بتوقيفه وأنه سوف يخبرني عن كل شيء بعد أن يفرج عنا.

○ قالت شمسة عن أحمد : أنا أحبّه فعلاً لكنني لم أشعر مرة واحدة أنه يبادلني هذا الحب. ولكني لم أقم معه علاقة غرامية.

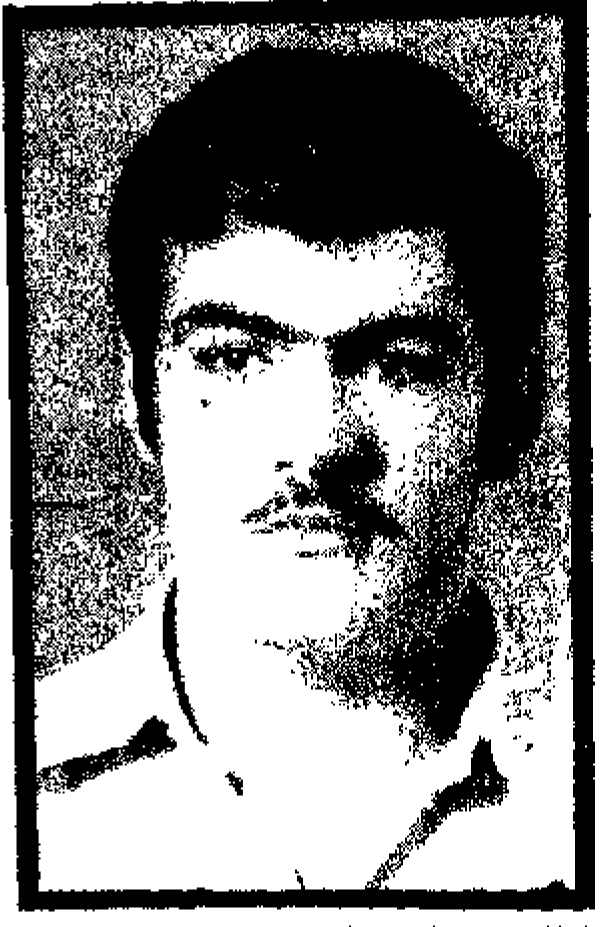
○ سألته مرة وقد شعرت بأنه لا يتردد لمنزل الست لأجلي عن سبب كثرة تردده، فأجابني صراحة بأنه لا ينوي إتمام الخطبة والزواج مني. وقال إن له علاقة غرامية بأمرأة متزوجة(؟) تعيله وتنفق عليه بالمئات.

○ سألته مرة أين سيمضي عطلة واحتفال رأس السنة، فأجابني بخبث بأنه سيقضي رأس مع امرأة شابة وجميلة وغنية (؟) وعندما سألته اذا كان يملك مالاً ينفقه على سهرة كهذه، أجابني بالحرف الواحد : « لا تخافي هي التي ستنفق عليّ ... وسوف تشتري لي سيارة وأصبح غنياً بفضلها ».

○ سافرت الست بمزاجها وقبل اختطافها بعدة اشهر الى كندا لمشاهدة زوجها السابق مع ابنتيها منه،ولما عادت الى لبنان ذكرت لي

الابنة الكبرى كارول أن والدها « الفرنسي سيرج بوساك زوج والدتها السابق المقيم في كندا » كان يتشاجر مع والدتها أثناء زيارتها له، ولم تشاهده ينام معها مطلقاً، وكان يقود سيارته بعصبية وسرعة كمن يحاول أن يصدمنا ويصدم نفسه ليظهر غضبه عليها.

مشاهدات الصحفيين في منزل الخاطف :



الخاطف احمد متو ؟ العاشق

○ توجه الصحفيون الى منزل الخاطف « على الطريقة الأميركية في الأفلام » في منطقة الصنائع قرب الحديقة العامة، فلفت نظرهم الأثاث الأنيق والرفاهية المهيمنة على أرجاء البيت. حيث صرح والده : « إن ابننا احمد لم يكن بحاجة الى نقود، ليقوم بعملية الخطف، لقد كنا نعلم مسبقاً أنه « على علاقة غرامية بامرأة غنية » كانت تصرف عليه بسخاء لقاء هذه العلاقة. نحن الآن لا ننكر أنه قام بعملية الخطف، لكنني كأب أعرف ابني أصرح بأن هدفه لم يكن الحصول على المال مطلقاً .. ».

انتقال قضية خطف جوسلين حداد الى محكمة جنايات بيروت :

○ بعد الانتهاء من التحقيقات ذكرنا ان قاضي التحقيق أحال القضية الى محكمة جنايات بيروت والمتهمين احمد متو ومحمد سعيد اسماعيل

موقوفين. وبتاريخ ١٩٧٤/٢/١٥ افتتحت الجلسة في محكمة جنايات بيروت برئاسة القاضي غبريال معوشي، لمحاكمة احمد متو ومحمد سعيد اسماعيل المتهمين بخطف جوسلين حداد للحصول على فدية مقدارها « ٢٥ ألف ليرة لبنانية » في حينه من زوجها. وكانت هذه الجلسة مخصصة للاستماع الى الشهود والى شريط مسجل عن مخابرات هاتفية تلقاها الزوج من المتهمين أثناء خطف زوجته وبعد اطلاقها. وأثناء سير الجلسة أعلن المتهم أحمد متو بأنه يؤكد وجود علاقة غرامية مع جوسلين وأن لديه معلومات « دقيقة » عن تفاصيل جسد جوسلين حداد تثبت وجود علاقات « جنسية » بينهما.

وقد بدأت الجلسة بعدما أحضر المتهمان الى قفص الاتهام، وحضر وكيلهما المحامي محمود مخيش. كما حضر نبيل طرابلسي « زوج المخطوفة » مع زوجته جوسلين ووكلاء الادعاء الاساتذة : سليم عثمان، جوزف خوري، جو خوري، لكن جوسلين خرجت من القصر العدلي عائدة الى منزلها عند بدء الجلسة، واعتذر زوجها للمحكمة بأنها مريضة، ولم تتمكن من متابعة الجلسة بسبب عملية جراحية أجرتها أخيراً.

وقبل البدء بالاستماع الى الشهود طلب وكيل الدفاع تدوين الملاحظات التالية :

١ ــ ورد في الصفحة ٢٠ من محضر استجواب المخطوفة جوسلين حداد أنها كانت تتكلم اللغة العربية أثناء وجودها مع الخاطفين.

٢ ــ إن السائق غازي حمود الذي نقل الخاطفين أثناء استلام الفدية واطلاق سراحها، قال إنه « شاهد » قبلة متبادلة بين المدعية جوسلين والمدعى عليه أحمد، ولا يعلم من بدأ بتقبيل الآخر هو أم هي ؟

٣ ــ وردت عبارة على لسان المدعية أمام هذه المحكمة بالاستجواب عندما قالت : بعدما أطلق الخاطفان سراحها في محلة

اليونيسكو « أنا الخاطفة .. أنا الخاطفة » ثم استدركت وقالت « أنا المخطوفة » وهذه ليست زلة لسان.

٤ ـــ إن الزوج نبيل طرابلسي قال أثناء الاستجواب أيضاً إنه كان من المفروض أن يعود مع زوجته جوسلين الى منزلهما في الساعة الثانية عشرة والنصف، لكن طارئاً أخّر عودتهما الى البيت حتى الساعة الرابعة صباحاً. وطلب الاستاذ مخيش من المحكمة طرح سؤال على نبيل طرابلسي للتأكد من ذلك.

وهنا اعترض النائب العام الاستاذ ديب درويش على طرح أيّ سؤال أو الجواب عليه حول هذه الملاحظات التي تقدمت بها جهة الدفاع. لكن المحكمة قررت اعتبار طلب الدفاع قانونياً، وسألت الطرابلسي عن ملاحظة الدفاع حول عودته متأخراً الى المنزل مع زوجته جوسلين، فأجاب أنه بالفعل كان يود العودة الى منزله في الساعة الثانية عشرة والنصف، وقد تأخرا في عودتهما للساعة الرابعة صباحاً.

○ النائب العام : هل أخبر السيد نبيل طرابلسي أحداً عن موعد عودته الى المنزل ؟ أي بالتأخير الذي طرأ على عودتهما.

○ نبيل طرابلسي : لا يا سيدي القاضي لم أخبر أحداً.

وهنا قال وكيل الادعاء الاستاذ سليم عثمان إن ما ورد من ملاحظات على لسان الدفاع هو من باب « الشانتاج ». لكن رئاسة المحكمة اعتبرت موقف الدفاع سليماً بعدما لاحظت هي نفس الملاحظات.

واستمعت المحكمة الى شهادة الدكتور جميل ابو شهلا الذي أكد تقريره الطبي بأن عمر المتهم محمد سعيد اسماعيل هو عشرون عاماً. وبعد ذلك بدأت المحكمة بالاستماع الى الشريط الذي سجل عليه الزوج المخابرات الهاتفية التي وردت اليه في مكتبه من المتهمين أثناء الاختطاف وبعد اطلاق سراحها. كما استمعت المحكمة والحاضرون الى

صوت المتهم أحمد متو وجوسلين حداد أثناء التفاوض مع نبيل الطرابلسي على طريقة قبض الفدية، ومكان تسليم المبلغ، وطريقة إطلاق جوسلين.

وتبين من أقوال جوسلين لزوجها في هذه المخابرات المسجلة، أن الخاطفين عاملوها معاملة حسنة ولطيفة (؟) وان المتهم متو طلب من الزوج أن يحضر بسيارته الصغيرة الى محلة الروشة ويحضر معه المبلغ المتفق عليه « ٢٥ الف ليرة » ويجلس داخل سيارته بعدما يطفئ أنوارها الأمامية، ويشعل أنوارها الخلفية الصغيرة والضوء الداخلي.

وبعد حوار أعضاء المحكمة والرئيس ووكلاء الادعاء والدفاع « قررت » المحكمة ضم الشريط كوثيقة الى الملف ووضعه تحت تصرف جميع الفرقاء.

بعد ذلك طلب وكيل الادعاء الاستاذ سليم عثمان من المحكمة الموافقة على سماع إفادة المدعو ابراهيم اليتيم الموقوف في سجن الرمل المدعي أن لديه معلومات حول أحد المتهمين بدعوى خطف جوسلين حداد، وقد وافقت المحكمة على إحضار الشاهد فوراً، كما أعلنت المحكمة بوجود طلبات قدمت اليها لدعوة بعض الشهود الذين قالت جهة الدفاع إنهم « يؤكدون » علاقة المتهم أحمد متو بالسيدة جوسلين حداد فوافقت المحكمة على استدعاء الشهود : أندريه عقل، محمد سلطان، فرانسوا رومانوس، جلال متو.

○ النائب العام : أعارض سماع الشهود لأنه ليس هناك ما يبرر سماعهم. لقد سبق للمتهم أحمد متو أن اعترف أنه لا يعرف المدعية « وقد شاهدها مرة واحدة في مطبخ المنزل عندما كانت الخادمة شمسة تضيفه فنجان قهوة » فلماذا دعوة هذا الكم من الشهود لإثبات أن المتهم كان يخرج مع المدعية قبل حادث الخطف.

○ المحامي سليم عثمان وكيل الادعاء : إن ما يقوله النائب العام

المحترم هو عين الصواب، وإن طلب الشهود هو « الشانتاج » بعينه وكل شاهد سيحضر « سندّعي » عليه بجرم الشهادة الكاذبة[1].

○ أحضر الشاهد السجين ابراهيم اليتيم من سجن الرمل وأدخل الى قفص الاتهام لسماع شهادته.

○ المحامي سليم عثمان : نطلب اجابة طلب الدفاع لتحمله المسؤولية. فلم يلتفت رئيس المحكمة الى هذا الطلب وأعلن أنه تقرر الاستماع الى شهود الدفاع. ابتداء بسماع شهادة السجن ابراهيم اليتيم.

○ رئيس المحكمة : لقد بدرت منك اشارة أثناء جلسة محاكمة العقيد منصور لحود إلى النائب العام فلماذا فعلت ذلك ؟

ـــ ابراهيم اليتيم : أعطيت الاشارة الى السيد النائب العام فعلاً لكي أعلمه أني أرسلت له كتاباً يتعلق بقضية المتهمين « أحمد متو ـــ وسعيد اسماعيل ».

○ رئيس المحكمة : ما هي هذه القضية ؟

ـــ ابراهيم اليتيم : كتبت للسيد النائب العام الأستاذ منيف حمدان بأن سجيناً يدعى « يحيى كلاكش » تكلم مع المتهم أحمد متو داخل غرفة ١٣ من سجن الرمل و « علّمه » أن يقول أن هناك علاقة جنسية بينه وبين المخطوفة، حيث قال له بالحرف الواحد : « قول أمام المحكمة أن هناك علاقة جنسية بينك وبينها ».

○ رئيس المحكمة : لماذا أرسلت الكتاب الى النائب العام ومن كلفك بذلك ؟

---

(١) التهديد بتحريك دعوى الشهادة الكاذبة ضد أي شاهد يحضر للشهادة هو سابقة خطيرة لم تحصل لا في القضاء اللبناني ولا غيره. وإن طلب الشهود وحمايتهم هو من اختصاص القضاء والنيابة العامة بالذات، وليس لأحد الحق بتهديد الشهود حتى ولو كان وكيل الادعاء.

ــ ابراهيم اليتيم : لأن المؤامرة دبرت أمامي، ويجب علي أن أبوح بها للمسؤولين، بدون أن يكلفني أحد بذلك.

○ رئيس المحكمة : لماذا انتظرت حتى الآن لتقول ذلك ؟

ــ ابراهيم اليتيم : سبق أن أرسلت كتاباً آخر للسيد النائب العام بهذا الخصوص فلم يستدعني ولم يرد عليّ.

وهنا دفع المتهم احمد متو يده حسب الاصول القضائية طالباً الكلام، فسمح له وهنا طلب من رئاسة المحكمة إحضار السجين « يحيى كلاكش » من سجن الرمل، كما طلب احضار السجين « محمد اسماعيل مطر » الموجود في نفس الغرفة للاستماع الى اقواله كشاهد على هذا الادعاء.

○ الادعاء العام : نطلب دعوة الشهود الذين ذكرهم المتهم.

ــ رئيس المحكمة : المحكمة تقرر ردّ طلب الادعاء. وهنا علق المتهم احمد متو قائلاً : إن السجين ابراهيم اليتيم طلب منه عنوانه خارج السجن لأنه بعد خروجه يريد أن يخرج فيلماً[1] عن قضية خطف جوسلين حداد، لأنها تشبه قصص الخطف التي تجري في أوربا، ونشاهد مثلها على شاشات السينما والتلفزيون حتى الآن. ولكن متو لم يعطه العنوان ولم يتابع الحديث معه عن موضوع الفيلم المقترح عن هذه القضية ويظن المتهم أحمد متو أن مقاطعته له هي سبب تدخله بهذا الشكل في القضية.

وهنا أحضر الشاهد الثاني الذي طلبه المتهم أحمد متو، وهو أندريه عقل، وأُدخل ايضاً الى قفص الاتهام.

---

(١) بالنسبة لاخراج فيلم عن قضية اختطاف جوسلين حداد كان الزميل خليل تقي مراسل الصحف الكبرى المعروف في دمشق قد تأثر في حينه بقضية الاختطاف هذه وقام بجمع المستندات مع جميع ما نشر عن القضية لغاية النطق بالحكم على الخاطفين وبدأ باعداد السيناريو اللازم لكن عدم حصوله على موافقة الأطراف المعنية جعله يلغي المشروع الذي أعده لاخراج فيلم سينمائي عن القضية...

○ رئيس المحكمة : هل تعرف يا أندريه سبب احضارك للمحكمة ؟

ـ أندريه عقل : شقيق المتهم أحمد متو كلفني لأشهد في هذه القضية.

○ رئيس المحكمة : شو بتعرف عن القضية.

ـ أندريه عقل : كنت أركب الموتوسيكل مع أحمد متو وهو صديقي، ومنذ مدة شاهدته معها « أي مع جوسلين » في محلة الروشة وكان يقطعان من رصيف الى رصيف، اعتقدت في بادئ الأمر أن المرأة أجنبية، وأنه لم يكن قد اطلع على الصحف التي نشرت خبر خطف جوسلين حداد.

وأحضر الشاهد الثالث محمد سلطان الى قفص الاتهام.

○ رئيس المحكمة : هل تعرف آل الطرابلسي ؟

ـ محمد سلطان : لا .. يا سيدي.

○ رئيس المحكمة : ماذا تعرف عن أحمد متو ؟

ـ محمد سلطان : كنت أملك محلاً لألعاب الفليبّرز قرب سينما البيبلوس، وكان احمد يتردد الى محلي، وبعد مدة « تغيّر مظهره » وأصبح يلبس ثياباً جديدة وفاخرة، وقد ترك العمل في الكراجات. وعندما سألته عن مورده وأحواله المالية، أجابني بأن أحواله طيبة، وأنه « مهمشر[1] واحدة غنية »، وأنها تعطيه الفلوس لكنه لم يذكر اسم هذه « الواحدة الهمشرية ».

وبعدما انتهت المحكمة من الاستماع الى الشهود، وقف المتهم أحمد متو وقال إنه يريد أن يقول الحقيقة، ثم أضاف : سبق وقلت أن هناك

---

(١) المؤلف : كلمة « مهمشر » تعني انه مصادق أو مصاحب. والأصح يقال إن فلاناً من همشرية فلان أي من أتباعه... الخ.

علاقة جنسية بيني وبين جوسلين وهذا شيء واقعي ولديّ الإثبات على ذلك، ولست مدعياً ذلك لأنقذ نفسي، وأنا على استعداد أن أعطي الأوصاف الكاملة والدقيقة عن « جسد السيدة جوسلين حداد ».

○ رئيس المحكمة: شوفي عندك إثبات غير أوصاف جسد جوسلين ؟

ــ أحمد متو: سبق لي أن تجولت معها في عدة محلات وأماكن عامة ومنها ذهبنا الى استراحة قرب القصر الجمهوري، وجلسنا هناك نتحادث، كما كنا نذهب بسيارتها الفولفو ذات اللون الرصاصي الى مختلف الأماكن. وأثناء تجوالنا بسيارتها كنا نستمع الى الأغاني من المسجلة الموجودة في السيارة، وأوكد لمقام المحكمة أني ذهبت معها مشاوير غرامية. واذا كنتم تريدون سأعطيكم الآن الأوصاف الكاملة لجسدها وما به من علامات مميزة. وقد رفضت المحكمة الاستماع لأقوال المتهم أحمد متّو حول أوصاف جسد جوسلين في هذه الجلسة كما قررت المحكمة الاكتفاء بما سمعته من الشهود ومن وقائع الدعوى وتأجيل الجلسة للنطق بالحكم.

وفي يوم الجمعة الموافق ٢٢ / شباط / ١٩٧٤ صدر عن محكمة جنايات بيروت الحكم الآتي:

باسم الشعب اللبناني:

○ أصدرت محكمة الجنايات في مدينة بيروت برئاسة القاضي غبريال معوشي، حكمها بقضية اختطاف جوسلين حداد وقضى هذا الحكم الوجاهي بحبس أحمد متو ومحمد اسماعيل خمس سنوات لجهة الخطف، وخمس سنوات اخرى لجهة سلب الأسلحة، وخمس سنوات

لجهة التهويل والابتزاز، وسنة واحدة لجهة حيازة الأسلحة، على أن تنفذ بحق كل منهما عقوبة الحبس خمس سنوات فقط مع الأشغال الشاقة وتحسب لهما مدة توقيفهما.

حكماً قابلاً للاستئناف.

رئيس محكمة الجنايات

القاضي

غبريال معوشي

○ وهكذا سيق الخاطفان الى سجن الرمل ليقضيا عقوبة ما أقدما عليه، وقد رأفت المحكمة بهما لجهة عدم تعرضهما للمخطوفة بالأذى وهتك العرض .. مع العلم بأن عقوبة الاختطاف والاغتصاب في ولاية كاليفورنيا الأميركية هي الإعدام بالكرسي الكهربائي. أما في لبنان فإن العقوبة تتراوح من خمس سنوات الى عشرين سنة. لتنتهي قصة متواضعة من قصص المشاهير وننتقل الى غيرها ... في الجزء الثاني من مشاهير العالم.



هل شجعت هذه النظرة على القيام بالخطف ؟



الخادمة التي ساعدت الخاطف عن حسن نية.



الحضور الى محكمة الجنايات



رشاش ومسدسات والفدية وخمس سنوات سجن

الفهرس

مقدمة ٧
الملياردير عدنان الخاشقجي ٩
مصطفى العقاد، مخرج أفلام العظماء ٧٣
فريديريك سويدان ــ قرصنة عالمية ٨٥
انطوان قاموع .. المليونير.. اختطف واختفى ١٠٥
ماري الأخرس : شاهدت السيدة العذراء وكلمتها ١٣١
علاء البحري : ميلياردير سوري اختفى أيضاً ١٤٧
مَنْ هو كارلوس الإرهابي الدولي؟ ١٦٧
المهرب الكبير سامي الخوري واختفاؤه الغامض ١٩١
أسيل نادر : امبراطور المال والصحافة في تركيا ٢٦٧
جوسلين حداد : لبنانية خطفت أمام زوجها ٢٧٩
الفهرس ٣١١